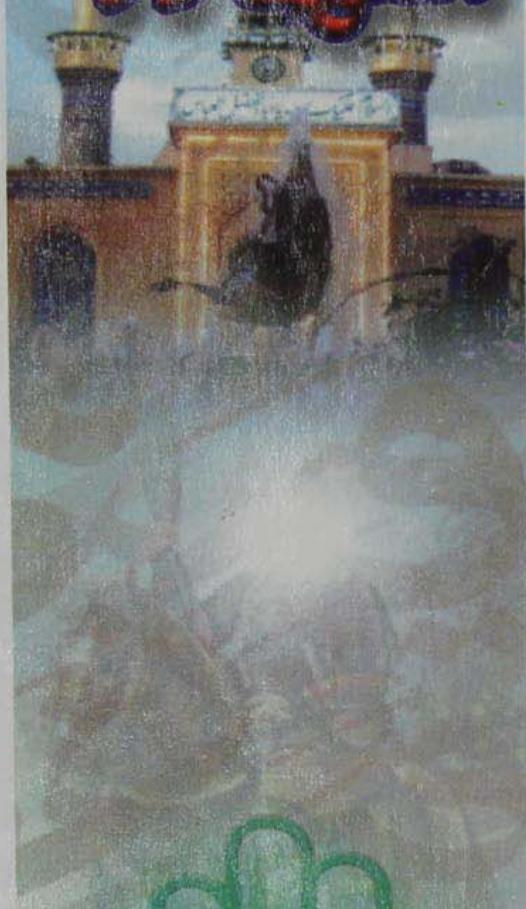


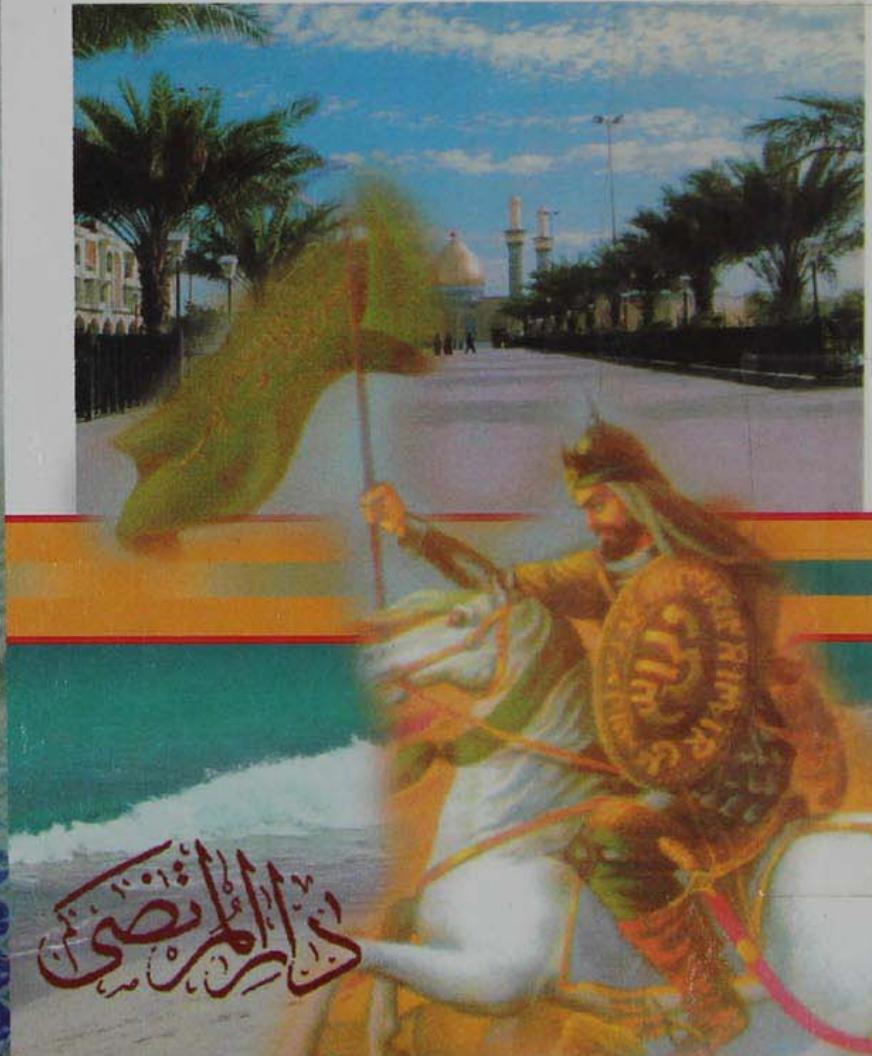
عَلَيْهِ السَّلَامُ

# العَبَاسُ بْنُ عَلِيٍّ

## مِنَ الولادَةِ إِلَى الشَّهَادَةِ



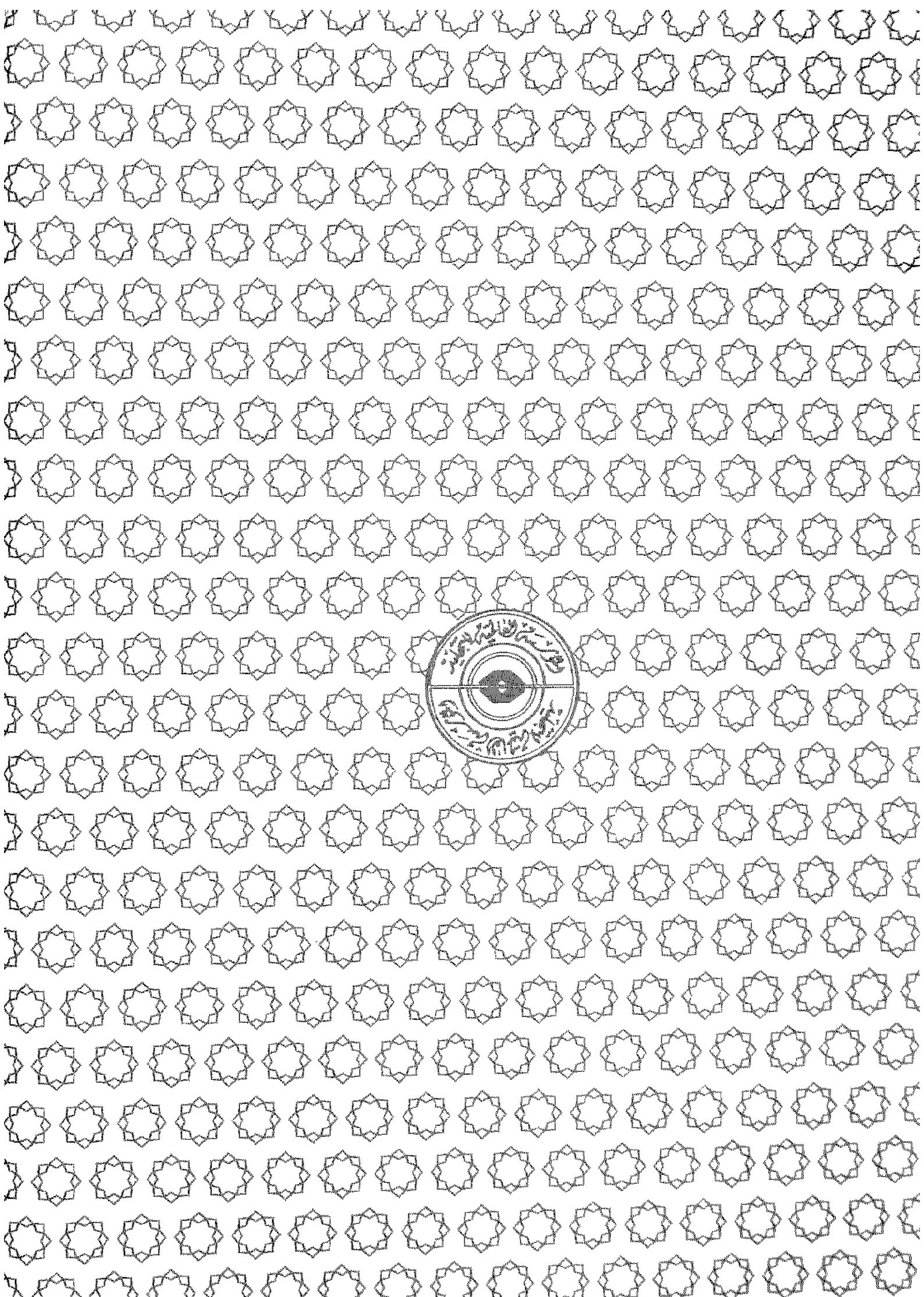
أحمد علي دخيل

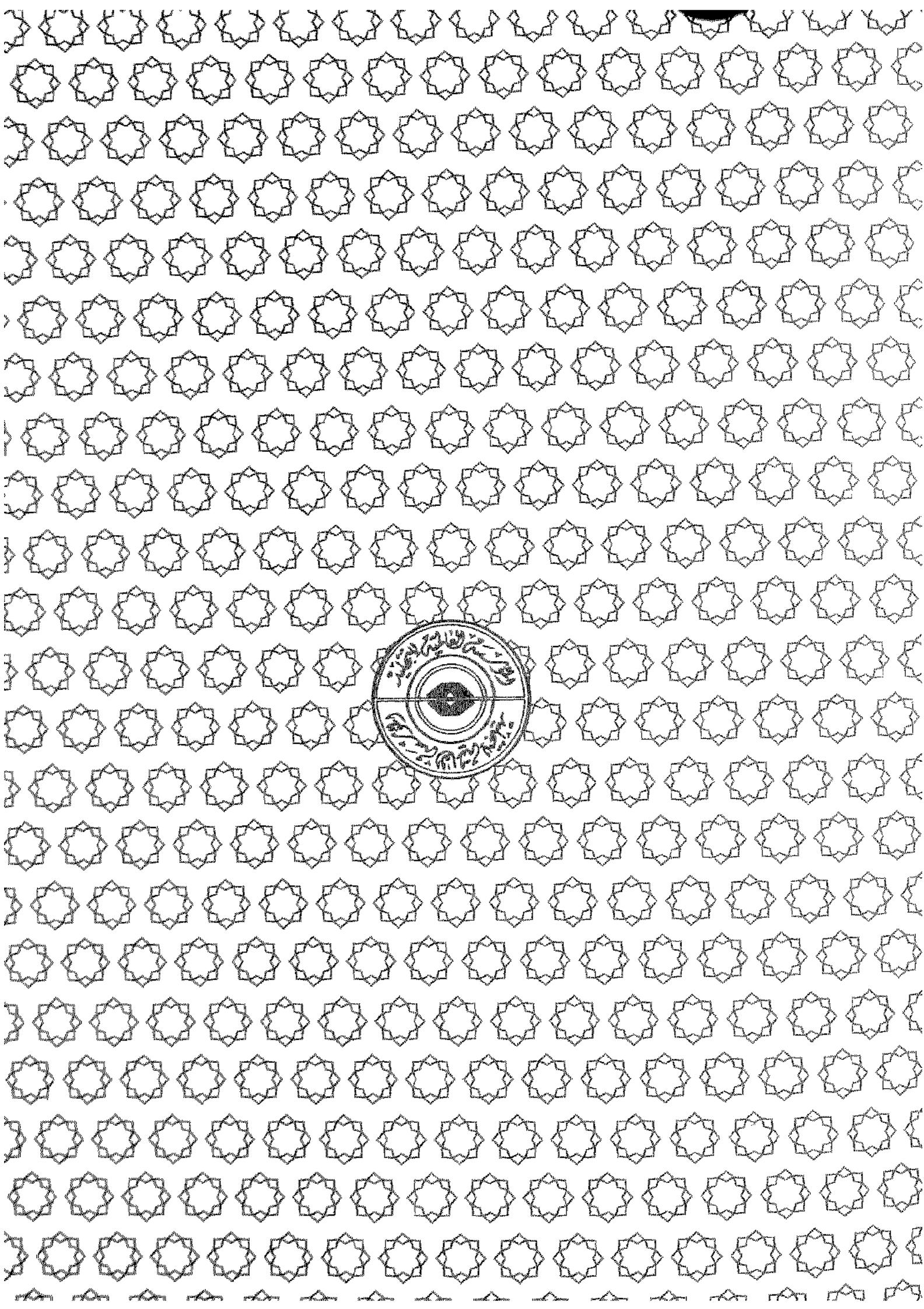


دار المرضي



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)







العَبَاسُ بْنُ عَلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنَ الولادة إِلَى الشَّهادَةِ

أحمد علي دخيل



دار المتنبي  
بيروت

## DAR AL-MORTADA

Printing - Publishing - Distributing  
Lebanon - Beirut  
P.O.Box: 155/25 Ghobeiry  
TeleFax: 009611840392  
E-mail: mortada14@hotmail.com

Printed in Lebanon

## دار المرتضى

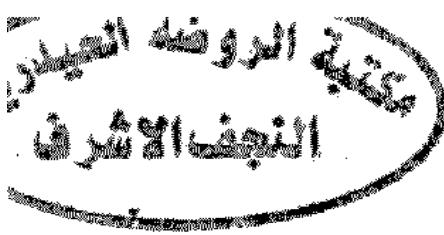
طباعة، نشر، توزيع  
لبنان - بيروت  
ص.ب. ٢٥/١٥٥ الغبيري  
تلفاكس: ٠٩٦١٨٤٠٣٩٢  
E-mail: mortada14@hotmail.com

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هجرية

٢٠٠٤ ميلادية

جميع حقوق الطبع والاقتباس محفوظة  
ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة طباعة أو  
ترجمة الكتاب أو جزء منه إلا بإذن خطى من  
المؤلف والناشر



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# لِفَرْدَاءُ

إِلَيْكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ . . .

سَيِّدِي . . .

عَلَى لَا يُدَانِي حَصْرُهُنَّ لِسانٌ  
إِذَا ضَمَّهَا يَوْمُ الْفَخَارِ رَهَانٌ  
وَقَبْلَ غَدَةِ الرَّوْعِ: أَيْنَ فَلَانُ  
قَرِينَاكَ فِيهَا مَرْهَفٌ وَسَنَانٌ  
لَعْمَرِي بِكَ الْمَجْدُ الْأَثِيلُ يُزَانُ  
وَأَيْ عَزِيزٌ قَدْ رَجَاؤُكَ يَهَانُ  
تَعْرُدُ مِنَ الْإِحْسَانِ وَهِيَ بَطَانُ  
سَكُوتِي خَطَابٌ عَنْدَهَا وَبِيَانُ . . .

جمَالُ الْهُدَى وَالْمَكَرَمَاتُ وَمَنْ لَهُ  
وَسَابِقُ أَرِيَابِ الْمَكَارِمِ عَنْ يَدِهِ  
وَلَيْثُ الْوَرَى إِنْ قَهَقَرَتْ أَسْدُ الشَّرِى  
وَمَا زَلَتْ مَقْدَامًا لِكُلِّ كَرِيمَةٍ  
وَمَا زَانَكَ الْمَجْدُ الْأَثِيلُ وَإِنَّمَا  
رَجُوْثُكَ بَعْدَ اللَّهِ فِيمَا أَهْمَنَّكَ  
رَوْجَهْتَ آمَالِي خِمَاصًا لَعَلَّهَا  
وَفِي النَّفْسِ آمَالٌ، وَرَفِينَكَ قَدَاسَةُ

الحسن بن علي بن جابر  
أمير شعراء اليمن



## بین یدي الكتاب

لعلَّ أمرَ عليٍ عليه السلام وبنيه من أعجَب الأمور وأغريها في التَّارِيخ، فقد حكمَ المُسْلِمِينَ على مُدَى سِنِينَ طوال في عهودهم الأولى حُكَّامٌ كثيرون يديرون ببغضٍ على عليه السلام، وُجَهُدوْنَ أنفسهم في النيل منه وتوهين شأنه وشأن بنيه، ورغم ذلك ذكر ما ذكر له من الفضائل . . .

فقد سَنَّ الْأَمْوَيُونَ سَنَةَ سَبْطِ الإِمَامِ عَلِيٍّ وَبْنِيهِ وَأَهْلِهِ مَعَ الصَّلَاةِ، وَاسْتَمْرَتْ هَذِهِ السَّنَةُ عَلَى مُدَى عَقُودٍ طَوَالٍ لَمْ يُعَطِّلْ الْعَمَلَ فِيهَا إِلَّا لِسَنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ كَأَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَثَلًا . . . ، وَيَرَوِيُّ أَنَّ أَهْالِي احْدِي الْمَنَاطِقِ فِي بِلَادِ الشَّامِ اعْتَرَضُوا حِينَهَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِشَدَّةِ تَمْكُنِ عَادَةِ سَبْطِ الإِمَامِ فِيهِمْ فَقَالُوا: لَا صَلَاةَ إِلَّا بِسْبُطِ أَبِي تَرَابٍ! . . . ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَرَكَ السَّنَةَ . . .<sup>(١)</sup>.

غَيْرُ أَنَّهُمْ «وَيَتَكَبَّرُونَ وَيَتَكَبَّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَتَكَبِّرِينَ»، وَهَذَا مَا لَحِظَهُ كَبَارُ الْمُحَدِّثِينَ، فَيَتَحَدَّثُ ابْنُ عَامِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ لَوْلَدَهُ فَيَقُولُ: لَا تَذَكِّرْ يَا بُنْيَ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ بُنْيَ أُمِّيَّةَ لَعْنَوْهُ

(١) شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: ٢٢٢/١٣.

على منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله بذلك إلا رفعة، إن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمه<sup>(١)</sup>.

ويروى أن خالد القسري . أحد كبار ولاة بنى أمية . قال للزهري وهو أحد كبار المحدثين المرتبطين بالسلطة الأموية: اكتب لي السيرة، فقال له: يمر بي شيء من سير علي بن أبي طالب فأذكريه؟

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم!<sup>(٢)</sup>

ولم يكتف الأمويون بالمنع من تدوين فضائل علي عليه السلام، وإنما عمدوا إلى بعض فضائله فنحلوها سواه، وأنكروا البعض الآخر، ثم جهدوا في إضعاف المساوىء والمعايير له عليه السلام. يروي أحدهم فيقول: سألت الزهري عن كاتب الكتاب يوم الحديبية فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سأله هؤلاء يعني بنى أمية . لقالوا: عثمان<sup>(٣)</sup>.

واستعمل خلفاء الأمويين الترغيب والترهيب في حمل الرواية على غمط فضائل علي والصاق المساوىء به؛ فيروى أن أحد الرواة واسمه سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك،

(١) المصدر: ٢٢١/١٣

(٢) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ٥٨، عن الأغاني: ٢١/٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥٩.

فقال له هشام: الذي تولى كبره من هو؟ يشير إلى تأويل الآية القرآنية الكريمة «وَالَّذِي تَوَلَّ كِبَرُوهُ مِنْهُمْ لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

فقال: ابن أبي.

فقال هشام: كذبت، هو علي، فقال ابن يسار: أمير المؤمنين أعلم بما يقول<sup>(١)</sup>. و موقف هذا الراوي هو أقرب شيء لما وصفه أبو العلاء المعري في قوله:

تَلَوْا بَاطِلًا وَجَلَوْا صَارِمًا  
وَقَالُوا صَدَقَنَا؟ فَقَلَنَا نَعَمْ!  
وَالصَّارِمُ هُوَ السَّيفُ الصَّقِيلُ . . .

وليس أبلغ في وصف هذا الواقع من الرواية التي يرويها ابن أبي الحديد عن المحدث المدائني فيقول:

«كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماليه بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقاموا الخطباء في كل كورة، وعلى كل منابر، يلعنون عليه ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته؛ وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إلينه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام؛ فقتلهم

(١) المصدر: ٦، عن سير أعلام النبلاء: ٣٣٩ / ٥.

تحت كُلّ حَجَرٍ وَمَذْرً، وأخافهم، وقطع الأيادي والأرجل، وسَمِلَ العيون، وصلبهم على جُذوع النَّخل، وطردهم وشَرَّدهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عَمَاله في جميع الأفاق: ألا يجوز لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته؛ والذين يرون فضائله ومناقبه؛ فأدُنوا مجالسهم وقربُوهم وأكرموهم، واكتُبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه وأبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الضلال والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كل مصر. وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فليثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عَمَاله أنَّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعو الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة؛ فإن هذا أحب إلى وأقر لعيوني، وأدحض لحجَّة أبي تراب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب

الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب؛ فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رأوه وتعلمه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمتهم وحشمتهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا منْ قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاوه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اهتمموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به، واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيما بالكوفة، حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويختلف من خادمه ومملوكه، ولا يحذثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتئن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراوون، والمستضعفون، الذين يُظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيروا به الأموال والضياع والمنازل؛ حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانيين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان؛ فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رواها، ولا تدئنوا بها.

فلم ينزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه؛ أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل التشك والصلاح والذين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومتناقيهم، وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنان له، حتى إن إنساناً وقف للحجاج . ويقال إنه جد الأصمuni عبد الملك بن قريب . فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عُزونني فسموني علياً، وإنني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج . فتضاحك له الحجاج، وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه . وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم . في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيامبني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون يرغمون به أنوفبني هاشم»<sup>(١)</sup>.

وكان خلفاء الأمويين يعللون سبهم لعلي عليه السلام والنيل منه وغمط فضائله بالملك والسلطان والحفظ عليه! . . .

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٦/١١.

يُروى عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم<sup>(١)</sup>، فقلت له: فما بالكم تسبونه على المنابر؟، قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك!<sup>(٢)</sup>.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز . الخليفة الأموي الصالح . أنه قال: كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسُبَّه تقطع لسانه وأصفر وجهه وتغيرت حاله، فقلت له في ذلك، فقال: أو قد فطنت لذلك؟ إن هؤلاء لو علّمُونَ مِنْ عَلَيْيَ ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل<sup>(٣)</sup>.

وبلغ من كراهيّة بني أمية لعلي عليه السلام أنتم ما كانوا يحتملون ذكر اسمه أو كنيته، وما كانوا يحتملون من تسمّي بهذا الاسم أو تكنى بهذه الكنية . . .

يذكر ابن الأثير أنّ علي بن عبد الله بن عباس وقد على عبد الملك بن مروان، فسألَه عن اسمه وكنيته، فقال: اسمي علي، والكنية أبو الحسن، فقال له: لا يجتمع هذا الإسم وهذه الكنية

(١) مروان: مروان بن الحكم صهر الخليفة الثالث عثمان، ومن المنحرفين عن علي عليه السلام، له مواقف متھورة ساهمت في مقتل الخليفة الثالث. والمراد بصاحبنا عثمان، وصاحبكم الإمام علي عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢٠ / ١٣ .

(٣) المصدر نفسه.

في عسكري، أنت أبو محمد<sup>(١)</sup>.

ويروي أبو سلمة الأنصاري على لسان صاحب له يقول:  
كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً سمي علياً ولا حسناً ولا  
حسيناً، وإنما أسمع: معاوية ويزيد والوليد، فمررت برجل  
جالس على باب داره، فاستسقيته، فقال: يا حسن اسقهِ.

فقلت له: أسميت حسناً؟

قال: إني والله، إنّ لي أولاداً أسماؤهم: حسن وحسين  
وجعفر، فإنّ أهل الشّام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا  
يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه، وإنما سُمِّيَت أولادي بأسماء  
أعداء الله؛ فإن لعنت فإنما العن أعداء الله!<sup>(٢)</sup>.

وأصاب بنو علي عليه السلام مثل ما أصاب أبيهم من غمط  
فضائلهم ولصق المساوىء والمعايب بهم، ولا بدع في ذلك  
فالرواة والمحدثون كما رأينا آنفاً ما كانوا يتوزعون عن الكذب  
طمعاً وكلما أضاء لهم الدينار مشوا باتجاهه . . .

ثم تركزت هذه الأفكار في نفوس وقلوب الرواة والناس  
جيلاً بعد جيل حتى غدوا يرونها من عقائد الإسلام وأسسه  
ومناهجه . . .

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢/٦٩١.

(٢) ابن تيمية، حياته وعقائده: ٣٠، عن سير أعلام النبلاء: ١٠/٤٠٢.

ونحن حين نقلب صفحات الزمن الغابر، ونتمتعن في المرويات والأخبار والأحاديث التي روت أخبار العهد الأول للإسلام نلحظ بين سطور التاريخ فضائل أهل البيت عليهم السلام ومكارمهم جلية لمن تدبر وتمعن، رغم سعي المغرضين إلى طمس معالمها وتشويهها . . .

ومن الأحداث التاريخية المهمة في ذلك العهد واقعة الطف التي تركت ذيولاً سياسية وفكريّة بعيدة المدى والأثر، وشكلت ادانة لا تقبل الشك لحكام تلك الحقبة، وشاهدنا حيّاً على روح الإجرام السائدة في نفوسهم . . .

فخلال فترة بسيطة بعد رحيل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه صاحب الرسالة الخالدة والمنهج الإنساني المتكامل، يتحول الحكام الذين تعاقبوا على حكم البلاد إلى ملوك بكلّ معنى الكلمة، لا يتورّعون عن أكل المال الحرام وعن سفك الدم الحرام في سبيل تثبيت سلطتهم، وربما في سبيل إرضاء نزواتهم الجنونية . . .

وما كان لآل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يُغمضوا أجنانهم على تلك الأحداث، فكانت كربلاء الثورة المقدّسة التي هدفت إلى إيقاظ الضمير المسلم وتوعية الناس بما هم فيه . . .

ونحن حين نذكر كربلاء ونحيي ذكرى شهدائها، إنما نذكر سُنة رسول الله ودين الإسلام وكتابه . . .، فتلك الصفة المجاهدة من آل بيت رسول الله وصحابه هدفت إلى إحياء روح الإسلام بعد

أن أضحي إسماً، وتطبيق شريعته السمحاء بعد أن كادت أن تصبح رمزاً . . .

مضت هذه الصفة المجاهلة في سبيل تحقيق أهدافها السامية حتى آخر الطريق، غير مبالية بالحياة وما فيها، ناصبة أعينها نحو رضوان الله ورحمته . . . وما بالوا بالموت، وما أسمى الموت حين يكون شهادة في سبيل المبدأ والإنسانية . . .

ويعبر الشاعر عن الحسين وصحبه شهداء الطف، وشهادتهم لتحيا الأمة والإنسانية من دمائهم:

رأى بأن سبيل الغي مُتبَعْ

والرُّشد لم تدر قومَ أَيَّةَ سَلَكَا

والئَّاسُ قَدْ عَادَتْ إِلَيْهِمْ جَاهْلِيَّتُهُمْ

كَانَ مِنْ شَرْعِ الْإِسْلَامِ قَدْ أَفْكَأَ

وقد تحكم بالإسلام طاغية

يُمْسي ويُصْبِحُ بِالْفَحْشَاءِ مِنْهُمْ كَا

قد أصبح الدين يشكو منهم أسفًا

وَمَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ الْحَسَنِ شَكَا

وَمَا رَأَى السُّبْطُ لِلَّدِينِ الْحَنِيفِ شَفَى

إِلَّا إِذَا دَمَهُ فِي كَرْبَلَا سَفِكَا

وَمَعَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَاتَمْ ثَلَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِهِ مُسْتَبْشِرِينَ

بالشهادة بين يديه، موقنين برسالتهم الإنسانية، وهدفهم الدعوة إلى إحياء سُنة الرسول ونهجه، وتطبيق الرسالة الإلهية السمحاء . . .

وفي طليعة هؤلاء أبو الفضل العباس نجل علي ؑ وأخو الحسين، وأخر من بقي من صحبه وأهله، وحامل رايته يوم عاشوراء . . .

لل Abbas منزلة عظيمة لا تُضاهى، وإيمان ثابت لا يتزلزل، فقد عرض عليه الأمان والسلامة وما يطلب ويريد على أن يتخلّى عن ما هو ماضٍ عليه، ويترك أخاه وحيداً بين سيف الأعداء ورماهم، ولكنَّ الإيمان كان أثبت في نفسه مما ظنوا، كان قد أبصر نور الهدى فاتبعه وترك ما يتنافس فيه أهل الأطماع من سقط المتعاد . . .

وهذه الوريفات القلائل جمعت بعض ما تناثر في أمehات الكتب التاريخية من سيرة هذا الشهيد البطل ونسبة وموافقه وعيون أخباره . . .

وللوقوف على سيرة العباس وموافقه كان لا بد من استعراض بعض من تاريخ تلك المرحلة الأولى من حياة الإسلام، وتسلیط شيء من الضوء على أحداث تلك الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين، والتي انعکست آثارها فيما بعد على تاريخ المسلمين العام ومذاهبهم وانقساماتهم . . .

وما التوفيق إلا بالله



المبحث الأول:

ظلال على المهد

— نسب غير الأنساب

— الولادة المباركة

— الحبّا الواعد



## نسب غير الأنساب

الحديث عن العباس بن علي عليه السلام، يدفعنا للحديث عن نسبه الكريم، فهو غصن نضير من الدوحة الهاشمية؛ أبوه الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله ووصيه وأول من آمن به وصدقه، وفارس الإسلام المجاهد بين يدي الرسول، والعالم الذي علمه النبي ألف باب من العلم، فهو مجمع الفضائل ومتهى المكارم.

وقد اجتمع لعلي عليه السلام من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخصال، وباذخ الشرف ما لم يتهمأ لغيره من أفذاد الرجال؛ فقد لازم رسول الله صلوات الله عليه وسلم فتياً وتبعه في غدوة ورواحه، وأمن به، وتعلم من هديه وكان المقدم بين أصحابه. وعلى امتداد تاريخ المسلمين الأول غالباً ما كانت السلطة والحكم في أيدي مناوي الإمام علي عليه السلام، وقد جهدوا في جحد مناقبه ولصق المساوىء والمثالب به، فكتم أعداؤه مناقبه حسداً وبغضاً وطمعاً في صلات الحكماء، كما كتمها أولياؤه ومحبوه فرقاً من السلطة، ورغم ذلك ظهر منها ما ملا الخافقين على حد تعبير رواة الحديث . . .

وما أروع ما نظمه السيد الحميري في ذكره لبعض فضائل

أمير المؤمنين عليه السلام :

سَأَلَ قَرِيشًا إِنْ كُنْتَ ذَا عَمَّةٍ  
 مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الَّذِينَ أَوْتَادا  
 مَنْ كَانَ أَقْدَمَهَا سَلْمًا وَأَكْثَرُهَا  
 عُلَمَاءً وَأَطْهَرُهَا أَهْلًا وَأَوْلَادًا  
 مَنْ وَحَدَ اللَّهَ إِذْ كَانَتْ مَكْذِبَةً  
 تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَوْثَانًا وَأَنْدَادًا  
 مَنْ كَانَ يَقْدِمُ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ نَكَلُوا  
 عَنْهَا، وَإِنْ بَخْلُوا فِي أَزْمَةٍ جَادَ  
 مَنْ كَانَ أَعْدَلَهَا حَكْمًا وَأَقْسَطَهَا  
 حَلْمًا وَأَصْدَقَهَا وَعْدًا وَإِيَّاعًا  
 إِنْ يَصْدِقُوكُمْ فَلَنْ يَعْدُوا أَبَا حَسِينَ  
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ لِلْأَبْرَارِ حَسَادًا<sup>(١)</sup>

وَجَدُ العَبَّاسُ لِأَبِيهِ أَبُو طَالِبٍ طَالِبًا مُؤْمِنًا قَرِيشًا وَشِيخَ مَكَّةَ؛ الَّذِي سَادَ قَوْمَهُ فَقِيرًا، وَمَا سَادَ فَقِيرًا قَطُّ، وَذَلِكَ لِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ كَرِيمٍ الشَّمَائِلِ وَالصَّفَاتِ... وَيَكْفِي أَبَا طَالِبٍ فَخْرًا أَنَّهُ حَامِي الرَّسُولِ وَنَاصِرُهُ وَالذَّابُ عنْهُ، بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ قَدْ جَهَدَتْ قَرِيشٌ فِي حَمْلِهِ عَلَى تَرْكِ رَسُولِ اللَّهِ وَبِذَلِكَ لَهُ فِي ذَلِكَ كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَ النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ الْمُؤْمِنَةِ مَحَالٌ أَنْ يَتَرَاجِعَ عَنْ مَبْدَئِهِ الَّذِي

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣/٢٤.

ارتضاه لنفسه...، ويمضي أبو طالب شامخاً زارعاً الهيبة والرعب في قلوب المشركين مردداً بصوته الجهوري:

أعوذ برب الناس من كُل طاعنِ

عليينا بشرٌ أو ملحٌ بباطلٍ

وبالبيت ركن البيت من بطن مكَّةٍ

وبالله إن الله ليس بغافلٍ

كذبتم وبيت الله نبْرَى محمداً

ولمَا نطاعن دونه ونناضلٍ

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهب عن أبنائنا والحلائلٍ

وينهض قوم في الحديد إليكم

نهوض الرؤايا تحت ذات الصلاصل

ويسترسل أبو طالب مادحاً ابن أخيه محمداً:

وأبيض يستقسى الغمام بوجهه

ربع البتامي عصمة للأراميل

يلوذ به الهالك من آل هاشمٍ

فهم عنده في نعمة وفواضل

لقد علموا أن ابننا لا مكذبٌ

لديهم ولا يُعنى بقول الأباطلٍ

## حليم رشيد عادل غير طائش

يُوالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِذَاهِلٍ<sup>(١)</sup>

وبحجَّاد أبي طالب ودفاعه عن رسول الله ﷺ، ارتفعت دعوة الهداء خفاقة على تلك الربوع، ولعل شجاعة أبي طالب وصموده على الحق أضحت ميراثاً في ولده، يتوارثونها كابراً عن كابرٍ حتى تجسدت مجدداً في العباس بن علي عليهما السلام سافي العطاشى وبطل العلقمي . . .

ومن أجداد العباس لأبيه عبد المطلب، جدُّ رسول الله ﷺ، وزعيم قريش غير المنازع، ومن موافقه الشهيرة يوم الفيل، حين عزم أبرهة الحبشي على هدم البيت الحرام فهربت قريش ما خلا عبد المطلب ورفيق له، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي باب البيت الحرام وينشد:

لَا هُمْ إِنَّ الْمَرءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَهُ حِلَالَك

لَا يَغْلِبُوا بِصَلَبِهِمْ وَمِحَالِهِمْ عَدُوًا مِحَالَك<sup>(٢)</sup>

لَا يَدْخُلُوا بَيْتَ الْحَرَامِ إِذَا فَأْمَرْتَ مَا بَدَأْتَك<sup>(٣)</sup>

ثمَّ كانت الكرامة الإلهية في هلاك أصحاب الفيل تلك الحادثة التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الفيل . . .

(١) شعر أبي طالب وأخباره، جمع أبي هقان المهزمي: ٣٣.

(٢) الحلال: القوم الساكنون في المكان، والمحال: التدبير والقوة.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦٩١/١٠.

ولعبد المطلب كرامة أخرى وهي آئه صاحب زمزم وساقى الحجيج، فهو الذي حفر بئر زمزم بعد أن درست آثارها، وهو الذي كان يقوم بسقاية حجاج بيت الله الحرام بمكة... وقد نسج ولده من بعده على منواله، فعلى عليه السلام سقى المسلمين يوم بدر...، وابنه العباس ساقى العطاشى في كربلاء، واستشهد وهو في طلب الماء لعيالات الحسين عليه السلام.

وكما كانت الشجاعة ميراثاً للعباس وأجداده، كانت سقاية العطاشى كذلك، ويروي المؤرخون أن هاشماً كان أول من سقى بمكة ماء عذباً<sup>(١)</sup>.

وهاشم هو والد عبد المطلب، وقد اشتهر بإضافة الحجيج، وهو أول من سنَّ لقريش رحلتي الشتاء والصيف الذين ذكرهما الله عز وجل في سورة قريش من القرآن الكريم.

وقد مدحه الشعراء بآيات منها:

يا ذا الذي طلب السماحة والندي  
هلاً مررت بآل عبد مناف  
لو إن مررت بهم تريد قراهم  
منعوك من جهد ومن إيجاف

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢١١/١٥.

القائلين بكلٍّ وعد صادقٍ  
ورجال مكة مُسْتَرِّين عجافٍ  
سفرين سُئْمَالَه ولقومه

### سفر الشتاء ورحلة الأصياف<sup>(١)</sup>

أمّا جدّة العباس لأبيه فهي فاطمة بنت أسد، زوج أبي طالب، المرأة المؤمنة الصالحة التي رعت رسول الله في بيتهما صغيراً، وأمنت به وصدقته نبياً، ثم هاجرت فيمن هاجر إلى يثرب، وهناك وفاتها أمر الله فشيّعها رسول الله ﷺ وال المسلمين وكفّنها برداءه وصلّى عليها تكريماً لموافقها الجليلة . . .

أمّا والدة العباس فهي السيدة أم البنين، فاطمة بنت حزام الكلابية<sup>(٢)</sup>، وأم البنين هو اسم تطلقه العرب على فتياتها تيمناً بكثرة الأبناء، وهي من أسرة ذات صيت أبنائها على أنّهم من الشجاعة والفروسيّة بمكان . . . يحدّثنا المؤرخون أنّ علياً عليه السلام استشار أخيه عقيلاً، وطلب منه أن يرشده إلى زوجة قد ولدتها فرسان العرب وشجعانهم لتلد له غلاماً فارساً؛ فأشار عليه عقيل بأم البنين، وذكر أنه ليس في العرب أشجع ولا أكثر إقداماً من آبائها<sup>(٣)</sup>.

(١) مجمع البيان: ٦٩٨/١٠.

(٢) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٨٧.

(٣) أعيان الشيعة، الأمين: ٤٢٩/٧.

وفي آبائها يقول الشاعر المشهور لبيد للنعمان بن المنذر ملك الحيرة :

نحن بني أم البنين الأربع  
الضاربون الهمام تحت الخيبة  
والمطعمون الجفنة المدعنة  
ونحن خير عامر من صعصعة  
فلا ينكر عليه أحد ذلك .

ومن أجداد أم البنين أبو براء المشهور بملاعب الأسئلة، ولم تعرف العرب مثله في الشجاعة والأقدام؛ وقد لقبه بملاعب الأسئلة أحد الشعراء حينما رأه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به فقال :

يلاعب أطراف الأسئلة عامر  
فراح له حظ الكتاب أجمع<sup>(١)</sup> .



(١) العباس بن علي، المقرئ: ٧٤.

## الولادة المباركة

يروي المؤرخون أنَّ أبا الفضل العباس ولد في العام السادس والعشرين من الهجرة النبوية المباركة، ففي الرابع من شهر شعبان أطلَّ على هذه الدنيا، ليعيش في بيت الطهر والإيمان... ولعلَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يحمل الوليد الجديد بيديه تفَرس فيه معالم النباهة والشجاعة؛ وأحسب أنَّ الأحداث دارت دورتها بباليه، فرأى معاداة زعماء قريش والعرب له، فقد قتل صناديدهم وأذلَّ كبراءهم حتى دخلوا الإسلام وأذعنوا للدين الجديد وكفوا عن محاربته في العلن على الأقل... وزعماء قريش لا زالوا يُكنون العداوة لهذا الدين الذي سلبهم مناصبهم وأموالهم التي اكتسبوها بغير الحق، ويحلمون باليوم الذي يشفون غليلهم بالانتقام من أسرة النبي عليه السلام ورهطه... كلُّ ذلك ما أظنه غاب عن بال علي عليه السلام، وهو يرى ولدته الجديد ومعالم الشجاعة بادية عليه، فيحب أن يضفي على نجله ظلالاً من مهابة فيسميه العباس...

والعباس من أسماء الأسد، وهو على حد تعبير ابن منظور: الأسدُ الذي تهرب منه الأسدُ<sup>(١)</sup>؛ ويُكثّي الغلام بآبي الفضل تيئناً بالفضل والنجابة.

وبهذه الصفات الغرّ امتدحه الشعراء وأكثروا في ذلك:

وتعبسُ من خوفِ وجوهِ أمينةٍ  
إذا كرَّ (عَبَّاسُ) الوغى يتباشمُ  
أبو الفضل يأبى غيره الفضل والإباء  
أباً فهو إماماً عنه أو فيه يرسمُ  
علیمٌ بتأويل المنية سيفه  
نزول على من بالكريهة معلمٌ




---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة عبس: ٢٠/٩.

## الصبا الوعاد

نشأ العباس في ذلك البيت المقدس، في بيت علي عليه السلام، تحوطه عنابة أمير المؤمنين الذي ما فتئ يتفرّس في نجله معالم النباهة والشجاعة... ويشبّع العباس وفيه جمال ومهابة آل محمد، حتى قيل في وصفه فيما بعد: كان وسيماً، يركب الفرس المطهم، ورجله تخطّان في الأرض، وكان يقال له: قمربني هاشم<sup>(١)</sup>.

ويتبع العباس خطى والده وإخوته أبناء رسول الله، يهتدى بهداهم ويستنير بأنوار علومهم، حتى عرف بالعلم والمعرفة مشفوعين بالإيمان واليقين، ولا بدّع في ذلك فهو سليل أمير المؤمنين وربّيّ بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل...

عاش العباس صباحاً ومطلع شبابه في عهد الأزمة التي أحاطت بالخلافة، وأودت فيما بعد بحياة الخليفة الثالث، هذه الأزمة التي بذل فيه والده جهده في دفع الثوار من جهة وحث الخليفة على تطبيق شرع الله وأحكامه في العدل والمساواة من جهة أخرى...، ولا ريب أن هذه الأحداث قد تركت أثراً في

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني: ٩٠

نفس العباس ورأى بعينيه ولمس اليد خيانة كبار الصحابة وتحريضهم على اغتيال عثمان ثم سعيهم للمطالبة بدمه فيما بعد طمعاً وحرصاً على المصالح والأموال... كلُّ هذه الأحداث لا بدَّ وأن تكون قد مرت أمامه وخبرها ورأى أنَّ الإيمان ليس مجرد طقوس من صلاة وصيام ودعاء، وإنما الإيمان دين الحياة وشريعتها الكاملة، الإيمان أن لا ينهار الإنسان أمام المال والعصبية والمناصب... .

وهكذا كان العباس، فقد عُرف بصلابة الإيمان والوقف على المبدأ، حتى قال فيه الإمام الصادق عليه السلام فيما بعد:

«كان عمنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان»<sup>(١)</sup>.



(١) أبطال الهاشمين، علي دخيل: ٢٩٥.



## المبحث الثاني:

### حديث الخلافة

— عليؑ في عهد الرسول ﷺ

— السقيفة والخلافة

— ثورة الشعب ومصرع الخليفة



## علي في عهد الرسول ﷺ

لآل أبي طالب مكانة خاصة عند النبي محمد، فقد عاش ببرهة من الزمن في عنابة أبي طالب وكفالته، وأبو طالب شيخ البطحاء وزعيم قريش كان يستشرف إمارات النهاة والقداسة في ابن أخيه فيحيطه برعايته ويحرص على سلامته فهو البقية الباقية من أخيه الراحل عبد الله، وهو الأثير عند عبد المطلب والد أبي طالب، وقد آثر به ابنه أبا طالب وأوصاه برعايته . . .

وتمر الأيام ويدفع صيت محمد ويرى فيه القرشيون شمائل النجابة والصلاح فيلقبونه بالصادق الأمين وتُضحى له مكانة خاصة في قلوب أهل مكة ووفادها . . .

غير أن الأيام دارت دورتها وأضرت المعيشة بأبي طالب وقلت ذات يده، وكيف لا وهو جواد مكة وكريمها فما كان يردد سائلاً ولا يخيب راجياً، فيزمع النبي عليه مساعدة عمه، فيأخذ ابنه علياً ويضمه إلى عائلته ليخفف عن عمه، وعلى حينذاك كان لا يزال في طور الصبا . . . ويؤرخ الإمام علي عليه السلام لتلك المرحلة من حياته حيث نشأ على سامي الصفات وتحلى بالمكارم والفضائل مقتبساً ذلك من ابن عمه وكافله:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيقَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ، وَأَنَا وَلَدُ  
يَضْمُنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُفِنِي إِلَى فِرَاسِهِ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ،  
وَيُشْمِنِي عَرْفَةً<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَمْضِعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي  
كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً<sup>(٢)</sup> فِي فَعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ، صَلَى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ لَدْنِ أَنْ كَانَ فَطِيمًا، أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ،  
يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَةَ وَنَهَارَهُ،  
وَلَقَدْ كُثِرَ أَتَبَعُهُ اتَّبَاعَ الْفَصِيلِ<sup>(٣)</sup> أَثْرَ أُمَّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ  
أَخْلَاقِهِ عَلَمًا<sup>(٤)</sup>، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ  
سَنَةٍ بِحِرَاءَ<sup>(٥)</sup> فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمِعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَؤْمِنْ  
فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا  
ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمَرُ رِيحَ النُّبُوَّةِ...»<sup>(٦)</sup>.

ثم بعث محمد ﷺ بالنبوة، فكان علي أول من صدقه،

(١) يكتفي...: يجعلني بجنبه، وعرفه: رأيته.

(٢) خطلة: خطأ.

(٣) الفصيل: ولد الناقة.

(٤) يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً: العلم: الراية. والمراد: أتعلم في كل يوم منه خلقاً، وأهتمي إلى فضيلة، كالعلم الذي يستهدي به.

(٥) يجاور...: كان قبلبعثة يقيم في حراء للعبادة. وحراء: جبل قريب من مكة.

(٦) نهج البلاغة، شرح علي دخيل: ٢٧٣.

وهو القائل «والله لأنّا أول من صدّقه»<sup>(١)</sup>؛ ومكث رسول الله ﷺ بمكة يدعو قومه إلى دين الله وأمنت معه قلة قليلة من قريش وسواهم.

غير أن قريش ساءها ما كان من أمر رسول الله الذي يدعو إلى نبذ الأصنام وإلى العدل والمساواة ونبذ العصبيات وإلى مكارم الأخلاق والصفات...، فحاولت جاهدة إطفاء نور الله طيلة بقاء الرسول بمكة، واستعملت كافة السُّبُل حتى لم تتورّع عن محاولة اغتيال الرسول لإطفاء نور دعوته، فهاجر الرسول ﷺ إلى يثرب حيث كان قد أسلم قسم كبير من أهلها...

وفي المدينة أسس الرسول ﷺ دولة الإسلام الأولى؛ وفي خلال هذا المراحل كلها يلحظ المتتابع الدور البارز الذي اضطلع به الإمام علي في تثبيت الدعوة وحمايتها من المشركين... وسنذكر من مواقف الإمام علي عليه السلام المشهودة شيئاً يسيراً وكما قال الشاعر:

هذه من علاه إحدى المعالي

وعلى هذه فقس ما سواها

ففي بداية الدعوة نزل قوله تعالى **﴿وَأَنِذْرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**

(١) نهج البلاغة: ٧٠.

[سورة الشعراء : ٢١٤] فدعا رسول الله ﷺ وعشيرته ثم أنذرهم ودعاهم إلى الإسلام، بعدها قال لهم : من يؤاخيني ويوازرنني ويكون وصيي بعدي وخليفتني . . ، فسكت القوم، فأعادها ثلاثة، كل ذلك يسكتون إلا علي عليه السلام يقول : أنا يا رسول الله، فبأيعه وأجابه على ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي مكة وخصوصاً حين حصر المشركون ببني هاشم في شعب أبي طالب، كان الإمام علي ملازماً لرسول الله حتى أنه كان يبيت على فراشه في الشعب خوفاً من قريش التي كانت تترصد رسول الله وقد تقدم على اغتياله في أي وقت . . .

وتمر الأيام وعلى يلازم رسول الله وينهل من معين علمه الإلهي وينصره ويعينه ما أمكنه ذلك، حتى كان عام الهجرة، حين توفي أبو طالب حامي الرسول وناصره، وتوفيت زوجته خديجة بنت خويلد التي ما فتئت تؤازر الرسول وتناصره، فتكلب المشركون على رسول الله واضطروه لأن يفكربترك مكة ميمماً وجهه شطر يثرب التي كان أسلم بعض أهلها وتعاهدوا على نصرة الرسول الكريم.

ويتواعد المشركون على اغتيال رسول الله ﷺ في إحدى الليالي، ويقر الرسول قراره على الهجرة في تلك الليلة إلى يثرب، فيطلب من علي أن يبيت في فراشه ويلتحف ببردته.

(١) ذكر جل أهل التفسير الحادثة، وللمزيد راجع : مجمع البيان : ٧/٢٦٨.

وتتجلى عظمة علي عليه السلام فهو لا يسأل رسول الله عن مصيره هو وإنما يبادر الرسول سائلًا: أو تسلم يا رسول الله؟... .  
ويبيت علي عليه السلام في فراش الرسول والمشركون متربصون بذلك البيت ينظرون من طرف خفي ويظئون أن ذلك النائم هو رسول الله، وحين هدأت الأصوات ونامت العيون وانتصف الليل هجم المشركون يحدوهم الأمل في الخلاص من رسول الله عليه السلام ذاك الذي سفه آهاتهم وعاب دينهم وأراد القضاء على مصالحهم... ، ويواجهون بعلي عليه السلام فينقلبوا خائبين... .

ويواصل رسول الله عليه السلام طريقه نحو يشرب ليؤسس حاضرة الإسلام الأولى... .

ويبقى علي في مكة يسلم وداع رسول الله، ويلحق به بعد أيام إلى يشرب، وتصحبه بعض النساء ويجهد المشركون في منعه، فيصرع أحدهم في الطريق، وينشد مرتजأً حادياً الرواحل نحو المدينة:

خَلُوا سَبِيلَ الْجَاهِدِ الْمُجَاهِدِ

الَّتِي لَا أَعْبُدُ غَيْرَ الْوَاحِدِ

ونحن حين نقلب صفحات التاريخ، وندرس حياة العباس بن علي عليه السلام لا بد وأن تمر في بالينا هذه الواقعة، ترى هل مرت ببال العباس وهو يحمي مع أخوه عيال رسول الله في طريقهم وهو يقطعون القفار من المدينة إلى مكة ومنها إلى الكوفة؟... .

كان المشركون حينها قد اضطروا أباه ورسول الله من قبل على ترك البلد الحرام موطنهم، واليوم هم أحفاد أبي سفيان وأشياعهم يعيدون سيرة أجدادهم ويضطرون آل الرسول لترك ديارهم في المدينة ليتوجهوا إلى مكة ومنها نحو العراق . . .

على أي حال، سار علي مع الظعن نحو المدينة ليجد رسول الله ﷺ في انتظاره، ويجد قلوب أهل يشرب مفتوحة للذين الجديد وكلهم يهتفون ويهزجون فرحاً بالقادمين. وفي يشرب التي أضحت تسمى بعد وفود الرسول ﷺ إليها: المدينة المنورة كان علي عليه السلام يزداد مجدًا إلى مجد ومناقب إلى مناقب كل يوم . . .

فحينما آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين جعل علياً أخيه، وزوجه بابته فاطمة سيدة نساء العالمين وما فتئء يشيد به في كل مناسبة ترد . . .

ويكفي في فضله أنه حامل لواء المسلمين في أغلب غزوات رسول الله ﷺ، وما أرسله ﷺ في غزوة أو حملة إلا وهو الأمير على الجيش، وقد كان يرسل أحياناً جيشين في طريقين مختلفين، ويؤمر علياً على أحدهما وعلى الآخر قائداً ثالثاً، ثم يؤكد عليهم أن إذا التقى فالامير علي .

وفي كل هذه الحروب كان علي عليه السلام المجاهد الذي ما فرّ قط، ولا تقاعس قط عن نصرة نبيه ونصرة ربه؛ ويكفيه فخرًا

موقفه في غزوة الخندق، حينما بُرِزَ عمرو بن عبد ود العامري أحد صناديد قريش وأبطالها يطلب المبارزة والقتال، فتقاعس عنه المسلمون أجمعهم ورسول الله يدعوهم إلى قتاله ويعدهم الجنة، وعمرو يكرر فيهم النداء تلو النداء ثم أخذ يعيّرهم بالجبن...، ولا يقوم له إلاً على ﷺ فيبارزه ويصرعه؛ وفي تلك الضربة يقول رسول الله ﷺ :

«ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين إلى يوم القيمة». ولعل من أبرز المواطن التي نصّ فيها رسول الله ﷺ على علي ﷺ وأمامته من بعده هي واقعة الغدير، ونحن نذكرها باختصار كما وردت في كتب السير والتاريخ والتفسير: ففي طريق عودة رسول الله من مكة إلى المدينة بعد قيامه مناسك الحج في حجة الوداع، نزل عليه الوحي بقوله تعالى: «إِنَّمَا أَنزَلْنَا لَكَ مِنْ رِزْكٍ وَإِنَّمَا تَفْعَلُ فَمَا بَلَغْتَ بِرِسَالَتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ يَعِصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ» [المائدة: ٦٧] فأمر رسول الله أن يردد من تقدم من الناس ويُنتظر من تأخر عنهم وقد كانت الألوف من المسلمين ترافق رسول الله في حجه...، ثم نصب له منبر فقام خطيباً في المسلمين وقال:

«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟».

فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

ثم أخذ بيد علي عليهما السلام فرفعها... وقال: أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليه مولاه...، اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب... .

ثم نزل الوحي بقوله تعالى:

﴿آتَيْوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْنَكُمْ يَعْمَلُونَ وَرَضِيْتُ لَكُمْ أَإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

ثم طرق المسلمون يهئون علياً عليهما السلام، وممن هنأ أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة...<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر أهل السير، أن حسان بن ثابت شاعر رسول الله عليهما السلام، استأذنه أن ينظم شعراً في المناسبة، فأذن له، فأنشد:

(١) راجع، الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ١٢٢، الذي ذكر أنه ورد عن ثلاثة صحابياً، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، مؤسسة الأعلمي: ٣٨٢/٣، وقد ذكر الخبر العلامة الأميني في موسوعته: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب: ١/٣٣ عن مصادر كثيرة.

يناديهم يوم الغدير نبئهم  
 بخُم وأسمع بالتبني مُناديا  
 فقال من مولاكم ونبيكم  
 قالوا ولم يبدوا هناك التعاميا  
 إلهك مولانا وأنت نبينا  
 ولم تلق مثا في الولاية عاصيا  
 فقال له: قم يا علي فإني  
 رضيتك من بعدي إماماً وهاديا  
 فمن كنت مولاه فهذا ولدك  
 فكونوا له أتباع صدق مواليا  
 هناك دعا اللهم والي ولبيه  
 وكن للذي عادى علياً مُعاديا<sup>(١)</sup>



(١) ذكر الأبيات جمع من المؤرخين والمحدثين، راجع الغدير: ٦٥/٢.

## السفينة والخلافة

في عهد رسول الله ﷺ رأيناكم كان يولي علياً عليهما السلام الإهتمام ويهيئه يوماً بعد يوم لخلافته ولعل أبرز تلك المواقف كان يوم الغدير؛ غير أن الحال كانت قد بدأت بالتغيير بعد فتح مكة أو قبله بقليل، فزعماء قريش رأوا قوة المسلمين في ازدياد يوماً بعد يوم فأخذوا يدخلون في الإسلام وهم كارهون حماية لمصالحهم ومرابكز نفوذهم...، وما كان هؤلاء يتورعون عن الكيد للإسلام في كل فرصة تسع لهم.

وفي أواخر أيام رسول الله ﷺ قام بعملين عظيمين كادا أن يحسمما الخلاف والنزع حول خلافته، غير أن الأطماع والعصبيات كانت سداً حائلاً دون ذلك، وكان ما كان بعد ذلك من نزاعٍ وتناقضٍ.

العمل الأول يحدثنا عنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وهو يكشف دموعه أسفًا على المصير الذي آلت إليه الأمور؛ يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جرت دموعه على خديه، وأكمل راوياً: اشتد برسول الله ﷺ مرضه ووجعه، فقال: إيتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لا تضللون بعدي أبداً، فتذاقونا. فمنعه بعض الصحابة من ذلك وعلى رأسهم الخليفة

الثاني، واتهموه بالهجر<sup>(١)</sup>. وواضح من هذا الحديث أن رسول الله كان ينوي تحديد أمر خلافته عبر وصية مكتوبة فحال القوم بينه وبين ذلك!

ونحن حين نحاكم هذا النص التاريخي نستغرب الكثير مما جرى، فهل كان النبي ينوي تدمير الإسلام وتشويهه فهـ من الصحابة من هـ لاستنقاده؟ وهـ يكون الحرص على الإسلام عن طريق الحصول بين النبي وبين ما يريد أن يوصي به أمتـ؟ . . . ، وأين كتاب الله الذي ينصـ صراحة على إطاعة أمر الرسول دون أيـ تردد:

﴿وَمَا ءاَتَكُمُ الرَّسُولُ فَحْذِرُوهُ وَمَا تَهْنَكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَمُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

في الواقع لا مفرـ من أمرـين: إما أنـ نتهم الصحابة في ذلك، وإما أنـ نتهم النبي ﷺ؛ وهـ يعقل أنـ نتهم رسول الله ﷺ في سبيل تبرئة ساحة صاحبـي ما، بالغاـ ما بلغـ قدرـه؟ . . .

أما العمل العظيم الآخر الذي أمرـ به رسول الله دون أنـ يـنـفذ فهو تسـير جـيش أسـامة بن زـيد إلى فـلـسـطـين، وقد ضـمـ الرسـول ﷺ إلى هذا الجـيش من كان يـحسـ منهم الرـغـبة في

(١) وردـت هذه الحـادـثـة في جـمعـ من كـتبـ التـارـيخـ والـحدـيـثـ، أـهمـها تـارـيخـ الطـبـريـ: ٦١/٣ـ، الـكـاملـ فـيـ التـارـيخـ، ابنـ الأـثـيرـ: ٢/٧ـ، وـصـحـيـحـ الـبـخارـيـ، بـابـ الـمـرـضـىـ.

الخلافة، وأبقى علياً إلى جانبه، ويصدر الرسول ﷺ أوامرها مُشدّدةً بالتوجه مع الجيش، ولكن الأيام والأسابيع تمر دون أي جدوى ورسول الله يشدد أوامره في الزحف دون سمع أو طاعة...، يعتذرون بخوفهم على صحة رسول الله الذي أثقله الداء، ويصرّون على البقاء فيما هو يصرّ على ذهابهم ويدعو باللعن على الرافضين أمره<sup>(١)</sup>.

ثم يحدثنا التاريخ عن ساعة وفاة الرسول ﷺ حين خرج المسلمون تعليهم سحائب الحزن والأسى والذهول، وكان علي عليه السلام مع بعض الصحابة يجهزون جثمان رسول الله بعد وفاته، فيما كان نفر من الأنصار يجتمعون ليقرروا شخصاً من بينهم ليكون الخليفة بعد الرسول متناسين نصوص الرسول الكثيرة في علي عليه السلام...، وفيما هم في نجواهم ونقاشهم دخل عليهم عدد من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، ودار النقاش حول من يشغل منصب الخلافة، وأخيراً قرر قرار المجتمعين بطريقة أو بأخرى على أبي بكر خليفة لرسول الله، باعتباره قريشاً من عشيرة الرسول... ويطرق النبأ المجتمعين في دار الرسول يجهزونه إلى مثواه الأخير، فتكون من علي عليه السلام ملاحظات في الطريقة والمنهج، على تصرف بعض الأنصار والمهاجرين في هذا الأمر؛ فإن كان الأمر شورى فكيف تم وما

(١) تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ٢١٥، عن عدّة مصادر.

استشير في ذلك إلا قلة قليلة من الصحابة المجتمعين في السقيفة، وإن كان بالقرابة من رسول الله فمن أقرب من علي عليهما السلام للرسول ﷺ! ...

وننقل هنا بعض النصوص الواردة في نهج البلاغة لعلي عليهما السلام يناقش فيها أمر الخلافة والسقيفة:

قال عليهما السلام: «ما قالت الأنصار؟»، قالوا قال: «منا أمير ومنكم أمير»، قال عليهما السلام:

«فهلاً أختججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصي: بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم».

قالوا: «وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليهما السلام: «لو كانت الإمامة فيهم لم تكون الوصية بهم».

ثم قال عليهما السلام: «فماذا قال قريش؟» قالوا: «أختججت بآتها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم».

فقال عليهما السلام: «أختجحوا بالشجرة وأضاعوا الشمرة»<sup>(١)</sup>.

ويقول عليهما السلام:

«ولما احتاج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله عليهما السلام فلجوا عليهم، فإن يكن الفرج به فالحق لنا دونكم،

(١) نهج البلاغة: ٩١

وإذ يُكْنَى بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ويقول عليه السلام:

«إِنْ كُنْتَ بِالشَّورِيِّ مُلْكُتَ أَمْوَالَهُمْ  
فَكَيْفَ بِهَذَا وَالْمُشِيرُونَ غَيْبُ  
وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرَيْشِ حَجَبْتَ خَصِيمَهُمْ  
فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالثَّبَيِّ رَأْقَرْبٌ»<sup>(٢)</sup>

ويُقْسِمُ الخليفة الثاني بيعة أبي بكر بقوله:

«إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا»<sup>(٣)</sup>.

وبعد سنين طويلة، وفي عهد خلافة الإمام علي عليه السلام، تحدث بعض المراسلات بين محمد بن أبي بكر، ومعاوية بن أبي سفيان، يعترف فيها معاوية بأحقية الإمام علي في الخلافة ويعلل مخالفته لعلي عليه السلام ومحاربته فيما بعد في صفين بالسير على سنن الخلفاء الأولين، والرسالة أوردها المسعودي في كتابه مروج الذهب كما يلي:

«من معاوية بن صخر، إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر، أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر ما الله اهله في عظمته وقدرته

(١) نهج البلاغة: ٤٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ٦٧٦.

(٣) تاريخ الطبرى: ٣/٧٠.

وسلطانه، وما اصطفى به رسول الله ﷺ، مع كلام كثير لك فيه تضييف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرباته إلى رسول الله ﷺ، ومواساته آيات في كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعييك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازما لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتم وعده وأظهر دعوته فأبلغ حجته وقبضه إليه صلوات الله عليه، كان أبوك والفاروق أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم انهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمما به الهموم وأرادا به العظيم، ثم انه بايع لهما، وأسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاشي، فطلبتما له الغوايل وأظهرتما عداوتكم حتى بلغتما مناكم. فإن يك ما نحن عليه صواباً فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب وسلمتنا إليه، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك، والسلام على من أناب»<sup>(١)</sup>.

(١) مروج الذهب: ٣/٢٢.

ويعلق العلامة العلaili على هذه الرسالة فيقول:

هذا رد مهما قيل فيه، ومهما فسر بأنه من حيل الدفاع واكتساب القضية، ومن مداورة الحصوم لأخذ السبيل عليهم، فإنه يحتفظ بحقيقة جوهرية، وهي أن خلافة أبي بكر كانت سابقة سهلت لكل أصحاب المطامع سبيل المزاحمة بل والمواثبة المعلنة<sup>(١)</sup>.

وبعد بيعة أبي بكر وتوليه الخلافة، أبي علي عليه السلام ومعه كبار الصحابة ذلك، فيهم الزبير وطلحة وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان...، وانحازوا إلى بيت علي عليه السلام، وواجهت الخليفة ورهطه أول مشكلة في عهده، ولم يكن للحوار والشورى في آراء وتصرفات الخليفة ورهطه مكان، فدعوا بالخطب ليحرقوا الدار على من فيها، أو يخرج علي والصحابة للبيعة<sup>(٢)</sup>.

بيت علي والزهراء، هذا البيت المقدس الذي كان يطرق بابه الرسول عليه السلام في كل صبيحة يتلو على مسامعهم الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الْرِّجَسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾، [سورة الأحزاب: ٣٣] هذا البيت أضحم في هيجان واضطراب عشية رحيل الرسول، وأصبحت البيعة تطلب من ساكنيه وإنما فالخطب والنار كفيلان بذلك!... .

(١) الإمام الحسين، العلaili: ٢٩.

(٢) تاريخ الطبرى: ٦٨/٣.

وأحسَّ الخليفة بشيء من الندم حين وفاته على هذا العمل، الذي هتك حرمة بيت الزهاء، فقال:

«وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد غلقوه على حرب»<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك، تبرز مشكلة فدك، وفديك باختصار قرية في الحجاز، قرب المدينة، كان سُكّانها طائفة من اليهود، ثم صالحوا الرسول ﷺ على قسم منها يعطوه إياها، فكانت ملكاً لرسول الله ﷺ حسب مقتضى النص القرآني لأنها تمت دون حرب، والقرآن يقول: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوجَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ»، [سورة الحشر: ٦].

ثم قدمها لابنته الزهراء ؓ، فانتزعها الخليفة الأول، وتواتت العهود على هذه الأرض، فحينما تولى عثمان الخلافة أقطعها مروان بن الحكم!، ثم قسمها معاوية لعدة نفر...

وقد أشارت مشكلة فدك أزمة مهمة أدت إلى خروج الزهراء ؓ إلى مسجد الرسول ﷺ وخطبتها الخطبة المشهورة مطالبة بفديك كتحلة أنحلها إياه رسول الله ﷺ تارة، وطوراً كإرث من الرسول ﷺ إن لم يصدقوا التحلاة...

(١) تاريخ الطبرى: ٣/٢٥٤.

وتخطب الزهراء في مسجد الرسول، تلك الخطبة المدوية التي ذكرها أو بعضها جمع من رواة الحديث، تحتاج فيها بآي الله وحديث الرسول ﷺ، دون أن يلقي كلامها إجابةً أو أثراً . . .

فتسسلم عندها استسلام المضطرب وتحمل الخليفة وزر عمله وتقول: «... فدونكها مخطومة مرحولة<sup>(١)</sup> تلقاء يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نباً مستقرًّا وسوف تعلمون . . .».

ثم تتعطف نحو القبر الشريف، قبر أبيها رسول الله ﷺ فتقول:

**قَذَّكَ بِغَدَكَ أَنْبَاءُ وَهَنْبَةُ**

**لَوْكَثَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُثُرْ الْخُطَبُ<sup>(٢)</sup>**

**إِنَّا فَقَذَّاكَ فَقَدَّ الْأَرْضِ وَابْلَهَا**

**وَاخْتَلَ قَوْمُكَ فَاشْهَدُهُمْ وَلَا تَغُبُ<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>**

(١) مخطومة مرحولة: أي عليها الخطام والرجل، وهو أساساً يقال عن الدابة واستعارته الزهراء عليها لفديك لفديك، والمراد جاهزة مجاهزة.

(٢) هنبة: الداهية التي تؤلم النفس.

(٣) الوابل: المطر.

(٤) بلاغات النساء، لابن طيفور، تحقيق د. يوسف البقاعي: ٢٣؛ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٥١/١٦.

وقد توسع بعض الباحثين في هذا المبحث، وللمزيد راجع «فك في التاريخ» للمفكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام.

وتولت المصائب على هذا البيت المقدس بيت علي والزهراء، ولعلنا نستشفُّ روح الأسى والحزن في كلام علي ومناجاته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بعد دفنه الصديقة الطاهرة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ التي فارقت الدنيا لاحقةً بأبيها بعد شهور معدودة، وقد دفنتها عَلَيْهَا السَّلَامُ ليلاً بوصية منها لثلا يحضر جنازتها أحدٌ من أقربها... .

يقول عَلَيْهَا السَّلَامُ:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنِّي وَعَنِ ابْنِتَكَ الْأَنْازِلَةِ فِي جِوارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ الْلَّحَاقِ بِكَ، قَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيفَتِكَ<sup>(١)</sup> صَبْرِي، وَرَقْ غَنْهَا تَجَلْدِي<sup>(٢)</sup>، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأْسِي<sup>(٣)</sup> بِعَظِيمٍ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحَ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزِّزٍ<sup>(٤)</sup>، فَلَقَدْ وَسَدَتِكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ<sup>(٥)</sup>... .

(١) صَفِيفَتِكَ: المفضلة عندك.

(٢) رَقْ: ضعف، وتَجَلْدِي: تحملني.

(٣) التَّأْسِي: في الاقتداء والإتباع لما سبق. والمراد: أن وفاتك كانت أعظم على مصيبة ومع ذلك فقد صبرت، وسأصبر هذه المرة كما صبرت في الأولى.

(٤) الفادح: الصعب المثقل، والتعزي: التصبر.

(٥) وَسَدَتِكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ... اللَّحَدُ: شق القبر الذي يوضع فيه القبر، رفاقت بين نحري وصدرني نفسك: المراد بذلك النفس الأخير.

فَإِنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ أَسْتَرْجَعْتِ الْوَدِيعَةَ، وَأَخْذَتِ  
الرَّهِينَةَ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمَسْهَدٌ<sup>(١)</sup> إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ  
لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وَسَتُبَيِّنَكَ أَبْنَاثَكَ بِتَظَافِرِ أَمْتَكَ عَلَى  
هَضْمِهَا<sup>(٢)</sup> فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ، وَأَسْتَخْبِرُهَا الْحَالَ<sup>(٣)</sup> هَذَا وَلَمْ يَطُلِ  
الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ<sup>(٤)</sup> ...<sup>(٥)</sup>.

وَعَمِلَ الْحَكَامُ عَلَى اسْتِرْضَاءِ زُعمَاءِ قُرِيشٍ، وَخَيْرٌ شَاهِدٌ  
عَلَى ذَلِكَ، قَوْلُ أَبِي سَفِيَّانَ حِينَ بَلَغَهُ اسْتِخْلَافُ أَبِي بَكْرٍ: مَا لَنَا  
وَلَا بَنِي فَصِيلٍ ...، فَقَيْلٌ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ وَلَى إِبْنَكَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ  
وَلَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفِيَّانَ عَلَى الزَّحْفِ نَحْوَ الشَّامِ ..، وَهُنَا تَنْشَرُ

(١) فَقَدْ أَسْتَرْجَعْتِ الْوَدِيعَةَ...: هِيَ الْزَّهْرَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ وَدِيعَةً  
عِنْدَ الرَّجُلِ، يُلْزِمُهُ الْحَفَاظُ عَلَيْهَا. وَأَخْذَتِ الرَّهِينَةَ: يَقُولُ ابْنُ أَبِي  
الْحَدِيدِ: كَانَهَا عَلَيْهَا كَانَتْ عَنْهُ عَوْضًا مِنْ رَؤْيَا رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
كَمَا تَكُونُ الرَّهِينَةُ عَوْضًا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَخْذَتِ رَهِينَةً عَلَيْهِ. سَرْمَدٌ:  
دَائِمٌ، وَلَيْلِي فَمَسْهَدٌ: سَهْرَانٌ.

(٢) وَسَتُبَيِّنَكَ: سَتُخْبِرُكَ. بِتَظَافِرِ أَمْتَكَ: بِتَعَاوِنِهِمْ، عَلَى هَضْمِهَا: عَلَى  
ظَلْمِهَا.

(٣) فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ: اسْتَقْصِنَ فِي سُؤَالِهَا. وَاسْتَخْبِرُهَا الْحَالَ: إِسْأَلْهَا عَمَّا  
لَاقَهُ بَعْدَكَ مِنِ النَّكَباتِ.

(٤) هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ: لَمْ يَكُنْ بِقَائِمِهَا بَعْدَكَ بِالْطَّوِيلِ، بَلْ هِيَ حَدُودٌ  
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ بَالَّغُوا فِي الْإِسْعَادِ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ  
الْذِكْرُ: عَلَمَا أَنْ ذَكْرَكَ قَائِمٌ بَيْنَهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

(٥) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ٤٠٢.

أسارير أبي سفيان، ويتغير موقفه كلياً فيقول: وَصَلَّتْهُ رَحِمْ<sup>(١)</sup>!

أما عن موقف الإمام علي من هذه الأمور، فقد رأى أن المطالبة بحقه في هذا الظرف قد تجر الإسلام إلى خلافات وحروب...، فقدر أن الصبر في مثل هذه المواطن خير من الخلاف، وهذا ما نلاحظه بوضوح في كلامه عليه السلام:

«لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَا سُلْمَانَ مَا سَلَمَثُ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَزْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لِأَجْرٍ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَرُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول عليه السلام:

«فَلَمَّا مَضَى عليه السلام، تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رَوْعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعَجَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنْهُمْ مُنْخَوَةٌ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَأَيْتَ إِلَّا اثْبَاتَ النَّاسُ عَلَى فَلَانَ<sup>(٣)</sup> يُبَايِعُونَهُ، فَأَنْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً النَّاسَ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِيقَ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ

(١) تاريخ الطبرى: ٣/٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ٩٩.

(٣) فلان: المراد الخليفة الأول.

أَنْصَرَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَذِمًا تَكُونُ الْمُضِيَّةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمُ مِنْ فَوْتٍ وَلَا يَتَكَبَّرُ . . . »<sup>(١)</sup>.

ويحدثنا التاريخ أنَّ علياً قام مقام الناصح المشيق لمن سبقه من الخلفاء، وقد كانوا يستشرون في كل أمرٍ وملمة حتى قال الخليفة الثاني: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» وقال: «الولا على لهلك عمر» وقال «لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر» . . .<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو بكر قد استخلف من بعده عمر بن الخطاب، وبذلك غاب مفهوم الشورى الذي تذرع به بعض المتدرّعين في السقيفة؛ ولما كان الخليفة الثاني على وشك مفارقة الحياة بعد اغتياله، أوصى بشورى ستة من الصحابة هم: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ويروي الطبرى طريقة الشورى هذه في كلام للخليفة كلمه أبا طلحة الأنباري وقد أمره على مجموعة من قومه: إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما . . . ، فإن رضي ثلاثة منهم رجلاً وثلاثة رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلو الباقيين إن رغبوا عما اجتمع به الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد: ١٨/١.

(٣) تاريخ الطبرى: ٦٠٣/٣.

ونحن حين نحاكم هذا النص التاريخي نلحظ أموراً عديدة، أهمها هل تكون الشُّورى بهذه الطريقة من العنف والحكم بقتل الرافضين ل نتيجتها؟، وماذا عن آراء بقية الصحابة الذين لم يكونوا ضمن هؤلاء الستة المعينين، ولماذا لم يكن من ضمن هؤلاء الستة شخص واحد على الأقل من الأنصار، علمًا أن بعضهم من كبار الصحابة فإن لم يكن لهم حق الخلافة أليس لهم كمسلمين وصحابة حق الإختيار للخليفة أسوةً بأخوانهم المسلمين من قريش؟ . . .

وتروي بعض المصادر التاريخية خبر رأي الخليفة الثاني في كلٌ فردٌ من أصحاب الشورى الست:

قال عمر: أفلأ أخبركم عن أنفسكم . . . ، أما أنت يا زبير فوعق لَقِس<sup>(١)</sup>، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك ثلاطم بالبطحاء على مدد من شعير! أفرأيت إن أفضت إليك! فلبت شِغري، فمن يكون للناس يوم تكون شيطاناً، ومن يكون يوم تغضب! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة، وأنت على هذه الصفة.

ثم أقبل على طلحة . وكان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر . فقال له: أقول أم أسكـت؟ قال: قـل، فإـنـك

---

(١) الواقع: الضجر المتبرم، واللقس: من لا يستقيم على وجهه.

لا تقول من الخير شيئاً، قال: أما إنني أعرفك منذ أصيّبت  
إصبعك يوم أُخْدِيَ الْبَأْو<sup>(١)</sup> الذي حدث لك، ولقد مات رسول  
الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية  
الحجاب.

قال الجاحظ: الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية  
الحجاب قال بمحضر ممّن نقل عنه إلى رسول الله ﷺ: ما  
الذي يعنيه حجابهنّ اليوم! وسيموت غداً فتنكحُهُنّ. وقال  
الجاحظ معلقاً على هذا الرأي: لو قال لعمر قائل: أنت قلت:  
إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول  
الآن لطلحة إنه مات ~~غافل~~ ساخطاً عليك للكلمة قلتها! لكان قد  
رماه بمشاقصه<sup>(٢)</sup>، ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول  
له ما دون هذا، فكيف هذا!

قال: ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال: إنما أنت  
صاحب مقتب<sup>(٣)</sup> من هذه المقابر، تقاتل به، وصاحب قنص  
وقوس وأسهم، وما زهرة<sup>(٤)</sup> والخلافة وأمور الناس!

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف، فقال: وأما أنت يا عبد

(١) الْبَأْو: الكبر والفخر.

(٢) المشاقص: جمع مشقص، وهو نصل السهم.

(٣) المقتب: جماعة الخيل.

(٤) زهرة: قبيلة سعد بن أبي وقاص.

الرحمن، فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به، ولكن ليس يصلاح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زهرة وهذا الأمر!

ثم أقبل على علي عليه السلام، فقال: الله أنت لو لا دعاية فيك! أما والله لئن وليتهم لتحملتهم على الحق الواضح، والمحاجة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان، فقال: هيها إليك! كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إليك، فحملت بنى أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وأثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي؛ فإنه كائن<sup>(١)</sup>.

ونحن إذ نناقش هذا النص التاريخي، نحار في موقف الخليفة، إذا كان يعرف هذه المعايب في طلحة والزبير مثلاً، فما الذي حمله على ترشيحهما، وإذا كان يعرف بفراسته هذه المعايب في عثمان والأمور التي ستتجزها على الأمة ولايته فما الذي دفعه إلى ترشيحه؟ . . .

على أن ما ذكره بحق الإمام علي عليه السلام هو أقرب إلى المكرمة منه إلى العيب، وهل يدعو الإسلام إلا إلى البشاشة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٦/١.

والخلق الجميل؟...، وقد حاول معاوية النيل من علي عليه السلام في ذكر بشاشته وخلقه الكريم، فرداً عليه الصحابي الجليل زعيم الانصار وابن زعيمها قيس بن سعد بن عبادة، فقد قال معاوية مرة:

رحم الله أبا حسن؛ فلقد كان هشاً بشأ، ذا فكاهة. قال قيس: نعم، كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم يمزح ويبيسم إلى أصحابه، وأراك تسرّ حسواً في ارتقاء<sup>(١)</sup>، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاق أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى<sup>(٢)</sup>؛ تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام<sup>(٣)</sup>.

ورأى علي عليه السلام في هذه الشورى طريقة لتنحيته، فيحدث عمّه العباس قبل الاجتماع فيقول: عدلت عنّا، قال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجالان رجالان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله

(١) تسرّ حسواً في ارتقاء: مثل يضرب لمن يظهر أمراً، وهو يريد غيرة.

(٢) ذي لبدتين قد مسه الطوى: أسد قد أصابه الجوع.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٥/١.

إني لا أرجو إلا أحدهما<sup>(١)</sup>.

ويروي الطبرى ما يشير بدقة إلى الواقع آنذاك، فعلى عليه السلام كان مرشح جماهير المسلمين من كافة الأصول والأعراف لما يعرفون منه من جنوح إلى تطبيق شرع الله في العدل والمساواة فيما عثمان كان مرشح قريش، التي كانت تمثل الطبقة الغنية الحاكمة، والرواية كما يذكرها الطبرى: قال عمار بن ياسر . أحد كبار صحابة رسول الله : إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبائع علياً، فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار، إن بايعت علينا: سمعنا وأطعنا، قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبائع عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربعة: صدق، إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا...<sup>(٢)</sup>.

والمفارقة أن ابن أبي سرح وابن أبي ربعة المخزومي وهما من قريش كانوا من أشد أعداء رسول الله عليه السلام في حياته، في حين أن المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر كانوا من أوائل المسلمين، والمعذبين في سبيل الإسلام...

ويؤرخ الإمام علي عليه السلام للخلافة والخلفاء في مقاطع من خطبته المعروفة بالشّقشيقية فيقول:

(١) تاريخ الطبرى: ٦٠٣/٣.

(٢) تاريخ الطبرى: ٦٠٥/٣.

«أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقْمَصَهَا<sup>(١)</sup> ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحْلِي  
مِنْهَا مَحْلُ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحْى<sup>(٢)</sup>، يَنْحَدِرُ عَنِ السَّيْلِ<sup>(٣)</sup> وَلَا يَرْزُقَ  
إِلَيَّ الْطَّيْرُ<sup>(٤)</sup>. فَسَدَّلَتْ دُوَنَّهَا ثُوبَاهَا<sup>(٥)</sup>، وَطَوَّيْتْ عَنْهَا كَشْحَا<sup>(٦)</sup>،  
وَطَفِقَتْ<sup>(٧)</sup> أَرْثَيَ بَيْنَ أَنْ أَصْوَلَ بِيَدِ جَذَاء<sup>(٨)</sup>، أَوْ أَصْبَرَ عَلَى طِخْيَةِ  
عَمْيَاء<sup>(٩)</sup> يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ<sup>(١٠)</sup>، وَيَكْدَحُ فِيهَا

(١) تقمصها: لبسها مثل القميص، والمراد بها الخلافة.

(٢) محل القطب من الرحى: أي كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب، ودورانها بغير القطب لا ثمرة فيه، كذلك الخلافة لا تصلح لغيره.

(٣) ينحدر عني السيل: شبه نفسه عليه السلام بذروة الجبل التي يأتي السيل منها، وكذلك كان عليه السلام المفزع في المهمات، والملجأ في المعضلات، منه أخذ الناس العلوم.

(٤) ولا يرقى إلى الطير: هي كال الأولى في بيان سمو مقامه و منزلته التي لا تضاهى حتى لا يمكن الطير من الدنو منها.

(٥) سدت: أرخت. أرسلت، والمراد: أنه صلوات الله عليه غضن نظره عنها.

(٦) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو كناية عن إعراضه عنها كالمأكول المعاف الذي تطوى البطن دونه.

(٧) طفق: يفعل كذا: ابتدأ وأخذ.

(٨) جذاء: مقطوعة، والمراد: عدم وجود الناصر.

(٩) أو أصبر على طخية عمياء: على ظلمة والتباس من الأمور، لا يهتدى فيها السالك إلى طريق الحق، بل يأخذ يميناً وشمالاً.

(١٠) يهرم فيها الكبير: يبلغ أقصى الكبر، يشيب فيها الصغير: يبيض رأسه.

مُؤمن<sup>(١)</sup> حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبَرَ عَلَى هَاتَانِ أَخْجَى<sup>(٢)</sup> .  
 فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى<sup>(٣)</sup> ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا<sup>(٤)</sup> أَرَى تُرَاثِي نَهَبَا،  
 حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذْلَى بِهَا إِلَى فَلَانَ بَغْدَة<sup>(٥)</sup> (ثُمَّ تَمَثَّلَ  
 بِقُولِ الْأَغْشَى):

شَيْانَ مَا يَزْمِي عَلَى كُورِهَا  
 وَيَوْمُ حَيْانَ أَخِي جَابِرٍ<sup>(٦)</sup>

(١) يكدر فيها مؤمن: يسعى في الذب عن الحق، ويقاسي الأحزان والشدائد.

(٢) أحجي: أصلاح.

(٣) القذى: ما يقع في العين من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك.

(٤) الشجا: ما يعرض في الحلق من عظم ونحوه؛ والجملة وصف ما كان يعانيه ويکابده.

(٥) أذلى بها إلى فلان: الضمير يعود إلى الخلافة وفلان المراد به الخليفة الثاني.

(٦) الكور: الرحل الذي يوضع على الناقة، وحيان: سيد بنى حنيفة، له منزلة عند الملوك، ونعمه ورخاء. وجابر: أخوه، وهو بائس فقير، يعاني متاعب السفر على كور ناقته، والبيت في بيان وصف ما بينهما. ومراد الإمام عليه السلام من الاستشهاد بالبيت الفرق ما بينه وبين عمر، فقد ولتها عمر في ظرف ممهد، واستقرار تام، وولتها الإمام عليه السلام في ظرف مضطرب، وفتنه قائمة.

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ<sup>(١)</sup> إِذْ عَقَدَهَا لَاخْرَ بَعْدَ  
وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا<sup>(٢)</sup>، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ<sup>(٣)</sup> خَسْنَاءِ  
يَغْلُظُ كَلْمُهَا<sup>(٤)</sup> وَيَخْسُنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْأَغْتَذَارُ  
مِنْهَا<sup>(٥)</sup>، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبُ الصَّفَبَةِ<sup>(٦)</sup>، إِنْ أَشْتَقَ لَهَا خَرَمٌ، وَإِنْ  
أَنْلَسَ لَهَا تَقَحَّمٌ، فَمُنِيَ النَّاسُ . لَعْمَرُ اللَّهِ . بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ<sup>(٧)</sup>،  
وَتَلَوْنٍ وَأَغْتَرَاضٍ<sup>(٨)</sup> . . . . .

(١) يستقىلها: يطلب الإقالة منها، فقد روى المؤرخون خطبة أبي بكر: أقيلوني أقيلوني، لست بخيركم وعلى نيكم، راجع شرح ابن أبي الحذيفي: ٨٥٠ وسواه.

(٢) لشد ما تشنطرا ضرعيها: شبه الخلافة بناقة لها ضرعان، أخذ كل واحد منها ضرعاً منها اقتساماً للفائدة؛ وقد قال الإمام علي عليه السلام لعمر بعد بيعة أبي بكر: أحلب حلب لك شطره، أشدد له اليوم يرذه عليك غداً، فتحقق ذلك.

(٣) الحوزة: الناحية، والخشن: الشديد.

(٤) الكلم: الجرح، كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحاً غليظاً، ويخشى  
مسها: تؤذى وتضر من يمسها؛ والمراد: بيان سوء خلقه وسلته،  
وتسزعه إلى الغضب.

(٥) يكثر العثار فيها: المراد بالعثار الخطأ في الحكم ونحوه، وثم الاعتذار عن ذلك وأنه كان على سبيل الخطأ.

(٦) كراك الصعبه: هي الناقه الصعبه الانقياد.

(٧) من الناس: اتلو، والخط: السير على غير العادة، والشمامس: نفار الفرس.

(٨) التلعن: الانتقال من حالة إلى أخرى، والاعتراض: هو السير على غير

الاستقامة، كأنه يسير عرضاً، والمراد وصف ما عانه الأمة في ولايته.

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمَدَّةِ وَشَدَّةِ الْمِحْنَةِ<sup>(١)</sup>، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسِيلِهِ،  
جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةِ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا اللَّهُ وَلِلشُورَى<sup>(٢)</sup>، مَتَى  
أَغْتَرَضَ الرَّئِبَ فِي مَعِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرَطَ أُثْرَنَ إِلَى هَذِهِ  
النِّظَائِرِ<sup>(٣)</sup>؛ لَكُنِّي أَسْفَتُ إِذْ أَسْفُوا<sup>(٤)</sup> وَطَرَزْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَى  
رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِي<sup>(٥)</sup> وَمَالَ الْآخَرُ لِصَهْرِهِ<sup>(٦)</sup> مَعَ هَنِّي  
وَهَنِّي<sup>(٧) . . .</sup><sup>(٨)</sup>.

(١) المحنـة: الابتلاء.

(٢) فـيـاـللـشـورـى: الاستـعـانـةـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ وـالـشـكـرـىـ إـلـيـهـ مـاـ أـصـابـنـىـ منـ الشـورـىـ، فـقـدـ جـعـلـونـىـ فـيـ مـصـافـ جـمـاعـةـ لـاـ يـساـوـنـىـ فـيـ عـلـمـ وـلـاـ  
فـضـلـ وـلـاـ جـهـادـ.

(٣) متـىـ اـعـتـرـضـ الرـيـبـ مـنـيـ مـعـ الـأـوـلـ مـنـهـ: أـيـ متـىـ كـانـ الشـكـ عـارـضاـ  
لـأـذـهـانـهـمـ فـيـ أـفـضـلـيـتـيـ عـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ حـتـىـ صـرـتـ أـقـرـنـ إـلـىـ هـؤـلـاءـ مـعـ  
أـنـهـ أـقـلـ مـنـهـ رـتـبةـ.

(٤) أـسـفـ الطـائـرـ: إـذـ دـنـاـ مـنـ الـأـرـضـ فـيـ طـيـرانـهـ، وـالـمـرـادـ أـنـ مـوقـفـهـ كـانـ  
مـقـارـبـاـ لـلـقـومـ حـفـاظـاـ عـلـىـ الإـسـلـامـ.

(٥) فـصـغـىـ رـجـلـ مـنـهـ لـضـغـنـهـ: صـغـىـ: مـالـ، وـالـضـغـنـ: الـحـقـدـ، وـالـمـرـادـ بـهـ  
سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ.

(٦) وـمـالـ الـآـخـرـ لـصـهـرـهـ: الـمـرـادـ بـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـوـفـ كـانـ صـهـرـ  
عـنـمـانـ.

(٧) مـعـ هـنـ وـهـنـ: كـنـاـيةـ عـنـ شـيـءـ قـبـحـ، وـالـمـرـادـ مـعـ أـمـورـ لـاـ يـرـيدـ ذـكـرـهـ.

(٨) نـهـجـ الـبـلـاغـةـ: ٣٠.

## ثورة الشعب، ومصرع الخليفة...

لا ريب أنَّ عهد الخليفة الثالث كان مختلفاً بدرجة كبيرة عما سبقه من العهود، فلم يعهد المسلمين من حكامهم تقريب أرحامهم، وإهانة الصحابة المؤمنين وتشريدهم والعبث بأموال المسلمين دونما حسيب أو رادع...

يحدثنا التاريخ أنَّ الخليفة الأول سار سنة رسول الله ﷺ في موضوع تقسيم المال بين المسلمين فقسمه سواسية، غير أنَّ الخليفة الثاني إِتَّبع سياسة مغايرة ففضل ذوي السابقة والخير من المسلمين على من سواهم، لكنَّ الحال كانت مختلفة تماماً في عهد الخليفة الثالث، فقد قرب ذويه بني أمية وأجزل لهم الأعطيات، وبؤأهم أهم المراكز والولايات، فعاشوا في الأرض الفساد.. ويصف الزهري . وهو من كبار المحدثين والرواة . هذه الأمور فيقول: «استعمل أقرباءه وأهل بيته في الستة الأواخر<sup>(١)</sup> وكتب لمروان بخمس مصر أو خمس أفريقية، وأثر أقرباءه بالمال»<sup>(٢)</sup>.

(١) المراد السنوات الست الأخيرة من خلافته.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين : ٤٣٢.

كما كان الخليفة يتصرف بعنف مع بعض كبار الصحابة ممن كان يحاول ثنيه عن تقرير بنى أمية ومنحهم ما لا يستحقون من بيت المال، فهذا الصحابي الكبير أبو ذر الغفاري، نفاه إلى الشام بسبب جهره بالنصيحة للخليفة، وفي الشام أنكر أبو ذر إستثمار معاوية وتصرفه تصرفات الملوك وعيشه بأموال المسلمين، وشروع تجارة الخمر برضاء معاوية، فرده معاوية إلى المدينة، ومن هناك سيره الخليفة إلى صحراء الربذة حيث قضى نحبه وحيداً... . وبلغ الأمر في ظلم أبي ذر حداً، أنف معه الطبراني أن يذكر التفاصيل، فقال: كرهت ذكر أكثرها<sup>(١)</sup> وما هذه من قواعد التاريخ وشيم المؤرخ المنصف الذي يتعين عليه ذكر ما له وما عليه.

والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قارئ القرآن وقد كان أميناً على بيت المال في الكوفة، فوقف بحزم أمام النهب الأموي، وامتنع عن وضع المال بأيديهم، فضربوه وجروه برجليه حتى بقي طريح الفراش وتوفي إثر ذلك وقد أوصى عمار بن ياسر أن يصلّي عليه ولا يخبر الخليفة بموته...<sup>(٢)</sup>.

وعمار بن ياسر الصحابي الكبير المعدّب في الإسلام،

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٣٠.

(٢) تاريخ الإسلام الثقافى والسياسي: ٢٥٠، عن الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/١٥٠.

يحرّض مروان بن الحكم الخليفة على قتله ويقول له: «إنَّ هذا العبد الأسود قد جرأ عليك الناس وأنت إن قتلتَه نكَلْتُ به من وراءه» فضربيه حتى غُشِيَ عليه! <sup>(١)</sup>.

وقد ذكر المسعودي في الجزء الثاني من مروج الذهب الكثير من هذه الأحداث.

أما بالنسبة لولاة الخليفة، فلا أدَّل على تصرفاتهم من القصة التي يرويها المؤرخ المسعودي <sup>(٢)</sup> عن والي الكوفة الوليد بن عقبة:

«إنَّ الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندائه ومحنته من أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلوة خرج منفصلًا في غلائبه، فتقدَّم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلَّى بهم أربعًا، وقال: تريدون أن أزيدكم؟

ولما ظهر فسقه هجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زيد بن عوف الأزدي وأبو جنْدَب بن زهير الأزدي وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقاده فلم يستيقظ، ثم تقيأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه يشرب الخمر، فقال عثمان: وما

(١) وعاظ السلاطين، د. علي الوردي: ١٦٧.

(٢) مروج الذهب: ٨٢٢٥/٢

يدريكمأ أنه شرب خمراً؟ فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها ونعرفها، وأخرجها خاتمه فدفعاه اليه، فرزاهما ودفع في صدورهما وقال: تحياناً عنني، فخرجا وأتيا علي بن أبي طالب وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود».

ثم إن الإمام علي أقام الحد عليه بنفسه؛ وللحطيثة الشاعر أبياتٌ ظريفةٌ في هذا المعنى إذ يقول:

شهد الحطيثة يوم يلقى رئه  
أن الوليد أحق بالعذرِ  
نادي وقد تمت صلاتهمْ  
أزيدكم ثملاً وما يدرِي  
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا  
منه لقادهم إلى عشرِ  
فأبوا، أبا وهبٍ، ولو فعلوا  
لقرنت بين الشفع، والوترِ  
حبسوا عنانك في الصلاة ولو  
خلوا عنانك لم تزل تجري<sup>(١)</sup>

(١) مالك الأشتر، حياته وجهاته، محمد تقى الحكيم: ٣١، وملحمة الغدير، بولس سلامة: ١٢٥ ، وقد ذكر أغلبها المسعودي في مروج الذهب.

ثم عزله عثمان وولى مكانه سعيد بن العاص، ولم يكن هذا بأحسن ممّن سبقة . . . ، وهذا ما عبر عنه بعض الشعراء إذ يقول:

فررت من الوليد إلى سعيد  
كأهل الحجر إذ فزعوا فيباروا  
بُلِينَا مِنْ قَرِيشٍ كُلَّ عَامٍ  
أَمِيرٌ مُحَدَّثٌ أَوْ مُسْتَشَارٌ  
لَنَا نَارٌ تحرقنا فنخشى  
وَلَيْسَ لَهُمْ فَلَا يَخْشُونَ نَارًا<sup>(١)</sup>

إلى غير ذلك من التصرفات التي أثارت الناس على الخليفة وبطانته الذين اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً، عاملين بنصيحة عميد الأسرة الأموية أبي سفيان الذي جمعه مجلس مع قومهبني أمية وال الخليفة، فقال لهم ناصحاً وموجهاً: «يابني أمية . . . تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم. أي الخلاقة والملك . ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة!»<sup>(٢)</sup>.

وثارت الناس من كل حدب وصوب، مطالبة الخليفة بعزل بطانته الشيعة، وتولية الآخيار عليهم، واسترداد أموال المسلمين التي انتهبوها، وتقسيم الأموال بالعدل والسوية أسوة برسول

الله عَزَّ ذِلْكَ الْجَمَاهِيرَ . . .

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٤٢/١٧.

(٢) وغاظ السلاطين، الوردي: ١٦٧.

والمؤرخون في سعيهم لتبرئة ساحة الخليفة وبطانته يتهمون هؤلاء التائرين تارةً بالكفر وطوراً بالتهور، على أنَّ التاريخ لا يقرُ لهم بهذا، وننقل هنا كلمة للعلامة المؤرخ عبد الله العلaili في هذا المعنى :

«ومن الإنصاف، والخير أن نذكر أنَّ الجمهوء مع ذلك لم يكن أرعن في ثورته، فقد أتصل بأولياء الأمور والسلطة وطالب مُستشفعاً بممثليه مراراً وتكراراً، ولكن مطالبيه في كل مرة كانت تبوء بالفشل، وكان فشلاً ذريعاً متواصلاً من النوع المثير، فلا بدُّع إنْ هبَّ الشعب هبَّة الغضبي، وتركزت الثورة الإنتقامية في رأسه تركز الفكرة الثابتة لا يحول عنها في كثير أو قليل.

هبطت وفود الامصار المدينة مرة وأخرى إلى مرات كثيرة، وكانت في كل مناسبة تحمل طائفه من أمانها وهي ملأى بالرجاء تود لو صدقَت أحلام آمالها، وكانت ترجع في كل مرة بوعود محسولة، ولكن لا تلبث أن تستحيل إلى صدى يأس فيه غرور السراب.

ساعها في كل تجربة وكل محاولة اخفاق المنقلب، فأغيبت كذبي النفس الجريحة على من لا يفتَأِ ينكأ جراحه ويجري دماءه، ولم يسعها كظم عواطفها الملتهبة فهدرت صاحبة محتاجة تريد وضع حد لآلامها وبأسائها المستمرة، وكانت تصطدم تكراراً ومراراً بما يوقد فيها شعور الخيبة المتقم»<sup>(١)</sup>.

(١) الإمام الحسين، العلaili: ٤٤٦.

على أنَّ الذي أَجْجَعَ الثورة على الخليفة ودفع الثائرين إلى قتله هو بعض الكلمات الحماسية التي أطلقها بعض الصحابة الطامعين والتي تدعو وتحرض صراحةً وجهاً إلى قتل عثمان وتتهمه بالكفر والفسق، وهذه بعض الأمثلة من ذلك، وقد ذكرها كبار المؤرخين:

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة تنادي: اقتلوا نعشلاً فقد كفر<sup>(١)</sup>.

ويروى أنَّه حينما اشتَدَّت الأزمة على عثمان دعاها مروان بن الحكم لاصلاح الأمر فنهرته قائلة: لوددت أنَّه مقطع من غرارة من غرائي وأتَي أطيق حمله فأطْرَحْه في البحر!...<sup>(٢)</sup>.

وموقف أم المؤمنين هذا ربما نعلمه بالرواية التي ذكرها العلaili، عن تاريخ اليعقوبي:

(إن عثمان أغضب عائشة أم المؤمنين، وأنَّه نقص ما كان يعطيها عمر بن الخطاب، فترَيَّصَت بعثمان حتى رأته يخطب الناس فدللت قميص رسول الله ﷺ، ونادت: يا معاشر المسلمين هذا جلب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته)<sup>(٣)</sup>.

أما طلحة بن عبيد الله فقد ذكر المؤرخون أنَّه حصر عثمان

(١) تاريخ الطبرى: ١٨٠/٣، ونعشل رجل يهودي، كانت تشيه به.

(٢) الإمام الحسين، العلaili، ٣٨.

(٣) المصدر نفسه.

ومنعه الماء، والرواية كما يرويها الطبرى بعد أن استنجد الخليفة  
بعلئى عليه السلام :

خرج علىٰ فدخل المسجد، ثم دخل إلى طلحة، وداره  
دحاس من الناس . أى تغضّ بهم . فقام إليه ، فقال : يا طلحة ، ما  
هذا الأمر الذي وقعت فيه؟ ، فقال : يا أبا حسن بعدهما مسح الحزام  
الطبيين! ، فانصرف علىٰ حتى أتى بيت المال ، فقال : افتحوا هذا  
الباب ، فلم يُقدر علىٰ المفاتيح ، فقال : اكسروه ، فكسر باب بيت  
المال ، فقال : أخرجوا المال ، فجعل يُعطي الناس ، فبلغ الذين  
في دار طلحة الذي صنع علىٰ ، فجعلوا يتسلّلون إليه حتى ترك  
طلحة وحده . وبلغ الخبر عثمان ، فسرّ بذلك ، ثم أقبل طلحة  
يمشي عائداً إلى دار عثمان ، فاستأذن عليه ، فلما دخل عليه قال :  
يا أمير المؤمنين ، أستغفر الله وأتوب إليه ، أردت أمراً فحال الله  
بيني وبينه ، فقال عثمان : إثك والله ما جئت تائباً ، ولكنك جئت  
مغلوباً ، الله حسيبك يا طلحة!<sup>(١)</sup> .

وأما عمرو بن العاص ، فقد كان عثمان عينه ولياً علىٰ  
مصر ثم عزله فنقم عليه ذلك ، وكان من أشدّ المؤليبين  
والمحرضين عليه ، حتى أتاه قال : والله إنني كنت ألقى الراعي  
فأحرضه علىٰ عثمان<sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر الطبرى مشادة طويلة بينه  
 وبين عثمان تنبئ عن ذلك<sup>(٣)</sup> .

---

(١) تاريخ الطبرى : ١٥٦ / ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٤٤ / ٢.

(٣) الطبرى : ٨٩ / ٣.

أما على عليه السلام، فقد كان يرى أن للخلافة حرمة لا يجوز أن تنتهك، كما أن لعامة المسلمين حقوقاً يجب أن تُعاد إليهم، فسفر بين الخليفة والثائرين أكثر من مرة...، غير أن مروان بن الحكم كان في كل مرة يفسد الأمر...

ونذكر هنا ما قاله علي عليه السلام لعثمان في وساطته:

«إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي أَسْتَسْفَرُونِي<sup>(١)</sup> بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي  
مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَغْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَذْلِكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ،  
إِنَّكَ لَتَغْلِمُ مَا تَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَتُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا  
بِشَيْءٍ فَنَبْلَغُكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا،  
وَصَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَاحَبْنَا، وَمَا أَبْنُ أَبِي  
قَحَافَةَ وَلَا أَبْنُ الْخَطَابَ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشِيجَةَ<sup>(٢)</sup> رَحِيمٍ مِنْهُمَا،  
وَقَدْ نَلَتْ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالْ».

فَإِنَّهُ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمَى<sup>(٣)</sup>، وَلَا تَعْلَمُ  
مِنْ جَهَلٍ، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحةً، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةً.  
فَأَعْلَمُ إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى،

(١) استسفروني: جعلوني سفيراً.

(٢) الوشيعة: الرحم المشتبكة المتصلة.

(٣) ما تبصّر من عمي...: تعلم بالأمر، فلا حاجة بك إلى من يعلمك.

فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِذِعَةً مَجْهُولَةً.

وَإِنَّ السُّنَّةَ لَنَيْرَةٌ، لَهَا أَغْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ<sup>(١)</sup> لَظَاهِرَةٌ، لَهَا  
أَغْلَامٌ... .

وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ، عِنْدَ اللَّهِ، إِمَامٌ جَائِرٌ<sup>(٢)</sup>، ضَلَّ وَضُلِّ بِهِ،  
فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَخْبَى بِذِعَةً مَثْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ،  
وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ<sup>(٣)</sup>»، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدْوُرُ فِيهَا  
كَمَا تَدْوُرُ الرَّحْنِي، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا<sup>(٤)</sup>؛ وَإِنِّي أُشْدِدُ اللَّهَ أَنَّ لَا  
تَكُونَ إِمَامٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ  
إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ<sup>(٥)</sup> أُمُورَهَا  
عَلَيْهَا، وَيَبْتُلُ الْفِتْنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمْوِجُونَ  
فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا<sup>(٦)</sup>.

(١) السنة: ما أثر عن الرسول الأعظم ﷺ من قول وفعل. ونيرة: واضحة. والبدعة: ما أحدث في الدين مالم يكن له أصل في كتاب ولا سنة.

(٢) جائز: ظالم.

(٣) عاذر: يقبل منه العذر.

(٤) يرتبط: يشد. وقعرها: عمقها.

(٥) لبس: عليه الأمر: خلطه حتى لا يعرف حقيقته.

(٦) يموجون...: اختلفت أمرهم واضطربت. ويمرجون: يختلطون ويضطربون.

فَلَا تَكُونَ لِمَرْوَانَ سَيْقَةً<sup>(١)</sup> يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ، بَعْدَ جَلَالِ  
السُّنْنِ وَتَقْضِي الْعُمُرِ.

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : «كَلِمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤْجِلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ  
إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ» فَقَالَ عليه السلام : «مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ،  
وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

ويطلب الإمام علي من عثمان أن يخرج للناس ويعلمهم بما  
عزم عليه من الإصلاح، فيفعل، غير أن مروان يعود ويقلبه عن رأيه،  
ويخرج أمام جمهور المسلمين الذين أتوا لأخذ مظالمهم، حسب ما  
وعدهم الخليفة، فيتفوه بكلمته الحمراء التي تحلى برعونة، قائلاً  
للثائرين : «شاهت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم . . .»<sup>(٣)</sup>.

ويرى علي عليه السلام وساطته وهي تصبح في مهب الريح،  
فكلمة مروان الرعناء كانت كفيلة بإنهاء كل شيء وتدميره . . .

ويقيم علي عليه السلام موقف الخليفة من كل ذلك فيقول : «ما يريد  
عثمان أن ينصحه أحد، اتخاذ بطانة أهل غشن ليس منهم أحد إلا وقد  
تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستذل أهلها»<sup>(٤)</sup>.

(١) السيقة : ما استاقة العدو من الدواب . والمراد : لا تعط زمامك بيده  
فيوجهك حسب رغباته .

(٢) نهج البلاغة : ٢٨٢ .

(٣) الطبرى : ٩٥ / ٣ .

(٤) الطبرى : ١٣٣ / ٣ .

على أنَّ التاريخ حفظ لعليٍّ مواقفٌ مشرفة في الدفاع عن حرمة مقام الخلافة، منها وساطته بين عثمان والثائرين، وإصراره على دخال الماء على عثمان حين منعه طلحة ذلك، وعلى حد تعبير رواة الطبرى: كُلُّ طلحة حين خُصِرَ أَنْ يدخل عليه الرواية، وغضب في ذلك غضباً شديداً حتى دخلت الرواية على عثمان<sup>(١)</sup>.

ويرسل عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهم السلام ليقفا على باب الخليفة على النَّاسِ تهابهما وتحجم عن انتهاك حرمة الخليفة، ولكنَّ القوم تسُرُّوا الدار وكان ما كان من مقتل الخليفة... .

ويقيِّم الإمام عليه السلام موقف الخليفة والثوار بمقولته الشهيرة: «وَأَنَا جَامِعُ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْتِرْ فَأَسَاءَ الْأَثْرَةَ، وَجَزَّعْتُمْ فَأَسَاثُمَ الْجَزَعَ، وَلَهُ حُكْمُ واقعٌ فِي الْمُسْتَأْتِرِ وَالْجَازِعِ»<sup>(٢)</sup>.

هذا ما حفظه التاريخ عن موقف عليٍّ عليه السلام من مقتل الخليفة، غير أنَّ الأطماع دفعت المحرضين على قتل الخليفة إلى الطلب بدمه من أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام الذي كان ناصراً والمحامي عنه على طول الطريق<sup>(٣)</sup>.... .

(١) الطبرى: ٩٦/٣.

(٢) نهج البلاغة: ٦٠.

(٣) يُروى أنَّ مروان بن الحكم قال لعليٍّ بن الحسين معتبراً: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا صاحبكم. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢٠/١٣.

هذا ما لاحظه العلامة العلaili إذ يقول بعد أن يذكر مواقف الإمام علي عليه السلام في الدفاع عن حرمة الخلافة والسعى لحل الأزمة:

«هذا ما عرف التاريخ عن علي وبنيه إزاء المصرع، بينما عرف من ناحية ثانية أن عثمان وهو محاصر كتب إلى معاوية وهو بالشام:

(إن أهل المدينة قد كفروا، وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول) فإذا بمعاوية حينما جاءه كتابه (يتربص به فقد كره . على حد دعواه . مخالفة أصحاب الرسول وقد علم اجتماعهم على ذلك).

ومن تهكمات القدر أن يحرض عمرو بن العاص على قتل عثمان، وتجبهه عائشة علانية، ويتخلى معاوية عن نجدة، ويعين عليه طلحة والزبير كلاهما؛ ثم ينفر هؤلاء أنفسهم هنا وهناك، يطالبون بدمه علي بن أبي طالب الذي أخلص له النصيحة وحذرته من هذا المصير، وكان مجنه دون رواكض الخطوب»<sup>(١)</sup>.

ويعرض الدكتور علي الوردي موضوع مقتل الخليفة عثمان بن عفان، معلقاً على بعض الآراء فيقول:

يعتقد ابن العربي أنّ مروان بن الحكم كان رجل عدل ومن كبار الفقهاء...، ويفيد في ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب

(١) الإمام الحسين، العلaili: ٤٥٤.

فيقول: إنَّه ليس من المعقول أن يكون مروان مدبر هذه الفتنة إذ لم تكن له مصلحة فيها.

ويعلق الوردي على هذه الآراء فيقول:

أقرب الناس إلى ارتكاب الجريمة هو من له مصلحة فيها، هذا هو المبدأ الذي يسير عليه مكتشفو الجرائم، وما أحرانا أن ننظر في مقتل عثمان بمثل هذه النظرية الحديثة... .

والأستاذ الخطيب يرى أن لا مصلحة لمروان في قتل عثمان غير أني. والكلام للوردي. لست أرى أحداً يستفيد من مقتل عثمان بمقدار ما يستفيد منه مروان ومن لفَّ لفَّه من زعماء قريش... .

إنَّ الأستاذ الخطيب يعتبر مروان رجلاً صالحاً لا يُقدم على مثل هذا العمل الفظيع، ونسي أنَّ مروان أقدم في حياة النبي على ما هو أفعى من هذا حيث نفاه النبي من جرائه إلى الطائف، وظلَّ منفياً طيلة أيام أبي بكرٍ وعمر.

أصبح مروان في نظر الخطيب صالحاً، وذلك لأنَّه صار فيما بعد خليفة ودخل في سجلُّ أمراء المؤمنين، وهذا هو دأب وعَاظِ السلاطين في كلِّ زمانٍ ومكان... . فهم يعتبرون كلَّ من تولَّ السلطة صالحاً، أمَّا الثائر على السلطان فهم يعتبرونه شريراً أو مغفلًا أو مغرضًا... .<sup>(١)</sup>

(١) وعَاظِ السلاطين، الوردي: ١٤٠.



### **المبحث الثالث:**

#### **في عهد الإمام عليه السلام**

**— حرب الأطماء**

**— مع القاسطين**

**— معركة النهروان**

**— رحيل....**



## حرب الأطماع

كان بعض الطامعين من الصحابة يعلمون موقف عليٌّ من الأموال والولايات، يعرفون أنَّ علياً حين يحكم فإنه لا يرضي إلا بما يرضي الله، ولا يرضي إلا بانصاف المظلوم وكفُّ الظالم . . . ، وها هي وجهة نظرهم نحو عليٍّ عليه السلام تتأكد بعد أن بايعه المسلمون، وصدق بكلمته الشهيرة في مصير قطاع عثمان، أي الأموال والاقطاعات التي منحها الخليفة السابق أهله وذويه دون حق :

«وَاللَّهُ لَوْ رَجَدْتُهُ قَدْ تُرْوِجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلْكَ بِهِ الْإِمَامُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنْ فِي الْعَدْلِ سَعَةٌ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُوزُ عَلَيْهِ أَضِيقُ»<sup>(١)</sup>.

رأى هؤلاء الطامعون ذلك وسمعوا ووعوه، وأيقنوا أنَّ زمان الاستبداد ولَّى، وأنه قد حان أوان العدل والمساواة، وأحسوا بعروش المال والسلطة التي بنوها بغير حق تهتز تحت أقدامهم، ففكروا وقدروا وقلُّبوا وجوه الرأي، فلم يجدوا بُدًّا من الخروج على عليٍّ عليه السلام وخلع طاعته، والإدعاء عليه أنَّه قتل عثمان أو آوى قتلتة، علمًا أنَّ قادة هؤلاء الطامعين ومؤليبيهم كانوا هم

(١) نهج البلاغة : ٣٩.

أنفسهم المحرّضين الأوائل على قتل الخليفة، والمُطالبين  
بدمه . . .

وخرجت أم المؤمنين عائشة على رأس الخارجين للطلب بدم  
عثمان!، رغم ما كان من موقفها المحرّض على قتله، ويروي  
الطبرى أنّ عائشة كانت في مكّة حين قُتل عثمان، ووقفت عائشة  
إلى المدينة، فلقيها عبد بن أم كلاب، فقالت له: مهم؟ . أي ما  
وراءك من أباء . قال: قتلوا عثمان . . . ثم قالت: ثم صنعوا  
ماذا؟ فقال: جازت بهم الأمور إلى خير مجاز، اجتمعوا على  
علي بن أبي طالب، فقالت: والله ليت أنّ هذه انطبقت على هذه  
إنّ تَمَّ الْأَمْرُ لِصَاحْبِكَ، رَدُونِي، فانصرفت إلى مكّة وهي تقول:  
قُتل والله عثمان مظلوماً، والله لا أطلب بدمه، فقال لها ابن أم  
كلاب: ولم، فوالله إنّ أول من أمال حرفه لأنّت! وقد كنت  
تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر . . . ثم أنساً يقول:  
فمنك البداء ومنك الغيّر

ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام  
وقلت لنا إنّه قد كفر  
فهبنا أطعناك في قتله  
وقاتله عندنا من أمر<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ الطبرى: ٤/١٨٠.

وتسمع أُمّ المؤمنين أم سلمة بخروج عائشة لحرب عليٍ فتكتب إليها:

«يا عائشة، إِنَّك سَدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ، حِجَابُك مَضْرُوبٌ عَلَى حِرْمَتِهِ، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ ذِيلَكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ، وَسَكِّنْ اللَّهُ مِنْ عَقِيرَالِكِ فَلَا تَصْحَّرِيهَا<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ...»

قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهداً، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد...، ما كنت قائلة لو أنَّ رسول الله ﷺ عارضك بأطراف الفلوات ناصحةً قعوداً<sup>(٢)</sup> من منهل إلى منهل، إنَّ بعين الله مثواكِ وعلى رسول الله تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً ﷺ هاتكةً حجاباً جعله الله عليٍ، فاجعليه سترك، وقاعة البيت قبرك، حتى تلقيه وهو عنك راضٍ...»<sup>(٣)</sup>.

ويتجهز جيش من الطامعين، ويُسخن الأمويون بالأموال والرُّواحل في سبيل تجهيزه، ويتجوّه الجمع نحو البصرة، وفي بعض الطريق وبينما الركب يسير نبحث كلامُ أُمّ المؤمنين، فراعها ذلك، وسألت دليل الركب عن اسم المكان فقال لها إنَّه

(١) عقيراك: صوتك، وتصحريرها: ترفعها.

(٢) ناصحةً قعوداً: مستحثةً ناقةً.

(٣) بلاغات النساء، لابن طيفور، تحقيق: د. يوسف البقاعي: ١٤.

الحوائب، فجزعت أشدَّ الجزع، وصاحت: ردوني، ردوني، فقد كانت سمعت من رسول الله ﷺ يقول وعنده بعض نسائه: أيتکنَّ تنبحها كلامَ الحوائب؟، غير أنَّ القومَ ما أعيتهم الحيلة في ذلك، فأحضر لها عبد الله بن الزبير خمسين رجلاً يحلفون لها زوراً أنَّ هذا الماء ليس بماءَ الحوائب!<sup>(١)</sup>.

ويصلَّ القومُ إلى البصرة، فيلقاهم ويحاورهم فيها والي علی ظاهره عثمان بن حنيف، لكن دون جدوٍ، ويحدث شيءٌ من المناوشة والقتال بين الفريقين، ثم يصطلحون على أن يكون لعثمان بيت المال وسواء، وأن يحقق لطلحة والزبير وعائشة وقومهم أن يتزلوا بالبصرة حيث شاؤوا...

ولكنَّ القومَ ما لبثوا أن نكثوا العهد والصلح وقتلوا جماعاً من أهل البصرة، واستولوا على بيت المال وقبضوا على عثمان، وضربوه بالسياط وتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه!...<sup>(٢)</sup>.

ويعلق طه حسين على ذلك بقوله:

«وكذلك لم يكتف هؤلاء القوم بنقض البيعة التي أعطوها عليه وإنما أضافوا إليها نكث الهدنة التي اصطلحوا عليها مع عثمان بن حنيف، وقتلوا من قتلوا من أهل البصرة الذين أنكروا

(١) تاريخ الطبرى: ١٧٨/٤، و ١٨٨/٤، وعلى وبنوه: ٣٨.

(٢) تاريخ الطبرى: ١٨٨/٤ وما بعدها.

نقض الهدنة وحبس الأمير وغصب ما في بيت المال وقتل من قتلوا من حرسه... ولم يقف أمرهم عند هذا الحد وإنما همّوا أن يبطشوا بعثمان بن حنيف لولا أن ذكرهم بأنّ أخاه سهل بن حنيف يدبر أمر المدينة من قبل عليٍّ وبأته خليق أن يضع السيف فيبني أبيهم إن أصابوه بمكروه...»<sup>(١)</sup>.

ويستعد القوم لقتال عليٍّ عليه السلام، وتمتاز من البصرة جماعات تعزل القتال وجماعات أخرى تلتتحق بعليٍّ عليه السلام...، ويحتاج بعض أهل البصرة على القادة طلحة والزبير وأم المؤمنين ولكن دون جدو. ويرى أن شاباً خاطب طلحة والزبير قائلاً: أرى أمكما معكم . ويقصد أم المؤمنين عائشة . فهل جئتم بنسائكم؟ قالا: لا، فانصرف هازئاً يردد:

صِنْتُمْ حَلَائِكُمْ وَقَدْ ثُمِّيْتُمْ أُمَّكُمْ  
هَذَا لِغُمْرَكَ قَلْةُ الْإِنْصَافِ

أُمِرْتُ بِجُرْرِ ذِيْلِهَا فِي بَيْتِهَا  
فَهُوَتْ تَشَقُّ الْبَيْدَ بِالْإِجَافِ  
غَرْضًا يُقَاتِلُ دُونَهَا أَبْنَائِهَا  
بِالْتَّبْلَ وَالْخَطْبَيِّ وَالْأَسْبَافِ

(١) علي وبنوه: ٣٧.

هـ تـكـتـ بـطـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ سـتـورـهـ

هـذـاـ المـخـبـرـ مـنـهـمـ وـالـكـافـيـ<sup>(١)</sup>

وـيـلـغـ خـبـرـهـمـ وـفـعـالـهـمـ عـلـيـاـ<sup>عليه السلام</sup> فـيـصـفـ فـعـلـهـمـ النـكـيرـ فـيـ كـلامـ لـهـ :

«فَخَرَجُوا يَجْرِونَ حُزْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا  
تُجَرِّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصَرَةِ، فَخَبَسَـا  
نِسَاءَهُمَا، فِي بَيْوَتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَغْطَانَـيـ  
الْطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي  
بِهَا، وَخَرَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً  
صَبِرَاً، وَطَائِفَةً غَذْرَاً، فَوَاللَّهِ لَوْلَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً  
وَاحِداً، مُغَتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُزْمَ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ  
كُلُّهُ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يَنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلْسَانٍ وَلَا يَدِ، دَعْـ ما  
أَنْهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

ويتوَجَّهُ عَلَيْ نَحْوِ الْبَصَرَةِ، بَعْدَ أَنْ جَاءَهُ الْمَدْدُ مِنَ الْكُوفَةِ،  
وَهُنَاكَ يَتَحَاوِرُ مَعَهُمْ وَيَنْسَحِبُ الْزَبِيرُ مِنَ الْمَعرِكَةِ بَعْدَ هَذَا  
الْحَوَارِ، ثُمَّ يَنْشَبُ الْقَتَالُ وَأَمَّا الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْلَهَا تَحْرِضُ الْقَوْمُ

(١) تاريخ الطبرى: ٤/١٨٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢٩٧.

وتبت فيهم روح الحماس، ويتساقط القتلى على جوانب جملها في المعركة، وهي تلقي بشعر الحماسة لهم! . . .

تنظر عن يسارها، وتقول: من القوم؟، فيقولون: بتو<sup>ك</sup>  
الأزد، فتتمثل بقول الشاعر:

وجالد من غسان أهل حفاظها . . .

وتنظر عن يمينها وتقول: من القوم؟، فيقولون: بكر بن  
وائل، فتتمثل بقول الشاعر:

وجاؤوا إلينا في الحديد كائِنْهم

من العزة القيساء بكر بن وائل<sup>(١)</sup>

فكائِنْما تشعل فيهم من الحماسة ناراً . . .

وينظر علي<sup>عليه السلام</sup> إلى القوم يحامون عن الجمل ويدافعون عنه مستميتين، فينادي شجعان أصحابه، ويأمرهم بعمر الجمل،  
فيتفرق الناس، تاركين ساحة القتال تعج بالجثث وتنطلق منها  
أثاث الجرحى . . . وتجلى عظمة علي<sup>عليه السلام</sup> في هذا الموقف،  
 فهو يأمر محمد بن أبي بكر بحمل عائشة إلى خارج المعركة،  
كونها أخته، وينزلها داراً من دور البصرة، ثم يجهزها بخير متاع  
ويأمرها بالعودة إلى المدينة . . .، ويظفر ببعض قادة القوم أحياء  
كمروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وهم كانوا أشد الناس  
عداوة له وتأليباً عليه فيدعهم و شأنهم . . .

(١) تاريخ الطبرى: ٢٢٩/٤.

هذه هي شيم الإسلام، بهذا سار رسول الله مع أهل مكة يوم الفتح، فتح مكة، وبهذا سار على يوم الجمل...، ولكن سيرة الإسلام لا مكان لها يوم الطف حين سبيت النساء وقتلت الأطفال والولدان...

يظفر علي عليه السلام بقيادة الأمويين وسواهم من مناوئيه وهم على الباطل، وقد ألبوا الناس عليه وجئشوا الجيوش لحربيه، فيدعهم و شأنهم، ويظفرون هم فيما بعد يوم الطف بال رسول الله فيسرونهم سبايا...

هذا ما لاحظه شعراء أهل البيت، فأكثروا النظم في ذلك، ومن ذلك قول أحدهم:

ملكتنا فكان العفو مناسجاً  
ولما ملكتم سال بالدم أبْطَحْ  
وحسِبُكم هذَا التَّفَاؤُت بَيْنَنَا  
وَكُلُّ إِنَاء بِالذِّي فِيهِ يَنْضَخُ

ويستعظم الطبرى وسواء من المؤرخين أفعال صحابة رسول الله كطلحة والزبير، وأم المؤمنين، فيحاولون تخفيف وطأتها باختلاق قصة فيها الكثير من الخرافة تروى أنَّ القوم قد وافقوا على الصلح، واتفقوا على المودعة، ولكنَّ قوماً من قتلة الخليفة عثمان أتشبوا القتال وكانت الحرب... يقولون هذا ليخففوا وطأة الملامة على صحابة الرسول وأم المؤمنين، غير أنَّ التاريخ القويم

لا يقرّ لهم بهذه القصة ذات التفاصيل الأسطورية، ويعلّق طه حسين على هذه القصة ورواتها فيقول:

«هنا يروي الغلاة من خصوم الشيعة قصّة ما أراها تستقيم لأنّها تخالف طبيعة الأشياء ولا يسغّها إلّا أصحاب السذاجة أو الذين يتتكلّفون أو يريدون تصوير التاريخ كما كان بمقدار ما يريدون تصويره كما تمنوا أن يكون... والتتكلّف في هذه القصة أظهر من أن نحتاج إلى كثير عناء في ردها»<sup>(١)</sup>.

والمصادر التاريخية لا تذكر العباس بن علي بشيء في هذه الأحداث، غير أنّ أكبر الظن أنّه توجّه مع أبيه وأخواته، ورفاقهم حتى عادوا إلى الكوفة واستقرّوا فيها...

ولا ريب أن هذه الأحداث قد زادت العباس يقيناً إلى يقين وايماناً إلى ايمان، حين يرى والده يدافع عن الحق ومناوئيه يقاتلون دفاعاً عن مصالحهم ونزوّاتهم...، وهكذا يخبر العباس المجتمع والنّاس ويرى من كانوا يعذّون في عدد كبار الصحابة ينحدرون ويسقطون إلى مهاوي لم يكن يعلمها إلّا الله...

ويرى أخلاق الإسلام المثلى في تصرفات أبيه وعفوه عن أعدائه ومناوئيه بعد المعركة، تحيي ما كان سمعه عن تصرفات رسول الله ﷺ في العفو والصفح...

(١) علي وبنوه، طه حسين: ٤٢.

---

## مع القاطنين

---

كان معاوية بن أبي سفيان في الشام يترقب ما تؤول إليه الأمور بحدٍ شديد، ولمعاوية ورّهطه في الشام تاريخ قديم، فقد ولوها منذ أن فتحت وركزوا سلطانهم فيها جيلاً بعد جيل، ولما كان عهد عثمان أَسْعَت سلطة معاوية لقرباته لل الخليفة وعمل على تثبيت سلطته وحكمه فيما تحت يديه من ولايات . . .

وكانت تصرفات معاوية واستئثاره في طليعة الأسباب التي أَلْبَت الناس على الخليفة الثالث وأدَّت إلى مقتله . . .، ورغم أن الخليفة أرسل إلى معاوية مراراً يحثه على نجذته، إلا أنه ترَّص به ريب المنون، حتى إذا قُتل نهض للطلب بدمه . . .

ومعاوية الذي تقاعس عن نصرة الخليفة، وتحت سلطته الآلاف المؤلفة من الجندي، ما كان يرى في دم الخليفة إلاً وسيلة لبلوغ المني في الحكم والخلافة، حتى قال له أحد الصحابة حينما ذكر معاوية طلبه بدم عثمان: نصرته . أي عثمان . حينما كان النَّصر لك، وخذلتَه حينما كان النَّصر له .

ويُوضَّح الإمام علي عليه السلام هذا المعنى في إحدى رسائله إلى معاوية التي يتهمه فيها بالتقاعس عن نصرة الخليفة:

«فَإِنَّا كَانَ أَغْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَايِلِهِ؟، أَمْنَ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَأَسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ، أَمْنَ اسْتَثْصَرَهُ فَتَرَاهُ عَنْهُ وَبَتَ الْمَثُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللهُ<sup>(١)</sup> (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوَقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَابِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ أَبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا). وَمَا كُنْتُ لَا غَنَدَرَ مِنْ أَنَّيْ كُنْتُ أَنْقُمْ عَلَيْهِ أَخْدَائِي، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِزْشَادِي وَهِدَابِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَبَّ لَهُ، وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظُّنْنَةُ الْمُتَضَطِّحَ»<sup>(٢)</sup>.

ويستمر معاوية في عصيانه للإمام علي، ويترقب بلهفة نتائج معركة الجمل وما آلت إليه، وقد أفادته هذه المعركة أشد الإفادة، فرکز سلطانه وأعد نفسه لليوم الذي سيحارب فيه علياً...

ويأسف معاوية كل الأسف لأن أم المؤمنين عائشة لم تُقتل في معركة الجمل، ولو قُتلت لأفاد من ذلك أشد الإفادة في اتهام علي عليه السلام...، ويروى أنه قال لعائشة ذات يوم: «لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل!»، فقالت له: «ولم لا أبا لك؟»، فقال: «كنت تموتين وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على علي!»<sup>(٢)</sup>.

ويستقطب معاوية كبار الزعماء بالأموال والإقطاعات، وفي

(١) نهج البلاغة: ٥٠٠.

(٢) وعاظ السلاطين، د. علي الوردي: ١٩٨، عن تهذيب الكامل للمربد: ٢٩٧/١.

طليعتهم عمرو بن العاص، ونحن حين نذكر عمرو بن العاص نراه انموذجاً لتصرفات الطامعين في ذلك العهد! . . . وشاهدنا على تصرفات معاوية في استقطاب الزعماء والصحابة . . .

والرواية كما يرويها ابن أبي الحديد:

«لما نزل عليٌ عليه السلام الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة، كتب إلى معاوية كتاباً يدعوه إلى البيعة، أرسل جرير بن عبد الله البجلي. فقدم عليه به الشام. فقرأ واغتنم بما فيه، وذهبت به أفكاره كلّ مذهب . . .»

فاستشار أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشدّ اعزالاً؛ إلا أن يثمن له دينه فسيبعك، فإنه صاحب دنيا.

فكتب إليه معاوية:

أما بعد، فإنه كان من أمر عليٍ وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نَفَرٍ من أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة عليٍ، وقد حبسْت نفسِي عليك، فأقبل أذاكرك أموراً لا ت عدم صلاح مَعْبُتها، إن شاء الله.

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنيه: عبد الله بن عمرو ومحمد بن عمرو، فقال لهم: ما تريان؟ فقال عبد الله: . . . قرئ في منزلك، فلست مجعلولاً خليفة، ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية، على دنيا قليلة أو شكتما أن تهلكا، فتسويا

في عقابها. وقال محمد: أرى أئك شيخ قريش، وصاحب أمرها، وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغرْ أمرُك، فالحق بجماعة أهل الشام، ولكن يداً من أيديها، طالباً بدم عثمان، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية.

فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله، فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر. فلما جئه الليل رفع صوته وأهله يسمعون، فقال:

وَإِنَّ ابْنَ هَنْدَ سَالْتَنِي أَنْ أَزُورَهُ

وَتَلَكَ الَّتِي فِيهَا بَنَاثُ الْبَوَايْقِ<sup>(١)</sup>

أَنَاهَ جَرِيرُ مِنْ عَلَيِّ بَخْطَةٍ

أَمْرَثَ عَلَيْهِ الْعِيشَ ذَاتَ مَضَائِقَ

فَإِنَّ نَالَ مَثْنَى مَا يَؤْمُلُ رَدَهُ

وَإِنَّ لَمْ يَنْلِهِ ذَلِّ ذَلِّ الْمَطَابِقِ<sup>(٢)</sup>

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَمَا كُنْتُ هَكَذَا

أَكُونُ وَمَنْهَا قَادِنِي فَهُوَ سَابِقِي

أَخْادِغُهُ إِنَّ الْخَدَاعَ دُنْيَةٌ

أَمْ أَعْطِيهِ مِنْ نَفْسِي نَصِيحَةً وَامْ

(١) البوائق: جمع بائقة؛ وهي الداهية.

(٢) المطابقة: المشي في القيد.

أَمْ أَقْعُدُ فِي بَيْتِي وَفِي ذَاكَ رَاحَةً  
 لِشَيْخٍ يَخَافُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ شَارِقٍ  
 وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَوْلًا تَعْلَمُتْ  
 بِهِ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَقْتُطِعْنِي عَوَائِقِي  
 وَخَالَقَهُ فِيهِ أَخْوَهُ مُحَمَّدٌ  
 وَانِي لَضُلْبُ الْعُودِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ

فقال عبد الله: رحل الشيخ، ودعا عمرو غلامه وردان . وكان داهياً مارداً . فقال: ارحل يا وردان، ثم قال: اخطط يا وردان، ثم قال: ارحل يا وردان، اخطط يا وردان، فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله! أما إنك إن شئت أنيأتك بما في قلبك، قال: هات ويحك! ، قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: علي معه الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، ولبيت الدنيا عوض من الآخرة، وأنت واقف بينهما، قال: قاتلك الله! ما أخطأت ما في قلبي، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغثوا عنك . قال: الآن لما أشهرت الناس سيري إلى معاوية! فارت حل وهو يقول:

يَا قَائِلَ اللَّهِ وَرْدَانًا وَقَذْخَتَهُ  
 أَبْدَى لَعْمَرُكَ مَا فِي النَّفْسِ وَرْدَان

لَمَّا تَعَرَّضَتِ الْذُئْيَا عَرَضَتِ لَهَا  
 بِحَرْصِنَفْسٍ وَفِي الْأَطْبَاعِ إِذْهَانٌ  
 نَفْسٌ تَعْفُ رَأْخَرَى الْحَرْصِ يَغْلِبُهَا  
 وَالْمَرْءُ يَأْكُلُ تِبْنَاهُ وَهُوَ غَرْثَانٌ  
 أَمَا عَلَيَّ فَدِينٌ لَيْسَ يَشْرُكُهُ  
 ذُئْيَا، وَذَاكَ لَهُ دُنْيَا وَسُلْطَانٌ  
 فَاخْتَرْتُ مِنْ طَمَعِي ذُئْيَا عَلَى بَصَرٍ  
 وَمَا مَعِيَ بِالَّذِي أَخْتَارُ بُزْهَانٌ  
 إِنِّي لَا عِرْفٌ مَا فِيهَا وَأَبْصِرُهُ  
 وَفِي أَيْضًا لَمَا أَهْرَوْهُ الْوَانُ  
 لَكُنْ نَفْسِي تَحْبُّ الْعِيشَ فِي شَرَفٍ  
 وَلَيْسَ يَرْضَى بِذَلِّ الْعِيشِ إِنْسَانٌ  
 فَسَارَ حَتَّى قَدَمَ عَلَى مَعَاوِيَةِ . . .

وَقَالَ مَعَاوِيَةَ لِعُمَرَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى جَهَادِ  
 هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي عَصَى اللَّهَ وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَقُتِلَ الْخَلِيفَةُ  
 وَأَظْهَرَ الْفَتْنَةَ، وَفَرَقَ الْجَمَاعَةَ وَقَطَعَ الرَّحْمَ، فَقَالَ عُمَرُ: مَنْ  
 هُوَ؟ قَالَ: عَلَيَّ، قَالَ: وَاللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ مَا أَنْتُ وَعَلَى بِحَمْلِي بَعِيرٌ؟  
 لَيْسَ لَكَ هَجْرَتَهُ وَلَا سَابَقْتَهُ، وَلَا صَحْبَتَهُ وَلَا جَهَادَهُ، وَلَا فَقِهَهُ  
 وَلَا عِلْمَهُ، وَوَاللَّهِ إِنَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ لَحْظَةً فِي الْحَرْبِ لَيْسَ لَأَحَدٍ  
 غَيْرَهُ . . . ، فَمَا تَجْعَلُ لِي إِنْ شَايْعَتْكَ عَلَى حَرْبِهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا

فيه من الغَرر والخطر؟ قال: حُكْمك. فقال: مصر طُغْمة، فتكلّأ عليه معاوية.

فقال له معاوية: يا أبا عبد الله إني لاستحي لك أن تتحدث العرب عنك أتّك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: دَعْنِي عنك، فقال معاوية: إني لو شئت أُنْهَاك وأخدعك لفعلت، قال عمرو: لا لعمر الله ما مثلي يُخدع، لأنّا أكيسُ من ذلك؛ قال معاوية: اذْنُ مني أساز لك فدنا منه عمرو ليسازه، فغضّ معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة! هل ترى في البيت أحداً؟ ليس غيري وغيرك.

ويعلق البلخي. وهو أحد كبار أعلام المعتزلة. على قول عمرو له: «دعني عنك»: كناية عن الإلحاد، بل تصريح به، أي دَعْ هذا الكلام؛ لا أصل له، فإِنَّ اعتقاد الآخرة، وآئتها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات.

وقال: وما زال عمرو بن العاص مُلحداً، ما تردد قطُّ في الإلحاد والزندة، وكان معاوية مثله<sup>(١)</sup>.

ويرى عليٌّ عليه السلام ما آلت إليه الأمور، يرى معاوية ورهطه الطامعين يستأثرون بمال الله ويتخذون عباده خولاً وعبيداً، وهو الخليفة الحاكم وعليه مسؤولية الحفاظ على العباد والبلاد، ويرى

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦١، وذكر ذلك باختصار الطبرى:  
٢٦٦/٤.

أنَّ من واجبه قتالِ القوم حتى يحملهم على الطاعة بعد أن لم يفلح فيهم الوعظ والإرشاد...، ويقول ﷺ :

«وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ<sup>(١)</sup>، وَقَلَبْتُ ظَهَرَةً وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرِ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكْرُهُ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَنْ يُغَصِّ فِي الْأَرْضِ وَهُمْ سُكُونٌ مُذْعَنُونَ، لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَوَجَدْتُ الْقِتَالَ عَلَيَّ أَهْوَانَ مِنْ مُعَالَجَةِ الْأَغْلَالِ فِي جَهَنَّمَ»<sup>(٣)</sup>.

ويلتقي الجيشان في صفين، ومعاوية وصحابه على الماء يستقون ما بدا لهم، وأراد أصحاب علي ﷺ الاستقاء فمنعهم معاوية وصحابه، وأرسل علي ﷺ إلى معاوية ليجعل الماء لكلا العسكريين، فركب معاوية رأسه ومنع الماء عن أصحاب علي وهذه سنة أموية استن بهما يزيد وعماليه في منع الحسين ﷺ وعيال رسول الله الماء في كربلاء...، ورأى علي ﷺ أن لا بد من الماء، فأذن لجيشه بالقتال، وأزاحوا أصحاب معاوية عن الماء، وأراد جيش علي ﷺ أن يمنعوا

(١) ضربت أنف هذا الأمر وعينه: مثل يقال محن استنفذ كل التسلل، واستقصى كل جوانب الأمر.

(٢) نهج البلاغة: ٧٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠٨.

معاوية وصحابه من الاستقاء، فمنعهم عليٌّ وقال لهم: «خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم وخلوا عنهم، فإنَّ الله عزوجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغיהם»<sup>(١)</sup>.

ويرسل عليٌّ الرسول تلو الرسول إلى معاوية عليه يفيء إلى أمر الله ويتوزع عن سفك الدُّماء، غير أنَّ من قاتل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنتين طوال حتى رأى أنه لا بدَّ من الإسلام فأسلم في فتح مكة مكرهاً، لا يتوزع عن مقاتلة وصيه وخليفته فيما بعد...، فكان ما لا بدَّ منه، وهو القتال...

ويوصي الإمام عليٌّ جنده قبل القتال فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فأنتم بحمد الله عزوجل على حجَّة، وترككم ايامهم حتى يبدأوكم حجة أخرى لكم، فإن قاتلتموهם فهزموهم لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوه بقتيل، فإن وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترآ، ولا تدخلوا داراً إلاً بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تُهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس...»<sup>(٢)</sup>.

ويرى العباس بن عليٍّ هذه المواقف، وأغلب المصادر تنصُّ

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤/٢٨٤.

على أَنَّهُ حضر يوم صفين، فینهل من معين الفروسيَّة وسماحة الإسلام، يرى ذلك كُلُّهُ في تصرفات أبيه وموافقه ووصاياته، وكأنَّه يرى عيانًا ما ذكروه له من وصايا رسول الله وسماحة خلقه وأوامره . . .

على أي حالٍ، يبدأ القتال ومع عليٍّ خيرة الصحابة والمهاجرين والأنصار والقراء، ويطول أيامًا، وكان في هذه الحرب عمَّار بن ياسر وهو الصحابي الجليل من قادة جيش علي عليهما السلام البارزين، وطالما كان يردد: اللهم إِنِّي تعلم أَنِّي لو أعلم أَنَّ رضاك في أنْ أَقذف نفسي في هذا البر لفعلته، وإنِّي لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين . . .

ونظر مرَّة إلى جند الشام ورأيتهم مع عمرو بن العاص، فقال: لقد قاتلت صاحب هذه الرأية ثلاثة مع رسول الله عليهما السلام، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتفى<sup>(١)</sup> .

وقاتل عمَّار تحت لواء علي عليهما السلام حتى استشهد . . .

ويذكر الطَّبرِي رواية نسبين منها الأساليب التي كان يقاتل بها معاوية والأمور التي يقنع بها جهله أهل الشَّام؛ فقد روي وتوارد عن رسول الله قوله لعمَّار: تقتلك الفتنة الباغية . . . والرواية عن أحد أصحاب علي عليهما السلام يقول: لما دخل الليل قلت: لأدخلن

(١) تاريخ الطبرى: ٣٠٦/٤

إليهم . أي أهل الشَّام . حتى أعلم : هل بلغ منهم قتل عمَّار ما بلغ مثنا ! ، فركبت فرسي . . . ، ثُمَّ دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون : معاوية ، وأبو الأعور السلمي وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو ، فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشَّقين ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبا ، قتلت هذا الرَّجل في يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ! ، قال : وما قال ؟ ، قال : ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد ، والنَّاس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة ، وعمَّار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين ، فغُشِيَ عليه فأتاه رسول الله ﷺ ، فجعل يمسح التُّراب عن وجهه ويقول : « . . . مع ذلك تقتلك الفتاة الbagia » ، فدفع عمرو صدر فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله ، قال : وما يقول ؟ ، فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنَّك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدث بالحديث . . . ، أو نحن قتلنا عمَّاراً ، إنَّما قتل عمَّاراً من جاء به !! . . . فخرج النَّاس من فساطيطهم وأخبيتهم ، يقولون : إنَّما قتل عمَّاراً من جاء به ، فلا أدرى من كان أعجب ، هو أم هم ! . . . <sup>(١)</sup> .

وتروي بعض المصادر أنَّ عبد الله بن عمرو استخفَ بهذا التعليل وقال هازئاً : كذلك على هذا القياس . . . حمزة عمَّ الرَّسول قتله الرَّسول ﷺ ولم يقتله وحشى ! . . .

(1) الطبرى : ٣٠٨ / ٤

وفي احدى مواقف صفين، نادى عليٌ عليه السلام معاوية، وقال له : علام يقتل الناس بينما؟، هلْم أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرجل، فقال معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجلٌ قطُ إلا قتله، قال له عمرو : وما يجعل بك عن مبارزته؟، فقال معاوية : طمعت بها بعدي . أي بإمارة الشام .<sup>(١)</sup>

ويصف الدكتور طه حسين الحرب بين الفريقين بقوله : « غالب على قوم دينهم فقاتلوا لنصره كما يقاتل المؤمنون الصادقون ، وغلبت على قوم دنياهم فقاتلوا لاحتيازها كما يقاتل الطامعون الجامحون ... ».<sup>(٢)</sup>

وفي بعض مواقف صفين، تحمس عمرو بن العاص فوق العادة ، وهو أن يبارز علياً عليه السلام ، فلما دنا منه ارتعد ورفع ثيابه ، وكشف سوأته ! ، فتحتى علي عليه السلام بوجهه منه ، وفر عمرو هارباً لا يلوى على شيء ! وتلقاه معاوية هازئاً يقول : احمد الله ، و(...)<sup>(٣)</sup> يا عمرو<sup>(٤)</sup>.

وقد حذا حذو عمرو بن العاص بسر بن أرطاة أحد قادة أهل الشام ، وكشف سوأته مثله ...

(١) المصدر نفسه.

(٢) علي وبنوه : ٧٩.

(٣) كلمة موجودة في الأصل ، نزله كتاب أبي الفضل عن ذكرها.

(٤) الأخبار الطوال ، الدينوري : ١٧٧.

وقد ذكر علي عليهما السلام عمرو بن العاص بذلك فقال:

«إِنَّهُ لَيَقُولُ فِي كِذِبٍ، وَيَعْدُ فِي خَلْفٍ، وَيُسَأَلُ فِي لِحْفٍ»<sup>(١)</sup> وَيُسَأَلُ فِي خَلْفٍ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ وَيَقْطَعُ الْإِلَاء<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَزْبِ فَأَيُّ رَاجِرٍ وَأَمْرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا أَخَذَهَا، فَإِنْ كَانَ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتَهُ أَنْ يَمْنَعَ الْقَرِيمَ سَبَّتَهُ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

وقد أكثر الشعراء في هذا الموضوع، ومن ذلك قول الحارث الخثعمي:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ لَكَ يَنْتَهِي  
وَعُورَتَهُ وَسْطَ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٍ  
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلَيْهِ سَنَانَهُ  
وَيَضْحِكُ مِنْهَا فِي الْخَلَاءِ مَعَاوِيَهُ  
بَدَتْ أَمْسُ مِنْ عُمَرَ وَفَقَعَ رَأْسَهُ  
وَعُورَةُ بَسَرِ مِثْلَهَا حَذْوَ حَاذِيَهُ  
فَقُولًا لِعُمَرَ وَثُمَّ بَسَرٌ أَلَا انْظُرا  
لِنَفْسِكُمَا لَا تَلْقِيَا الْلَّيْثَ ثَانِيَهُ

(١) بِلِحْفٍ: يَلْحَعُ.

(٢) الْإِلَاء: القرابة.

(٣) سَبَّتَهُ: عورته.

(٤) نهج البلاغة: ١١٩.

وكونا بعيداً حين لا يبلغ القنا  
نحوركما إن التجارب كافية<sup>(١)</sup>  
ويروى مرة أن معاوية ضحك ضحكاً غريباً وعنه عمر بن العاص، فقال له: متّ تضحك أضحك الله سنك؟

قال معاوية: أضحك من حضور ذهنك يوم بارت علياً وإبدائك سوأتك، أما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا، ورأيت الموت عياناً ولو شاء لقتلك ولكن أبي ابن أبي طالب في قتلك إلا تكرماً فقال عمرو: أما والله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك ويدا سحرك، ويدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو دع<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك، لاحت بشائر النصر للإمام علي عليه السلام وجشه، فلجأ عمرو بن العاص ومعاوية إلى حيلة رفع المصاحف والدعوة إلى كتاب الله، وكانا يأملان بذلك أن يُفرقَا جيش الإمام علي عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وفعلاً خدعاً بعض أصحاب الإمام علي عليه السلام بذلك وتنادوا إلى السلم والمواعدة، رغم تحذير علي عليه السلام وخيار أصحابه من ذلك . . .

ويروى أن علياً خطبهم عندها قائلاً:

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/٣١٧.

(٢) مروج الذهب، المسعودي: ٣/٣٠.

(٣) راجع الطبرى: ٤/٣١٣، وحديث عمرو لمعاوية فى ذلك.

«عباد الله، امضوا على حُقْكُم وصَدِقَكُم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معبيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس . وهؤلاء قادة جيش معاوية . ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتم أطفالاً، وصحبتم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، ويحكم إنّهم ما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا<sup>(١)</sup> ومكيدة...<sup>(٢)</sup> غير أن بعض جمهور جيش الإمام عليه السلام ما كان ليقنع بذلك أبداً، وهذا دوّه بقتله أو تسلیمه إلى معاوية إن لم يقبل بالهدنة والتحکیم...».

عند ذلك قال علي عليه السلام - وكأنه ينظر بفراسته إلى الأيام القادمة بستر رقيق -: «فاحفظوا عني نهبي أيّاًكم، واحفظوا مقالتكم لي، أمّا أنا فإن طيعوني تقاتلوا، وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم!...»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا أجبر علي عليه السلام على قبول الهدنة والتحکیم حينما كان على قاب قوسين أو أدنى من التصر، ولم يكتفوا بهذا، بل عندما رشحوا الحكمين، رشح معاوية صاحبه الداهية عمرو بن العاص، ورشح علي عليه السلام ابن عمه عبد الله بن عباس وهو حبر

(١) دهنا: نفاقاً.

(٢) الطبری: ١٣٣/٤.

(٣) المصدر نفسه.

الأمة ومن دهاء العرب، فرفض جيش الإمام علي عليه عليه السلام ذلك، فعدل عنه إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر وهو من خيرة أصحاب الإمام علي عليه عليه السلام، فرفضوه أيضاً، واضطروه إلى القبول بأبي موسى الأشعري وهو شخص ضعيف، على حد تعبير المؤرخين، ومن غير الموالين للإمام علي عليه عليه السلام . . .

ويرتفع صوت هازئ من هذا الاختيار الضعيف الذي أجبر عليه الإمام عليه عليه السلام فيقول، مخاطباً أهل الشام:

لَرْكَانَ لِلْقَزْمِ رَأَيْ يَنْهَا دُونَ بِهِ  
بَغْدَ الْقَضَاءِ رَمَوْكُمْ بَابِنْ عَبَّاسِ  
لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشِيخِ مِنْ ذُوِي يَمَنِ  
لَمْ يَلْدِرْ مَا ضَرَبْ أَخْمَاسِ بِأَسْدَاسِ<sup>(١)</sup>

ويقول علي عليه عليه السلام في أسى: «لقد فعلتم فعلةً ضعفت قوّةً . . وأورثت وهنا وذلةً، ولما كنتم الأعلين، وخاف عدوكم الاجتياح، واستحرز<sup>(٢)</sup> بهم القتل ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف، ودعوكم إلى ما فيها لي Feinsteinوكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ويتربيصوا بكم ريب المنون خديعة ومكيدة، فأعطيتهم ما سألوا . . ، وأيم الله، ما أظلكم بعدها

(١) الأخبار الطوال، الدينوري: ١٩٣.

(٢) استحر: اشتد.

توافقون رشداً، ولا تُصيرون باب حزم...»<sup>(١)</sup>.

وما كان أسرع أن تخلى الأشعري على الإمام علي عليه السلام، واتفق مع عمرو بن العاص على عزله وعزل معاوية، ثم خرجوا للناس، فقدم عمرو أبا موسى للكلام فتكلم وعزل علياً، ثم تكلم عمرو فعزل علياً وثبتت معاوية... .

وهكذا خدع أبو موسى لغفلته أي خدعة، وقد طالما نبهه الناس إلى غدر عمرو ومكانته... .

ولم ينفض التحكيم عن شيء سوى عن فرقة جيش علي عليه السلام، فقد رأى بعضهم أنه قد كفر لقبوله بأساس فكرة التحكيم، مع أنهم اضطروا إلى ذلك، وهكذا نشأت فكرة الخوارج التي سترى لها في حرب النهروان... .

ويعود معاوية إلى الشام، لينصرف إلى بئر الغارات للقتل والترويع، وبئر صرر الأموال لشراء الذمم، واغداق الأموال على الشعراة وهم وسائل إعلام ذلك العصر... .

وممّا يؤثر أن معاوية استقبل الأخطل مرة فانشده الأخير مدحًا كان منه:

**وَطَذَتْ لَنَا دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ**

**بِحَلْمِكَ إِذْ هَرَّتْ سَفَاهًا كَلَابَهَا<sup>(٢)</sup>**

(١) تاريخ الطبرى: ٣١٩/٤.

(٢) وعاظ السلاطين، د. الوردي: ٢٢٣.

ولعل هذا البيت الذي لا نشك أن الأخطل نال بسيبه حظوة وأموالاً ينطوي على أتعاجيب ذلك الزَّمن، فالأخطل الشاعر النصراني الذي ما كانت الخمرة لتفارق شفتيه يمتدح معاوية ولم؟، لأنَّه برأيه قد وُطِّدَ له دين محمد ﷺ، وما الذي يعني شاعر الخمرة النصراني توطيد دين محمد ﷺ؟، ومن هم هؤلاء الكلاب الذين حاربهم معاوية...، فانظر واعجب!!.

والرواية التالية تشير إلى وجود العباس بن علي عليهما السلام يوم صفين إلى جانب والده وإخوته، فقد خرج من عسكر معاوية رجل يقال له كريب، وكان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه بإيهامه فتذهب كتابته، فنادى: ليخرج إليَّ علي، فبرز إليه بعض أنصار علي عليهما السلام فقتلهم، فساء ذلك أمير المؤمنين، فدعا ولده العباس عليهما السلام، وكان شاباً كاملاً من الرجال، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه، فلبس علي ثياب ولده العباس وركب فرسه، وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه لثلاً يجين كريب عن مبارزته إذا عرفه، فلما برز إليه أمير المؤمنين ذكره الآخرة وحذره بأس الله وسخطه، فقال كريب: لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك، ثم حمل على أمير المؤمنين فاتقاه بالدرقة، وضربه علي عليهما السلام على رأسه فشقَّه نصفين، ورجع أمير المؤمنين، وقال لولده محمد ابن الحنفية: قف عند مصرع كريب، فإنَّ طالب وتره يأتيك، فامتثل محمد أمر أبيه، فأتاه أحد بنى عمه فقتله....<sup>(١)</sup>.

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٢٧.

وحين نستقرئ التاريخ لنبحث عن أسباب نجاح معاوية ورده في الاحتفاظ بالشام وتسلّم السلطة وزمام الأمور فيما بعد، لا نراه إلاً في الدينار الذي كلما أضاء للناس مشوا فيه، وقد رأينا كيف استعمال معاوية عمرو بن العاص، وعلى هذه فقس ما سواها! ..

ويرى بعض المؤرخين لمعاوية دهاء فوق العادة، غير أن الواقع يشير إلى أنَّ الدهاء والإيمان يقان على طرفين تقىض، فهل يحق للباحث المنصف أن يعتبر شراء الذمم والغدر والإغتيال دهاء؟ .. وهل يكون الدهاء على حساب الإسلام والمسلمين ومصلحتهم العليا؟ ..

هذا ما يقرره أمير المؤمنين في نهج البلاغة، حيث يقول:

«وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةٌ بِأَذْهَنِي، وَلِكُنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَّةِ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَنِ النَّاسِ، وَلِكُنَّ كُلُّ غَدْرٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَلَكُلُّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهِ مَا أَسْتَغْفِلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أَسْتَغْمِزُ بِالشَّدِيدَةِ»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

وللذكتور طه حسين رأي في هذا الموضوع حيث يقول:

(١) لا أستغمز بالشديدة: لا أستضعف للخطوب المذهبة، والدواهي المعضلة.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠٠.

«كان عليٌ يُدَبِّر خلافةً، وكان معاوية يُدَبِّر ملكاً، وكان عصر الخلافة قد مضى، وعصر الملك قد أظل»<sup>(١)</sup>.

ولا أدل على ذلك من أن معاوية ما توزع عن دفع الجزية لملك الروم كي يتفرغ للحرب، حرب المسلمين!<sup>(٢)</sup>.

والرواية بدفع الجزية تذكر أنه كان يدفع لامبراطور الروم قسطنطين الرابع، سنوياً ثلاثة آلاف قطعة بيزنطية ذهباً وخمسين حصاناً أصيلاً!<sup>(٣)</sup>...

ويعلق الجاحظ شارحاً هذا الأمر فيقول:

ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والتميز، يزعم أن معاوية كان أبعد غوراً، وأصح فكراً وأجود رؤية وأبعد غايةً وأدق مسلكاً؛ وليس الأمر كذلك..

كان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنّة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة كما يستعمل الكتاب والسنّة، ويستعمل جميع المكاييد حلالها وحرامها ويسير في الحرب سيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى..

ومن اقتصر في التدبير على ما في الكتاب والسنّة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا ينافي من المكاييد.

(١) علي وبنوه، طه حسين: ١٦٤.

(٢) راجع الإمام الحسين، العلايلي: ٦١.

(٣) المردايون (المردة)، المؤرخ عادل اسماعيل: ٢٨.

والكذب - حفظك الله - أكثر من الصدق والحلال أكثر عدداً من الحرام . . . ، فلما أبصر العوام كثرة نوادر معاوية في المكايد وكثرة غرائبه في الخداع وما اتفق له وتهيأ على يديه . . . ظئوا - بقصر عقولهم وقلة علومهم - أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصانٍ من علي<sup>عليه السلام</sup><sup>(١)</sup>.

ولعل الحقيقة هي ما رأها المفكر مالك بن نبي الذي اعتبر أن معركة صفين بما أدت إليه من ثبيت معاوية في حكمه كانت انقلاباً على الإسلام، يذكر المفكر المصري الأستاذ فهمي هويدى في مجلة العربي (تموز ١٩٨٠، ص: ٤٦) ذلك فيقول:

«أستاذنا مالك بن نبي يعتبر مرحلة صفين بداية المرحلة التي أدت إلى انفصال الضمير عن العلم، منذ ذلك الحين حدث الإنقلاب الأول في التاريخ الإسلامي وقد كان هذا الإنقلاب أعمق وأخطر مما نتصور . . . وصار الإسلام نصاً وليس فكرةً ورسالة»<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردنا أن نلخص الموقف بكلمات معدودة، لا بد وأن نلاحظ أن علياً كان حاسماً كالسيف لا يقبل المهادة والمساومة على حساب الحق . . . فيما معاوية ملك من الملوك يقدم الملك والدينار على الدين والإيمان . . .

فالحياة عند معاوية صفقات ومصالح وأموال، والدين سلعة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢٩/١٠.

(٢) الاسماعيليون والمغول، حسن الأمين: ٢٢٢.

يشترىها من أهلها فيحصلون له النصيحة ويررون في فضله الأحاديث والأخبار...، أمّا الحياة عند علي عليه السلام موقف ثابت على الحق سواء وافقه الناس عليه أم خالفوه، وهكذا استغل معاوية ومن بعده خلفاؤه الإسلام ليؤسّسوا إمبراطورية<sup>(١)</sup> لا تختلف عن إمبراطوريات الروم والفرس إلا ببعض الشعائر والمظاهر...




---

(١) ولم يكن أبلغ من وصف الوليد بن يزيد الخليفة الأموي (عام ١٢٥ هـ) لهذه الإمبراطورية وللأسرة الحاكمة:

فَدَعْ عَنْكَ اذْكَارَكَ آلَ سَعْدِي  
وَأَخْرَنَ الْمَالَكُونَ السَّاسَ قَسْرَا  
وَأَزْوَرَهُمْ حِيَاضَ الْخَنْسَفِ ذَلَا

دائرة المعارف الإسلامية، حسن الأمين: ٤٠١/١.

## معركة النهردان

وصلت أنباء التحكيم إلى جيش الإمام علي عليه السلام، فهبت طائفة منهم مستنكرةً الأمر واعتبرت أنَّ الإمام عليه السلام قد كفر بقوله بذلك، مع علمهم أنه عليه السلام كان أول من رفضه وحدّرهم منه، وقد رأينا كيف طلب منهم أن يحفظوا موقفه ويذكروه . . .

ويخطب عليه السلام بعد التحكيم فيقول:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ<sup>(١)</sup> وَالْحَدِيثِ  
الْجَلِيلِ. وَأَشَهَدُ أَنَّ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ  
غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . . .»

أما بعده، فإنَّ مَعْصِية النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ، تُورِثُ  
الْحَسْرَةَ، وَتُعَقِّبُ النَّدَامَةَ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ كُنْتُ أَمْرَتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ  
أَمْرِي، وَنَخَلَّتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأِيِّي<sup>(٣)</sup>، لَوْ كَانَ بِطَاعَ لِقَصِيرٍ

(١) الخطب الفادح: الأمر العظيم، والفادح: المبهظ، الثقيل. والمراد: حمده جل جلاله عند الشدة كما نحمده عند الرخاء.

(٢) تعقب: تورث.

(٣) نخلت لكم مخزون رأيي: استخلصت لكم أحسن الآراء وأجردها.

أَمْرٌ<sup>(١)</sup>، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاهَا، وَالْمُنَابِدِينَ الْعُصَاهَا، فَكُثِّثْ أَنَا وَإِيَّاكمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ<sup>(٢)</sup>:

أَمْرُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ الْلَّوَى<sup>(٣)</sup>

فَلَمْ تَشْتَبِئُوا أَلْضَحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ<sup>(٤)</sup>

وأخذ هؤلاء المنكرون يثيرون المشاكل ويجهرون بالعصيان، وجعلوا شعارهم كلمة: لا حُكْمَ إِلَّا لِللهِ، وحكم على حكماً عظيماً في ذلك فقال لهم: كلمة حقٌ يلتمس بها باطل، أما إنَّ لكم عندنا ثلاثة ما صحبتمنا: لا نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء<sup>(٥)</sup> ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا

(١) لو كان يطاع لقصير أمر: قصير: مولى جذيمة الأبرش. أحد ملوك العرب وقد دعته الزياء. ملكة الجزيرة. للزواج بها، فأشار عليه قصير أن لا يفعل، فخالفه وذهب فقتله، فقال: لو كان يطاع لقصير أمر، فذهبت مثلًا لكل ناصح مصيب الرأي عصاه قومه.

(٢) أخو هوزان: دريد بن الصمة، من شعراء الجاهلية ورؤسائها.

(٣) منعرج اللوى: اسم مكان. والبيت من قصيدة قالها في غزوة لهم غنموا فيها، وكان أخوه قائدتها، فساروا غير بعيد فامر أخوه القوم بالتوقف وأخذ المربع. حصة الرئيس. ولم يوافق دريد خوفاً أن يدركهم الطلب لقربهم من عدوهم، فلم يلتفت أخره إليه، وفعلاً وصل إليهم القوم فقتلواهم، واستنقذوا ما بأيديهم، ونجا دريد معروحاً.

(٤) نهج البلاغة: ٦٩، وتاريخ الطبرى: ٣٣٦ / ٤.

(٥) أي العطاء من بيت مال المسلمين.

نقاتلكم حتى تبدأونا»<sup>(١)</sup>.

ثم اعتزلوا الناس، فتركهم الإمام علي عليه السلام وشأنهم، وانصرف يستعد لحرب معاوية بن أبي سفيان، غير أنَّ حدثاً حدث غير ما كان قد عزم عليه، فقد خرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه فتهددوه وأفزعوه، وقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض. وكان سقط عنده لما أفزعه. فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم، قالوا له: لا رَزْعَ عَلَيْكَ! فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي صلوات الله عليه وسلم، لعل الله ينفعنا به! قال: حدثني أبي، عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم، «أن فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً» . . . قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرته، فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على اسمائها لا على افعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبل مُتم<sup>(٢)</sup> حتى نزلوا تحت نخل موافق<sup>(٣)</sup>، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه،

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٢٣٣.

(٢) المتم: المرأة الحامل إذا شارفت الوضع.

(٣) النخل المواقر: الكثير الحمل.

قال أحدهم: بغير حلها، وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمرّ به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره، فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى مما عليّ منكم بأس، إني لُمسلم؛ ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد أمنتوني، قلت: لا رفع عليك! فجاءوا به فأضجعواه فذبحوه وسال دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني أنا امرأة، ألا تتقدون الله! فبقرروا بطنها، وقتلوا ثلات نسوة من طيء، فبلغ ذلك عليناً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب، واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدية ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتمه. فخرج حتى انتهى إلى النهر ليُسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبرُ أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام، فنادي بالرحيل...<sup>(١)</sup>.

وفيما الإمام علي يتوجه نحوهم لقيه بعض الناس ممن له علم بالتجوم، فقال له:

إِنْ سِرْتَ هَذَا الْوَقْتَ خَشِيتُ أَنْ لَا تَظْفَرَ بِمُرَادِكَ مِنْ طَرِيقِ

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٣٤١.

علم النجوم. فقال عليه السلام:

«أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنك السوء؟ وتحوف من الساعة التي من سار فيها حاق به<sup>(١)</sup> الضر؟ فمن صدّقك بهذا فقد كذب القرآن، وأستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب، ودفع المكرور، وتبتغى في قوله للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر».

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

«أيها الناس! إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتم<sup>(٢)</sup> به في بر أو بحر، فإنها تدعوا إلى الكهانة، والمُنجم كالكافر<sup>(٣)</sup>، والكافر كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على أسم الله»<sup>(٤)</sup>.

ويحاور الإمام علي عليه السلام هؤلاء الخارجين ويرسل إليهم الرسول تلو الرسول لكن الجهل والتعصب كان قد ذهب بهم كل مذهب، فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيأوا للقاء رب<sup>(٥)</sup>.

(١) حاق به: أحاط به.

(٢) المراد معرفة الأوقات والأيام والاتجاهات.

(٣) الكاهن: المخبر عن الغيبات عن طريق الاتصال بالجنة كما يدعى.

(٤) نهج البلاغة: ١٠٢.

(٥) تاريخ الطبرى: ٣٤٣/٤.

وأرسل الإمام علي عليه السلام راية أمان<sup>(١)</sup>، فالتحق بها جمع كثير، واعتزل جمع آخر المعركة وأصر الباقي على القتال رافضين أي حوار ومنطق، وهم على ذلك يتنادون: الرُّواح الرُّواح إلى الجنة... .

وكان ما لا مفر منه من القتال الذي انتصر فيه جيش الإمام علي عليه السلام... ، غير أنَّ هؤلاء الخارجين عن طاعة الإمام عليه السلام. وقد عرروا فيما بعد بالخوارج. شكلوا مجموعة من الأفكار التي تغلغلت في نفوس جيش الإمام عليه السلام فما لبث أن دبت الفرقة فيه، وتقوضت بعض دعائمه... .

ويدعوهـم الإمام عليه السلام للزحف نحو الشام فيتقاـسون ويتوـاكلون، وأكثـر من ذلك يغزوـهم معاـوية ويوجهـه عليهم الغـارة تلو الغـارة، فيتقاـسون عن ردـه والـدفاع عن أنفسـهم وإخوانـهم... .

ولعلـ من الأسبـاب التي أدتـ إلى ذلك غـياب بعض الـقيادات المـخلصـة التي آزـرت الإمام حـتى التـنفس الأـخير، كـعمـار بن يـاسـر الذي استـشهد يوم صـفين مع علي عليه السلام، وـمالـك الأـشـترـ زـعـيم الكـوفـة الذي اـغـتـالـه مـعاـوية بالـسـم<sup>(٢)</sup>... ، ولا يـخفـي ما كانـ لهـذه الـقيادات من تـأـثيرـ كبيرـ على الجـماـهـيرـ والـقـاعـدةـ الشـعـبـيـةـ... .

ويأسـ الإمام عليه السلام للـحـالةـ التي أـلـمـتـ بـجيـشهـ، وـرـئـةـ الأـسـىـ نـحـسـهاـ فيـ كـلـمـاتـهـ وـخـطـبـهـ وـهـوـ يـخـاطـبـ جـيـشهـ المـتـقاـسـنـ، الـذـيـ

(١) راجـعـ، الأخـبارـ الطـوالـ، الـدـينـوريـ: ٢١٠.

(٢) راجـعـ تـارـيخـ الطـبـريـ: ٤/٣٥٢.

دَبَّتْ بِهِ الْفَرْقَةُ وَاعْتَرَاهُ التَّمَزِّقُ . . .

يقول ﷺ :

«أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَنَحَّهُ اللَّهُ لِخَاصَّةٍ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَىٰ<sup>(١)</sup>، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِيلَةُ، وَجُنْتُهُ الْوَثِيقَةُ<sup>(٢)</sup>، فَمَنْ تَرَكَهُ، رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الْذُلُّ وَشَمِلَةَ الْبَلَاءِ، وَدُيْثَ بِالصَّغَارِ<sup>(٣)</sup> وَالْقَمَاءَةِ<sup>(٤)</sup>، وَضُرِبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ<sup>(٥)</sup>، وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ<sup>(٦)</sup>، وَمَنْعِ النَّضْفَ<sup>(٧)</sup>. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قَتَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا

(١) لباس التقى: زي المتقين وشعاراتهم.

(٢) جنته الوثيقة: الجنة: كل ما يقي. يحمي. الإنسان من المخاطر، والمراد: أن الجهاد يقي المجاهد مخاطر الدنيا والآخرة.

(٣) وديث بالصغر والقماءة: ديث: ذلل. الصغار: الذل والهوان. والقماءة: الذل. أتى ﷺ بثلاث كلمات في معنى واحد، وهو ما يلحق تارك الجهاد من ذل وهوان في الدنيا والآخرة.

(٤) وضرب على قلبه بالأسداد: جمع سد وهو الحاجز، وذلك كنایة عن خذلان الله لهم لتركهم أمره.

(٥) واديل الحق منه: غلبه عدوه.

(٦) وسيم الخسف: ألزم الذل.

(٧) ومنع النصف: النصف: العدل. والمعنى: إنه بتركه فريضة الجهاد يتلى بحكام ظالمين يعاملونه بالظلم؛ وقد حصل ذلك لأهل الكوفة، فقد حكمهم زياد بن أبيه، والمغيرة بن شعبة، والحجاج بن يوسف، ويوسف بن عمر، أشر حكام بني أمية.

وَنَهَاراً، وَسِرَاً وَإِغْلَانَا، وَقُلْتُ لَكُمْ: «أَغْرِوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْرِوْكُمْ، فَوَاللهِ مَا غَزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُوا». فَتَوَاكِلُنَا وَتَخَادُلُنَا حَتَّى شَتَّى شَتَّى عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، وَمَلَكُثَ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. وَهَذَا أَخْوَ غَامِدٍ قَدْ بَلَغَتْ خَيْلَةَ الْأَنْبَار...<sup>(١)</sup>. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَذْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَااهِدَةِ<sup>(٢)</sup> فَيَشْتَرِعُ حِجْلَهَا، وَقُلْبَهَا، وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا<sup>(٣)</sup>، مَا تَمْتَنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ آتَصْرَفُوا وَافِرِينَ<sup>(٥)</sup> مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمَ<sup>(٦)</sup>، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمً.

فَلَوْ أَنَّ امْرَأَ مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا. فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَجْلِبُ الْقَمَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفْرِقُكُمْ عَنْ

(١) الأنبار: بلدة على الفرات.

(٢) المعااهدة: المرأة الكتابية، يهودية كانت أو نصرانية، داخلة في حماية الإسلام.

(٣) حجلها وقلبها وقلائدها ورعايتها: الحجل: الخلخال. والقلب: السوار. والرعاة: القرط وكل هذا مما تتزين به النساء.

(٤) بالاسترجاع والاسترحام: الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء، والاسترحام: مناشدة الرحم. والمراد: ليس لها ما تمنع به إلا الاستعطاف والتسلل.

(٥) الوافر: التام.

(٦) كلم: جرح.

حُكْمَ فَقْبَحًا لَكُمْ وَتَرَحًا<sup>(١)</sup>، حِينَ صِرْثُمْ غَرَضًا يُرْمَى<sup>(٢)</sup>، يُغَارِ  
عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغَرِّزُونَ وَلَا تَغْرُزُونَ، وَيَغْصِي اللَّهُ وَتَرَضُّونَ.  
فَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ، قُلْتُمْ: «هَذِهِ حَمَارَةُ  
الْقَيْظِ<sup>(٣)</sup> أَمْهَلْنَا يَسْبَخُ<sup>(٤)</sup> عَنَّا الْحَرِّ»، وَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي  
الشَّتَاءِ، قُلْتُمْ: «هَذِهِ صَبَارَةُ الْقَرْ<sup>(٥)</sup> أَمْهَلْنَا يَشْلُخُ عَنَّا الْبَرْدَ»، كُلُّ  
هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفِرُّوْنَ فَأَنْتُمْ  
وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُّ. يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالًا! حُلُومُ الْأَطْفَالِ،  
وَعُقُولُ رَبَاتِ الْحِجَالِ<sup>(٦)</sup>، لَوْدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُمْ وَلَمْ أَغْرِفْكُمْ؛  
مَغْرَفَةً، وَاللَّهُ، جَرَثْ نَدَمًا، وَأَعْقَبْتُ سَدَمًا<sup>(٧)</sup>. قَاتَلْكُمُ اللَّهُ! لَقَدْ  
مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَبْحًا، وَشَحَّتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نَغْبَ  
الْتَّهَمَامَ أَنْفَاسًا<sup>(٨)</sup>، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْبَانِ وَالْخَذْلَانِ حَتَّى

(١) التَّرَحُ: الحزن.

(٢) الغَرَضُ: الهدف.

(٣) حَمَارَةُ الْقَيْظِ: شدةُ الْحَرِّ.

(٤) يَسْبَخُ: يَخْفِي.

(٥) صَبَارَةُ الْقَرِّ: شدةُ الْبَرْدِ.

(٦) رَبَاتُ الْحِجَالِ: النِّسَاءُ، وَالْحِجَالُ: جَمْعُ حِجَلَةٍ، وَهِيَ بَيْتُ الْعِرْوَسِ  
الْمَزِينُ بِالسَّتَّائِرِ.

(٧) سَدَمًا: حَزْنًا.

(٨) وَجَرَعْتُمُونِي نَغْبَ التَّهَمَامَ أَنْفَاسًا: النَّغْبَ: جَمْعُ نَغْبَةٍ وَهِيَ الْجَرْعَةُ.  
وَالتَّهَمَامُ: الْهَمُّ. وَأَنْفَاسًا: جَرْعَةٌ بَعْدِ جَرْعَةٍ.

لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ : «إِنَّ أَبْنَى أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ لَهُ بِالْحَزْبِ .

لَهُ أَبُوهُمْ ! وَهُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُ لَهَا مَرَاسِاً<sup>(١)</sup> وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِثْيَ ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَادَا قَذْ ذَرَفَتْ<sup>(٢)</sup> عَلَى الْسَّتِينَ، وَلَكِنْ لَا رَأَيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ»<sup>(٣)</sup> .

وَرَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ، بَقِيَ عَلَيِ الْمُلْكَ صَامِدًا لَا تَهْزَهُ رِيَاحُ التَّخَاذُلِ وَالتَّقَاعُسِ، يَحْرَضُ أَصْحَابَهُ وَيَحْمِسُهُمْ، وَأَسْمَعَهُ فِي رِسَالَةٍ إِلَى أَخِيهِ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ فِيهَا :

«.. وَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجْوَاهُمْ، فِي الشَّقَاقِ . أَلَا وَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَجْمَعَتْ عَلَى حَزْبِ أَخْبَكَ الْيَوْمِ إِجْمَاعَهَا عَلَى حَزْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَأَضْبَحُوا وَقَدْ جَهَلُوا حَقَّهُ، وَجَحَدُوا فَضْلَهُ، وَبَادَرُوهُ الْعَدَاوَةَ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَزْبَ، وَجَهَدُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجُهْدِ، وَجَرَوا إِلَيْهِ جَنِيشَ الْأَخْرَابِ اللَّهُمَّ فَاكِرْزْ قُرَيْشًا عَنِ الْجَوَازِيِّ، فَقَدْ قَطَعْتَ رَحِيمِيِّ، وَتَظَاهَرْتَ عَلَيَّ وَدَفَعْتَنِي عَنِ حَقِّيِّ وَسَلَبْتَنِي سُلْطَانَ أَبْنَى أَمْنِيِّ، وَسَلَمْتَ ذَلِكَ إِلَى مِنْ لَيْسَ مِثْلِيِّ فِي قَرَابَتِيِّ مِنَ الرَّسُولِ وَسَابِقَتِيِّ فِي الإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ يَدْعِي مُدَعِّي مَا لَا أَغْرِفُهُ، وَلَا أَظْهِرَ اللَّهَ يَغْرِفُهُ،

(١) مَرَاسِاً: مزاولة، مباشرة.

(٢) ذَرَفَتْ: زدت.

(٣) نهج البلاغة: ٥٦.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . . . فَأَمَا مَا سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ بِرَأْيِي،  
فَإِنَّ رَأِيِي جِهَادُ الْمُحْلِينَ حَتَّى الْقَى اللَّهُ، لَا يَزِيدُنِي كُثْرَةُ النَّاسِ  
مَعِي عَزَّةً، وَلَا تَفْرُقُهُمْ عَنِي وَخَشَّةً، لَأَنِّي مُحَقٌّ وَاللَّهُ مَعَ الْمُحَقِّ،  
وَوَاللَّهِ مَا أَكْرَهَ الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ وَمَا الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ  
لِمَنْ كَانَ مُحِقًا . . .

وَلَا تَخْسِبَنِي أَبْنَ أُمَّكَ وَلَوْ أَسْلَمَتِ النَّاسُ مُتَخَشِّعًا وَلَا مُتَضَرِّعًا،  
إِنَّهُ لَكَمَا قَالَ أَخُوْ بْنِ سَلَيْمَ:  
فَإِنْ تَسْأَلِنِي كَيْفَ أَئْتَ فَإِنِّي  
صَبُورٌ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ صَلَيْبٌ  
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ ثُرَى بِي كَابَةٌ  
فَيَشْمُتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٌ»<sup>(١)</sup>



(١) شرح نهج البلاغة: ١٢٠ / ٢.

## رحيل

ما الذي جناه علي عليه السلام من الخلافة، فقد مرت عليها سنواتها وهو يتقلّل من حرب إلى أخرى . . . ، كان عليه السلام يهدف إلى نشر العدل والمساواة وإعادة إحياء شرع المصطفى محمد عليه السلام بعد أن حاول الطامعون طمسه . . .

ويشرح عليه السلام ما كان يصبو إليه من أمر الخلافة، وهدفه منها فيقول:

«فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ، نَكَثْتُ طَائِفَةً وَمَرَقْتُ أُخْرَى<sup>(١)</sup>، وَقَسَطْ آخَرُونَ<sup>(٢)</sup>، كَانُوكُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ: «إِنَّكَ أَذْرَى الْآخِرَةِ بِخَعْلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَنْقَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بِلِي وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَرَأَوْهَا، وَلِكُنُوكُمْ حَلَبَتِ الدُّنْبِيَا فِي أَغْيَنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِيرَجُهَا<sup>(٣)</sup>. أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ

(١) نكث طائفة: نقضت البيعة، وهم أصحاب الجمل؛ مرقت أخرى: خرجت من الدين كخروج السهم من الرمية، والمراد بهم الخارج.

(٢) قسط آخرون: جاروا؛ والمراد بهم أهل الشام.

(٣) وراهم زيرجها: أعجبتهم زيتها.

النسمة<sup>(١)</sup> لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِر<sup>(٢)</sup>، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ،  
وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارِرُوا عَلَى كِظَةِ ظَالِمٍ<sup>(٣)</sup> وَلَا  
سَغْبِ مَظْلُومٍ<sup>(٤)</sup>، لَا لَقِيتُ خَبَلَهَا عَلَى غَارِبِهَا<sup>(٥)</sup>، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا  
بِكَأسِ أَوْلَاهَا<sup>(٦)</sup>، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ  
عَنْزٍ<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

ويستمر الإمام علي في حث أصحابه على الجهاد، ولكن دون جدوٍ . . . ، والخوارج الذين قاتلهم يوم النهرawan عادوا بقلوبٍ غشّها الحقد واضطربت فيها نيران الشر والإنتقام، ولعل

(١) برأ النسمة: خلق الإنسان.

(٢) لولا حضور الحاضر: المراد به جماعة المسلمين الذين بايعوه.

(٣) لا يقارروا: لا يسكنوا. والكظة: ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام، وهي كناية عن أخذ الظالمين ما لا يحل لهم، والمعنى: إن الله جل جلاله أوجب على العلماء دفع الظالمين، وأخذ حقوق المظلومين.

(٤) السغب: الجوع.

(٥) الغارب: أعلى كتف الناقة، والمعنى: لولا الواجب المتعين على بوجود الأعون لتركت الخلافة كما يترك الراعي الناقة المهملة ترعى حيث شاءت غير مبال بما يصيبها.

(٦) لسقني آخرها بكأس أولها: لتركتها آخرًا كما تركتها أولاً.

(٧) أزهد: أهون، وعفطة العنز: ما تنشره من أنفها، وهو مثل في هوان الدنيا عليه وعدم أهميتها عنده.

(٨) نهج البلاغة: ٣١.

أخطر ما في أمرهم أن بعضهم كانوا يقاتلون عن ما يرونـه عقيدة  
ومبدأ متمسكـين بقشور وشكلـيات من الدين لا تضر ولا تنفع،  
فكانوا مصداق الآية الكريمة: «قُلْ هَلْ تَنْتَهِمُ إِلَّا لِلْآخَرِينَ أَعْمَلُوا \* الَّذِينَ  
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَخْسِبُونَ صُنْعًا \* . . .

وتنطوي قلوبهم على حقدٍ دفين يترقبون الساعة التي  
 يستطيعون فيها الثأر لقتلاهم . . . وكان من بين هؤلاء امرأة قتل  
بعض أهلها يوم النهروان، وخطبها خارجيٌ يدعى عبد الرحمن  
بن ملجم. فاشترطت عليه قتل على عليه السلام، وصادف ذلك هوئيَّة  
كامناً في نفسه فقرَّ قراره على ذلك <sup>(١)</sup> . . .

ويمضي ابن ملجم إلى مسجد الكوفة، ويترقب عليها عليه السلام  
حين يصلى الصبح بالناس، وفيما هو ساجد يضربه على رأسه . . .  
ويرتفع صوت علي عليه السلام قائلاً: فزت ورب الكعبة . . .

ويصدح صوت أبي الأسود الدؤلي متهدجاً...، ويرن صدأه  
في سك الكوفة:

ألا فابلغ معاوية بن حرب

فلا قرأت عيون الشامتينا

(١) راجع الطبرى: ٤/٣٩٢، والأخبار الطوال، للدينوري: ٢١٤.

البَاسِ بْنُ عَلَى (ع)

أفي شهر الصِّيام فجعتمونا  
 بخير النَّاس طرَاً أجمعينا  
 إذا استقبلت وجه أبي حسین  
 رأيت البدر راع الناظرينا  
 لقد علمت قريشُ حيث كانت  
 بائلٍ خيرها حسباً ودينًا<sup>(١)</sup>  
 ويسري الخبر وينتشر مسرى النَّار في الهشيم، فيساء  
 المؤمنون، ويسر الشَّامتون والحاقدون...، ويصل الخبر إلى  
 عائشة وهي في المدينة فتقر عينها، وتنشد قول الشاعر:  
 فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوى  
 كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر  
 وتسأل: من قتلها؟  
 فيقال لها: رجل من مراد؟ فتقول:  
 فإن يك ناعيَا فلقد نعاه  
 غلام ليس في فيه الثُّراب  
 وتستفطع كلامها، إحدى نساء المدينة فتقول لها:  
 أعلَى تقولين هذا؟! ..  
 فلا تجد بدأً من الإعتذار، وتقول:

(١) تاريخ الطبری: ٣٩٩/٤.

إني أنسى، فإذا نسيت فذُكروني!...<sup>(١)</sup>

ويرثيه نجله الإمام الحسن عليه السلام في كلام مؤثر فيقول:  
 «... والله ما سبقه أحدٌ كان قبله، ولا يدركه أحدٌ يكون  
 بعده، والله إن كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ليبعثه في السرية وجبريل  
 عن يمينه وميكائيل عن يساره...، والله ما ترك صفراء ولا  
 بيضاء<sup>(٢)</sup> إلّا سبعمائة أرصدتها لخادمه...»<sup>(٣)</sup>.

نعم، إغتيل عليٌ عليه السلام فيما ردّ هو مقولته: فزت وربّ  
 الكعبة؟ ونحن حين ندرس موقف عليٍ عليه السلام في آخر لحظة من  
 لحظات حياته، وما هيّأه الفوز الذي فاز به، وهل كان أسعد إنسان  
 أم لا؟... .

في الواقع إنَّ السعادة أو عدمها لا بدَّ وأن نراها بحسب  
 المقياس الذي نقيس به، فلو أردنا مقياس الدنيا لما كان  
 على عليه السلام أسعد إنسان، ولم لا فها هو الإسلام الذي سعى  
 مؤازراً رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في بناء صروحه وتشييدها مدمماً فرقاً  
 مدمماً، بناء بدمه وروحه وعقله وسيفه، وتحمل آلام كل ذلك،  
 فشيدت المنابر بيد عليٍّ واتسعت أرجاء المملكة بيد عليٍّ، ولم  
 يجن من ذلك شيئاً...؛ بل على العكس فسبُّه وشتمه يُضحي

(١) تاريخ الطبرى: ٣٩٨/٤.

(٢) الصُّفراء والبيضاء: يقصد بذلك الذهب والفضة.

(٣) تاريخ الطبرى: ٣٩٨/٤.

فيما بعد على كل شفَّةٍ ولسان، ولا تُقام الصلاة إلاً بعد لعنه  
وسبه . . .

نعم على ما كان من أسعد الناس إذا قسنا ذلك بمقاييس  
الدنيا والمال، ولكن علياً لم يكن إنسان الدنيا . . . ، فاز علي  
وكان أسعد إنسان لأنَّه كان إنسان الآخرة، إنسان المبادئ السَّامية  
فسعادة العامل في عمله لا تكمن في الدينار والدرهم الذي يجنيه  
وإنما في رضى الله عز وجل عن هذا العمل، فاز علي لأنَّه  
سيقدم على ربِّه الجليل وعلى ابن عمِّه المصطفى وقد عمل كلَّ  
ما في وسعه أن يعمله لثبت شرع الله وأحكامه، وقاسى في  
سبيل ذلك الأمرين، فاز علياً ، ولكنَّه لم يفز بزخارف  
الدنيا، وإنما بنعيم الخلد في الآخرة، وشتان بين الفوزين . . .

فاز علي بجنان الخلد، في حين نال خصومه شيئاً من  
زخارف الدنيا وزينتها، ما لبست أن اضمحلت وبقي من ورائها  
حساب الله، ويتردد الصدى عند قبورهم الموحشة بعد حين:

أين القصور أبا يزيد ولوهوا  
والضَّافنات وزهوها والسُّؤددُ

أين الدهاء نحرت عزْته على  
أعتاب دنيا سحرها لا ينفذُ  
آثرَ فانيها على الحقُّ الذي  
هو لو علمت مدى الزَّمان مخلُّدُ

هذا ضريحك لو بصرت ببؤسه  
 لأسأل مدمعك المصير الأسود  
 كتلٌ من الترب المهين بحفرة  
 سكر الذباب بها فراح يُعربد  
 قم وارمق النجف الشريف بنظرة  
 يرتدى طرفك وهو باكٍ أرمد  
 تلك العظام أعز ربك قدرها  
 فتكاد لولا خوف ربك تُعبد  
 نازعتها الدنيا ففزت بلهوها  
 ثم انقضى كالحلم ذاك المورد





## المبحث الرابع: نذر العاصفة

— الخذلان والصلح

— اغتيال الحسن عليه السلام

— عهد معاوية

— ولادة العهد

— يزيد "ملكًا"



## الخدران والصلح

بعد شهادة الإمام علي عليه السلام، بايع الناس الإمام الحسن عليه السلام خليفة للمسلمين، فكان أكبر همه متابعة ما كان علي عليه السلام قد بدأه في الاستعداد لقتال معاوية الذي ما انفك يُرسل الغارة تلو الغارة على العراق والجaz فيقتلون من يقتلون من الرجال ويسبون من يسبون من النساء، وينهبون ويخربون ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً... ومعاوية الذي اشرحت أساريره بموت علي، أخذ يعد العدة للهجوم نحو العراق، وما من شيء سيحول دون ذلك، فجيش العراق ممزق قد ذعنته الحروب وفرقه أمر الخوارج وكل العراقيون الحرب والقتال لا سيما بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من الزعماء والقادة الذين استشهدوا في حروب الإمام علي عليه السلام.

ودسَّ معاوية رجلاً من بني حمير إلى الكوفة، ورجلًا من بني القيين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار فدلل عليهما، فأخذَا وقتلاً...

وكتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية:

«أما بعد، فقد دست إلى الرجال كأنك تحب القتال، وما أشك في ذلك، فتوقعه إنَّه شاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا



## الضلال والصلع

بعد شهادة الإمام علي عليه السلام، بايع النّاس الإمام الحسن عليه السلام خليفة للمسلمين، فكان أكبر همه متابعة ما كان علي عليه السلام قد بدأه في الاستعداد لقتال معاوية الذي ما انفك يُرسل الغارة تلو الغارة على العراق والنجاشي فيقتلون من يقتلون من الرجال ويسبون من يسبون من النساء، وينهبون ويخربون ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً... ومعاوية الذي اشرحت أساريره بموت علي، أخذ بعد العدة للهجوم نحو العراق، وما من شيء سيحول دون ذلك، فجيش العراق ممزق قد ذاع عنه الحروب وفرقه أمر الخوارج وكل العراقيون الحرب والقتال لا سيما بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من الزعماء والقادة الذين استشهدوا في حروب الإمام علي عليه السلام.

ودسَّ معاوية رجلاً من بني حمير إلى الكوفة، ورجلان من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار فدلل عليهما، فأخذَا وقتلاً...

وكتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية:

«أما بعد، فقد دسست إلى الرجال كأنك تحب القتال، وما أشك في ذلك، فتوقعه إنّه شاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا

يشمت به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وَقُلْ لِلّذِي يَبْغِي خِلَافَ الذِّي مَضَى  
تَجْهِزْ لِأَخْرَى مِثْلِهَا فَكَانَ قَدْ  
وَإِنَّا وَمَنْ قَدْ مَاتَ مِئَالْكَالَذِي

(١) يَرُوحُ وَيُمْسِي فِي الْمَبْيَتِ لِيَغْتَدِي

وكان بعض زعماء العراق قد سئموا سيرة علي عليه السلام في العدالة والمساواة، ورأوا أن ولده سيقفوا إثر أبيه، وهذا مما لا طاقة لهم به، وتأفت نفوسهم إلى الدينار والدرهم حتى لو نالوه على حساب دينهم وكرامتهم . . . ، وكانت أنباء صلات معاوية وهباته تصلهم، ويسري في عروقهم حب المال فيتمون حكمه وسيرته . . . ، ومعاوية ما كان من البلاهة بمكان حتى يهب المال . وإن كان مال المسلمين دون مقابل، وهذه الرواية التي ذكرها الطبرى توضح بعض جوانب هذا الأمر:

فقد وفد قوم من الزعماء إلى معاوية، فأعطى كل واحد منهم مائة ألف غير أنه أعطى واحداً منهم سبعين ألفاً، فذكر له ذلك، فقال: إنني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك؛ فقال: وأنا فاشترى مني ديني، فأمر له ب تمام الجائزة<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاتل الطالبين: ٦٣.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤٦٩/٤.

وفي ذلك الزمان، كان للزعماء والقادة تأثير كبير، وما من أحد أقدر على تجييش الجيوش من زعماء القبائل والعشائر والوجهاء فيها . . .

وحيثما يكون الزعيم على جانب من الوعي والإيمان فإنه بلا ريب سيكون في طليعة من يُستظهر بهم على إقامة حُكم الله . . .، وحين يخون الزعيم دينه وأمانته فإنه بذلك يهدّ الجيش ويحطّم المعنويات . . .، وعلى سبيل المثال يبرز الأشعث بن قيس زعيم قبيلة كندة في طليعة المخذلين عن الحرب والقتال وعليه تقع تبعية اجبار الإمام عليه السلام على التحكيم، فيما من جانب آخر يبرز مالك الأشتر زعيم قبيلة مذحج صاحب أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان من أهم قادة جيشه حتى قال عنه لأهل مصر حينما بعثه والياً عليها:

«أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخُوفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَغْذِيَاءِ أَيَّامَ الرَّوْعِ، أَشَدُّ عَلَى الْفُجُارِ مِنْ حَرِيقِ الثَّارِ . . .»<sup>(١)</sup>.

وخير دليل على قدرة مالك في تجييش الناس أعماله قبيل يوم الجمل حيث خرج الآلاف من أهل الكوفة بقيادته بعدما كانوا مصرين على البقاء، وهو القائل لأمير المؤمنين عليه السلام بسؤاله أن

(١) نهج البلاغة: ٥٣٨.

يبعشه إلى الكوفة لينجده بأهلها: إنَّ أهْلَ الْمِضْرِ . أَيْ الكوفة .  
أَحْسَنَ شَيْءٍ لِي طَاعَةً ، وَإِنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ رِجْوَتُ أَلَا يَخْالِفُنِي  
مِنْهُمْ أَحَدٌ<sup>(١)</sup> .

وقد كان بعض الزعماء الطامعين يفرّون إلى معاوية حتى في  
عهد علي عليه السلام، ويروى أنَّه عليه السلام كتب إلى عامله في المدينة  
في شأنهم وأهدافهم فقال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْ قِبْلِكَ يَسْلُلُونَ إِلَى  
مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسُفْ عَلَى مَا يَفْوِتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ  
مَدَدِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَكَفَى لَهُمْ غَيْرًا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيَا فَرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى  
وَالْحَقِّ، وَإِنْضَاعُهُمْ<sup>(٣)</sup> إِلَى الْعَمَى وَالْجَهَلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا  
مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ<sup>(٤)</sup> إِلَيْهَا، لَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ،  
وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثْرَةِ،  
فَبَعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا<sup>(٥)</sup>، إِنَّهُمْ وَاللهِ لَمْ يَفِرُوا مِنْ جَوْرٍ وَلَمْ يَلْحِقُوا  
بِعَدْلٍ . . .»<sup>(٦)</sup>

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٢٠٤.

(٢) مددهم: قوتهم.

(٣) إِنْضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى: إِنْسَاعُهُمْ إِلَيْهِ.

(٤) مهطعون: مسرعون.

(٥) بَعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا: أَبْعَدُهُمُ اللهُ.

(٦) نهج البلاغة: ٦١٤.

ومن هؤلاء الملتحقين بمعاوية كان بعض أهل العلم والفضل، ولكن كما قال علي عليهما السلام: «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»<sup>(١)</sup>.

نعم، يزحف معاوية نحو العراق مهيناً معه صرر الأموال . أموال المسلمين . التي يشتري بها ذمم القادة والزعماء . . .

أما جيش الإمام الحسن عليهما السلام فقد كان على جانب كبير من التخاذل، ويروي أبو الفرج الأصفهاني شيئاً مما حدث فيقول: خطب الإمام الحسن عليهما السلام الناس فقال:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْجِهَادَ عَلَى خَلْقِهِ وَسَمَاهُ كُرْهَا؛ ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْجِهَادِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: (وَاصْبِرُوا إِنَّ مَعَ الظَّرَبِيْنِ)، فَلَسْتُمْ أَيْهَا النَّاسُ نَائِلِينَ مَا تَحْبَبُونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ، إِنَّهُ بَلْغَنِي أَنَّ معاوية بَلَغَهُ أَنَا كُنَّا أَزْمَعْنَا الْمَسِيرَ إِلَيْهِ فَتَحَركَ إِلَيْنَا، فَاخْرَجُوا رَحْمَكُمُ اللَّهُ، إِلَى مَعْسُكِرِكُمْ بِالنَّخِيلَةِ . . . . .».

فسكتوا فما تكلم منهم أحدٌ، ولا أجاب بحرف. فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال:

«أَنَا ابْنُ حَاتَمَ، سَبَحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْبَحَ هَذَا الْمَقَامُ؟ أَلَا تَجِيئُونَ إِمَامَكُمْ، وَابْنَ بَنْتِ نَبِيِّكُمْ، أَيْنَ خُطْبَاءُ مَضْرِرٍ، أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟ أَيْنَ الْخَوَاضُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ الَّذِينَ أَسْتَهْمُ كَالْمُخَارِقِ فِي الدُّعَةِ،

(١) نهج البلاغة: ٦٨٣

إِنَّمَا جَدَّ الْجَدَّ فِرْوَاغُونَ كَالثَّعَالِبِ، أَمَّا تَخَافُونَ مَقْتَ اللَّهِ، وَلَا  
عَيْبَهَا وَعَارَهَا؟...».

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال:

«أَصَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرَاشِدَ وَجَبَّكَ الْمَكَارِهِ، وَوَفَّقَكَ لِمَا يَحْمُدُ  
وَرَدَهُ وَصَدَرَهُ، فَقَدْ سَمِعْنَا مَقَاتِلَكَ وَانْتَهَيْنَا إِلَى أَمْرِكَ، وَسَمِعْنَا  
مِنْكَ، وَأَطْعَنَكَ فِيمَا قَلْتَ وَمَا رَأَيْتَ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَى مَعْسُكِري  
فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَوَافِينِي فَلِيُوَافِ...»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى تخاذل جيش الكوفة في بداية الطريق...

ويستعد الحسن عليه السلام للقتال، ويلتقي الجيشان، ولا بد أنَّ  
معاوية قد صعد بصره وصوْبَ قَدْرَ وَقْلَبِ وجوه الرأي ثم راح  
يتتمم في انتشاء: إِنَّ اللَّهَ جَنُودًا مِنْ ذَهْبٍ.

وكان على مقدمة جيش الحسن عليه السلام ابن عمه عبيد الله بن العباس، ومن أحرى من عبيد الله في قيادة مقدمة الجيش فهو  
المotor من معاوية بفلذتي كبده، فحرى به أن يستميت دفاعاً عن  
المبدأ والحق وثاراً لدماء طفلية المذبوحين...

وقصَّة هذين الطفلين شاهد على ما بلغه جور معاوية وصحبه  
وقادته، فقد كان عبيد الله بن العباس واليَا لعلي عليه السلام على  
اليمن، وفي عهده وجَهَ معاوية بسر بن أرطاة. أحد قادته. بغارة

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٠.

على بلاد الإمام عليه السلام، وأوصاه بوصية تبين من ثناياها روح الجاهلية في السُّلْب والنَّهْب، لا روح الإسلام في السماحة والعدل، يقول معاوية لبسر: «سِرْ حَتَّى تَمُرْ بِالْمَدِينَةِ، فَاطْرُدِ النَّاسَ، وَأَخْفِ مَنْ مَرَرْتُ بِهِ، وَانْهَبْ أَمْوَالَ كُلِّ مَنْ أَصْبَتْ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ دُخْلًا فِي طَاعُتِنَا!...»<sup>(١)</sup> فمضى بسر متقداً وصية سيده وعاد في الحرمين مكة والمدينة الفاسد.

ثُمَّ دَخَلَ الْيَمَنَ، فَهَرَبَ عَبْيَدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَنْعَةً وَلَا قُوَّةً، فَقَبضَ بَسِرٌ عَلَى طَفَلَيْنَ لَهُ فَذَبَحَهُمَا... .

وَيَبْلُغُ الْخَبَرُ أَمْهَمَا فَتَنَدِّبُهُمَا بِأَشْجَى نَدْبَةٍ وَتَقُولُ:

هَامَنْ أَحَسَّ بِابْنِي الَّذِينَ هُمَا

كَالدَّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عَنْهُمَا الصَّدَفُ

هَامَنْ أَحَسَّ بِابْنِي الَّذِينَ هُمَا

سَمِيعٌ وَقَلْبٌ فَقَلْبٌ الْيَوْمَ مُخْتَطَفٌ

هَامَنْ أَحَسَّ بِابْنِي الَّذِينَ هُمَا

مُخْ العِظَامِ فَمُخْيِ الْيَوْمِ مُزَدَّهِفٌ<sup>(٢)</sup>

لَبِئْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمْتُوا

مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْأَفْلَكِ الَّذِي أَثَرَفُوا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/٢.

(٢) مزدهف: ذهب به.

أَنْحَى عَلَى وَدَجِي ابْنَيْ مُزْهَفَةَ  
مَشْخُودَةَ وَكَذَاكَ الْإِثْمُ يُقْتَرَفُ  
مِنْ ذَلِّ وَالْهَةَ حَرَى مَسْلَبَةَ  
عَلَى حَبِيبَيْنِ ضَلَّا إِذْ مَضَى السَّلْفُ<sup>(١)</sup>

بعدَ الذِي رأَيْنَا مِنْ تَارِيخ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ مَعَ مَعاوِيَةَ لَا  
نَسْتَغْرِبُ اخْتِيَارَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهِ لِقَادَةَ جَنْدِهِ . . .

غَيْرَ أَنَّ مَعاوِيَةَ آنَسَ مِنْهُ حَبَّاً لِلْمَالِ، فَرَاسَلَهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ  
يُعْطِيهِ أَلْفَ دَرْهَمٍ يَعْجَلُ لَهُ نَصْفَهَا، وَالنَّصْفُ الْآخَرُ حِينَ  
يَدْخُلُ مَعاوِيَةَ الْكُوفَةَ، فَانْسَلَّ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ وَيَمْ وَجْهُهُ  
شَطْرُ الْأَمْوَالِ، وَأَصْبَحَ عَسْكَرُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَدْوَنَ قَائِدٍ يَلْجَؤُونَ  
عَلَيْهِ، وَمَنَادِي مَعاوِيَةَ يَنْادِي: إِنَّ أَمِيرَكُمْ قَدْ بَاعَ، فَعَلَامُ تَقْتَلُونَ  
أَنْفُسَكُمْ!<sup>(٢)</sup>

وَيَتَسَلَّمُ قِيَادَةُ الْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عَبَادَةَ الزَّعِيمِ  
الْأَنْصَارِيِّ الْكَبِيرِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ ضَعِيفًا حَتَّى قَبْلِ  
اسْتِسْلَامِ قَائِدِهِ، انْهَارَتْ مَعْنَوَيَاتُهُ وَمَضَى كُلُّ فَرْدٍ وَزَعِيمٍ فِيهِ يَطْلُبُ  
النَّجَاهَ لِنَفْسِهِ . . .

وَالشَّيْخُ الْمَفِيدُ يَصْفُ جَيْشَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ:

(١) شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٣/٢، وَالْأَغَانِيُّ لِأَبِي الْفَرْجِ  
الْأَصْفَهَانِيِّ: ٤٥/١٥.

(٢) مَقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ، لِأَبِي الْفَرْجِ: ٧٣.

واستنفر الناس للجهاد فتباقلوا عنه، ثم خف معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليه السلام، وبعضهم محكمة. أي خوارج . يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شركاً، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين <sup>(١)</sup> .

ويروي الطبرى أن مناد نادى في العسكر . أي عسكر الإمام الحسن عليه السلام : ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سراديق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته . . . <sup>(٢)</sup> .

ويكمل أبو الفرج الرواية فيقول :

أخذوا مصلاً من تحته ، وشد عليه أحدهم فنزع مطرفة عن عاتقه . . . ، فدعى بفرسه ليركبه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده . . .

ثم هجم عليه أحدهم فطعنه فسقط على الأرض ، وحمل على سرير إلى المداين يعالج فيها <sup>(٣)</sup> .

ويقول الإمام الحسن عليه السلام ، واصفاً جيشه :

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، دار المفيد: ١١/٢.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤٠٥/٤.

(٣) مقاتل الطالبين: ٧٢.

«وَاللَّهُ لَوْ قَاتَلَتْ مَعَاوِيَةً لَأَخْذُوا بِعْنَقِي حَتَّى يَدْفَعُونِي إِلَيْهِ أَيْ إِلَى مَعَاوِيَةَ سَلَمًا»<sup>(١)</sup>.

ويقول في جيشه عند اختياره الصلح:

«وَاللَّهُ مَا سَلَّمَتْ الْأَمْرَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّيْ لَمْ أَجِدْ أَنْصَارًا، وَلَوْ وَجَدْتُ أَنْصَارًا لِقَاتَلَتْهُ لِي لِي وَنَهَارِي حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِيْنِي وَبَيْنِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسه بين خيارين أحلاهما مر، أولهما أن يكمل الجهاد والقتال، والثاني أن يُصالح معاوية . . .

أما الخيار الأول فقد كانت نتيجته معروفة، ألا وهي الشهادة، شهادة الحسن عليه السلام والقلة والقليلة التي ستثبت من جيشه، ويخلو الجو لابن أبي سفيان فيعيدها فتنَّةً جاهليَّةً ويمحو ذكر الله حتَّى لا تبقى للذين باقية، ويردد كما ردد ولده يزيد حينما قتل الحسين عليه السلام:

لَعْبَتْ هَاشِمَ بِالْمَلِكِ فَلَا

خَبَرْ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ!

وَلَا رِيبَ أَنْ مَعَاوِيَةَ بَدَهَاهُ وَقَدْرَتْهُ كَانَ أَقْدَرَ عَلَى مَحْوِهَا  
الدِّينِ مِنْ وَلَدِهِ يَزِيدَ . . .

(١) الاختجاج: ٦٩/٢.

(٢) الاختجاج: ٧٢/٢.

أما الخيار الثاني، فهو الصلح إلى حين، لترى الناس الفرق بين عهد آل الرسول ﷺ وعهدبني أمية فتشوب إلى رشدها وتعي ما فرطت على نفسها، عندما ترى تصرفات الحكام وفسادهم . . .

ونحن حين نستقرىء الأحداث نلحظ عند الحسن ظل الله عليه السلام جنوحًا نحو القتال وال الحرب على عكس ما يراه المغرضون من المؤرخين، وإنما لو كان يطلب السُّلم لما بادر إلى قتل جواسيس معاوية، ولما بادر إلى تجيش الجيوش للقتال . . .

كما يحدث المؤرخون أنه زاد عطاء المقاتلة مائة مائة<sup>(١)</sup>، وهذا ما يدل على نية في الحرب.

غير أنه ما الحيلة في جيش ذعدنته الفتنة ومزقته المطامع والأهواء حتى أنهم لم يستجيبوا لأمير المؤمنين علي ظل الله عليه السلام وهو وصي الرسول ﷺ وله في نفوس الناس مكانة أسمى من أي شخص آخر . . .

ويصالح الحسن ظل الله عليه السلام، على الأمان له ولشيعته، وعلى أن لا يعهد معاوية بالخلافة لأحدٍ من بعده . . .

ويخطب الحسن ظل الله عليه السلام بعد الصلح ومعاوية جالس فيقول: «أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا، وانني قد أخذت على معاوية أن يعدل فيكم وأن يوفر عليكم غنائمكم وأن

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٤.

يقسم فيكم فيئكم» ثم أقبل على معاوية وقال: «أكذلك»، قال معاوية: نعم، ثم هبط الحسن عليه السلام من المنبر وهو يشير بإصبعه إلى معاوية ويقول: «وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّمُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَنَعَ إِلَى حِينٍ»<sup>(١)</sup>.

ويروى أنَّ معاوية سأله الحسن عليه السلام بعد الصلح أن يخطب بالناس مرَّةً ليذله بذلك فامتنع الحسن عليه السلام وأصرَّ معاوية فقام وقال: «الحمد لله الذي توحد في ملكه، وتفرد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عنمن يشاء، والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلغنا عندكم قديماً وحدينا أحسن البلاء إن شكرتم أو كفرتم.

أيها الناس، إنَّ ربَّ عليٍّ كان أعلم بعليٍّ حين قبضه إليه، ولقد اختصَّه بفضل لم تعتادوا مثله ولم تجدوا مثل سابقه، فهيهات هيهات! طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم وهو صاحبكم وعدوكم في بدر وأخواتها، جرّعكم رتقاً وسقاكم علقاً، وأذلَّ رقابكم، وأشرفكم بريقكم فليس بعلميين على بغضه.

وأئمَّ الله لا ترى أمةً محمدَ خفضاً<sup>(٢)</sup> ما كانت سادتهم وقادتهم فيبني أمية، وقد وجَّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٥٢/٢، وتاريخ الإسلام الثقافي والسياسي: ٤٠٧ عن تاريخ الإسلام للذهبي، عهد معاوية: ٣٩، وقد ذكره الطبرى بلفظ مقارب: ٤١٠/٤.

(٢) خفضاً: يقال خفض العيش خفضاً أي سهل ولان.

حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم وانضوا لكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعكم وحيف حكمكم . . .

ثم قال: يا أهل الكوفة، لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله، صائب على أعداء الله، نكال على فجئ قريش، لم يزل آخذًا بحناجرها، جائماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله ولا بالسرقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمها، دعاه فأجابه وقاده فاتبعه لا تأخذن في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته . . . ثم نزل فقال معاوية: أخطأ عجل أو كاد، وأصاب مثبت أو كاد، ماذا أردت من خطبة الحسن؟<sup>(١)</sup>.

ويرحل الحسن عليه السلام وآخوه ومعهم العباس إلى المدينة، مدينة جدهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد طول غياب . . . ، ثُرى هل حدثت العباس نفسه أنه سيعود يوماً ما إلى الكوفة، إلى المدينة التي رحل فيها والده شهيداً وخذل فيها أخوه واضطرب إلى المهادنة؟ . . .

ويقطع ركب آل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه الطريق نحو المدينة المنورة، حرم جدهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث استقرّوا هناك.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٩/١٥

## افتِلُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ما كاد ركب الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهله يغيب عن نواظر أهل الكوفة حتى أعلن معاوية نهجه صراحةً وعلانيةً فقال: ألا إنَّ كُلَّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به.

وعلق أحد الرواة على ذلك قائلاً: كان والله غداراً . . .

ثم صلَّى معاوية الجمعة وخطب بالثَّاسِ قائلاً:

إني والله ما قاتلتكم لتصلُوا ولا لتصوموا ولا لتجنحوا ولا لتزكُوا، إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأنَّمْ أتَمَّ عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون . . .

وعلق الراوي على ذلك قائلاً: هذا هو التَّهْكِ (١).

وكتب الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في المدينة المنورة، يعاني من معاوية و أصحابه الذين كانوا يسبون علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ على مرأى منه وسمع، ويُروى أنَّ معاوية خطب مرة والحسن جالس فسبَّ علياً ونال منه، فقام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ فقطع عليه، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(١) راجع مقاتل الطالبين: ٧٧.

«إِنَّهُ لَمْ يُبَعِّثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ وَصِيًّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا وَلَهُ عَدُوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَلَأَنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ وَصِيًّا رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنَا ابْنُ عَلِيٍّ وَأَنْتَ ابْنُ صَخْرٍ، وَجَدُكَ حَرْبٌ وَجَدِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، وَأَمْكَ هَنْدٌ وَأَمْيَ فَاطِمَةَ، وَجَدْتِي خَدِيجَةَ وَجَدْتِكَ نَسْبَةً، فَلَعْنَ اللَّهِ أَلَّا مَنَا حَسِبَّا، وَأَقْدَمْنَا كُفْرًا وَأَخْمَلْنَا ذَكْرًا، وَأَشَدْنَا نِفَاقًا». فَقَالَ عَامَّةُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ :

آمِينٌ، فَنَزَّلَ مَعاوِيَةَ فَقْطَعَ خَطْبَتِهِ<sup>(١)</sup>.

وَضَاقَ مَعاوِيَةَ ذِرْعًا بِالْحَسَنِ عليه السلام، وَلَا سِيمَا حِينَ فَكَرَ أَنْ يُعِينَ وَلَدَهُ يَزِيدَ وَلِيًّا لِلْعَهْدِ، وَرَأَى وَجُودَ الْحَسَنِ حَائِلًا دُونَ ذَلِكِ... فَقَدَرَ وَقْلَبَ وُجُوهَ الرَّأْيِ وَأَخِيرًا وَجَدَ ضَالَّتِهِ فِي زَوْجَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام جَعْدَةَ بِنْ الْأَشْعَثِ...

كَانَ وَالدُّ جَعْدَةُ (الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ) مِنْ زُعمَاءِ الْكُوفَةِ الْكَبَارِ، وَمِنْ سَاهِمِهِمَا فِي تَخْذِيلِ النَّاسِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، وَقَدْ ذَكَرَ عَلِيًّا عليه السلام تَارِيَخَهُ مَرَّةً فَقَالَ :

«... مَنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ، وَاللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفَّرَ مَرَّةً، وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى<sup>(٢)</sup>، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكٌ وَلَا حَسِيبٌ وَلِأَنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لَحْرَيٌ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ

(١) الاحتجاج : ٥٤ / ٢ ، ومقاتل الطالبين : ٧٨.

(٢) أَسْرَكَ الْكُفَّرَ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى : أَسْرَتْهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ كَعْبٍ لِمَا أَغَارَ عَلَيْهِمْ فَفَدَيَ بِثَلَاثَةِ آلَافِ بَعِيرٍ، وَلَمْ يَفْتَدِ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِمِثْلِهِ، وَارْتَدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم وَحَارِبَهُ الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ

وَلَا يَأْمُنَةُ الْأَبَعْدُ»<sup>(١)</sup>.

لاحظ معاوية أن شيئاً من الآباء متوازنة في الأبناء، فكما ورث هو عداء علي وبني هاشم عن أبيه أبي سفيان، الذي ما فتئ يجيش الجيوش لحرب رسول الله ﷺ، لا بد وأن جعلة قد ورثت شيئاً من عداوة أبيها علي وبنيه ولا بد وأن تكون كذلك قد ورثت شيئاً من شيم الغدر من أبيها...<sup>(٢)</sup>.

ورواية أبي الفرج تذكر أن معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث أني مزوجك بيزيد ابني على أن تسمى الحسن بن علي، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسُوّغها المال ولم يزوجها منه، فخلف عليها رجلٌ من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بين أولادها وبين بطون قريش كلامٌ عير وهم وقالوا: يا بني مسمة الأزواج<sup>(٣)</sup>.

ويدخل الحسين عليه السلام على أخيه وهو على فراش الموت، فيسأله عن سقاء الشّم ف يقول: وما تريده منه؟، أتريد أن تقتله،

= انهزم متحصناً منهم فحاصروه فاستسلم على أن يؤمنوه هو وعشرة من قومه، وقتل الباقيون، وعفا عنه أبو بكر، وقد سماه قومه (عُزف النار) وهو اسم للغادر عندهم.

(١) نهج البلاغة: ٤٦.

(٢) راجع سيرة آل الأشعث على مدى العصور الأموية في كتاب إطلاعات على التاريخ للمؤرخ حسن الأمين، باب: ثورة الأحرار على الحجاج.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٨٠.

إن يكن هو فالله أشد نقمةً منك...<sup>(١)</sup>، ويوصيه أن يدفنه عند جده المصطفى وأن لا يهرق فيه ملء محجمة دماً... .

وَيُفْجِعُ الْعَبَاسَ بِأَخِيهِ السُّبْطِ الَّذِي لَحَقَ بِوَالِدِهِ شَهِيدًا مَسْمُومًا... ، وَتُضَافُ سُطُورٌ أُخْرَى إِلَى الْمَأْسَةِ، فَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ عليه السلام قَدْ أَوْصَى أَنْ يَدْفَنَ عِنْدَ جَدِّهِ رَسُولَ اللَّهِ، فَيَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَيَخْرُجُ مَعَ بَنِي أُمَّيَّةَ شَاهِرِينَ السَّلَاحَ، وَيَنْادِي: أَيَا رَبُّ هِيجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دُعَةٍ، أَيْدُفِنْ عُثْمَانَ فِي أَقْصَى الْبَقِيعِ، وَيُدْفَنُ الْحَسَنُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم?، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبْدًا وَأَنَا أَحْمَلُ السَّيْفَ... .

وَيَرَوْيُ أَنَّ عَائِشَةَ خَرَجَتْ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى بَغْلٍ يَوْمَئِذٍ فَأَنْشَدَ الشَّاعِرَ:

فِي يَوْمٍ أَعْلَى بَغْلٍ وَيَوْمًا أَعْلَى جَمْلًا<sup>(٢)</sup>

عِنْدَ ذَلِكَ يَدْفُنُوهُ فِي الْبَقِيعِ، وَيَهْيَجُ الْحَزَنَ بِالْحَسَنِ عليه السلام فَيَرِثِي أَخَاهُ عِنْدَ دُفْنِهِ وَيَقُولُ:

بُكَائِي طَوِيلٌ وَالدُّمْوَعُ غَزِيرٌ  
وَأَنْتَ بَعِينٌ وَالْمَزَازُ قَرِيبٌ  
غَرِيبٌ وَأَطْرَافُ الْبُيُوتِ تَحْوَطُهُ  
أَلَا كُلُّ مَنْ تَخَنَّتْ التُّرَابُ غَرِيبٌ

(١) المَصْدَرُ: ٨١.

(٢) مُقاَتِلُ الطَّالِبِيَّينَ: ٨٢، وَشَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٥/١٥، وَذَكَرَ ذَلِكَ بِاختِصارِ الدِّيْنُورِيِّ فِي الْاَخْبَارِ الطَّوَالِ: ٢٢١.

فَلَيْسَ حَرِيْبًا مَنْ أَصْبَبَ بِمَالِهِ  
 وَلَكِنْ مَنْ وَارَى أَخَاهُ حَرِيْبٌ  
 ويصل الخبر إلى معاوية فيكبر ويكتبر الناس بتكتيره، ويبلغ  
 الخبر ابن عباس وكان حينها في الشام فيدخل على معاوية فيبتدره  
 معاوية ويقول: علمت يا بن عباس أنَّ الحسن توفي. قال:  
 أَذْلَكَ كَبَرْتُ؟، قال: نعم، قال: وَاللهِ مَا مَوْتُهُ بِالَّذِي يَؤْخُرُ  
 أَجْلَكَ، وَلَا حَفْرَتَهُ بِسَادَةِ حَفْرَتِكَ، وَلَئِنْ أَصْبَبْنَا بِهِ فَقَدْ أَصْبَبْنَا بِسَيِّدِ  
 الْمَرْسُلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَقِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ بِسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ  
 فَجَبَرَ اللَّهُ تَلْكَ الْمَصِيَّةَ وَرَفَعَ تَلْكَ الْعَبْرَةَ، فَقَالَ معاوية: وَيَحْكُمُ،  
 يَا بْنَ عَبَّاسٍ، مَا كَلَمْتَكَ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَجَدْتَكَ مَعْدَّاً<sup>(١)</sup>.

وَلَهُ دُرُّ الشَّاعِرِ إِذَا يَصُورُ أَقْوَالَ النَّاسِ وَنَعِيهِمُ الْحَسَنَ  
 السَّبِطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِشَقِيقِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
 وَمَا كَانَ إِلَّا طَرْدُ مَجْدِ تَهَلَّمَتْ  
 جَوَانِبُهُ أَوْ عَقْدُ جُزُودِ تَبَلَّدَا  
 وَإِنْ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِينِكُمْ لَعَادَةُ  
 إِذَا جَازَ حُكْمُ الْحَادِثَاتِ أَوْ اغْتَدَى  
 وَمَا دَمْتُمْ لِلْمَجْدِ وَالْجُزُودِ بَعْدَهُ  
 فَرُكِنُ الْمَعَالِي لَا يَزَالُ مُشَيْداً

(١) مروج الذهب: ٩/٣ والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، محمد رضا: ٦٨.

## عهد معاوية

كان معاوية لا ينوي الوفاء بشروطه التي أقرّها عند صلح الحسن عليه السلام وليس أدلّ على ذلك من كلمته الصريحة التي ذكرناها فيما سبق والتي قال فيها: إنَّ كُلَّ شرط شرطه فهو تحت قدميه<sup>(١)</sup>؛ لذا فمنذ اليوم الأول للصلح ما فتئَ يعيث في الأرض الفساد غير عابِئ بما شرط وتعهد به . . .

ومن أفعال معاوية وما أكثرها . . . قتله حجر بن عدي، أحد زعماء الكوفة، وأحد صحابة رسول الله وخلص أصحاب علي عليه السلام . . . ، والرواية يرويها الطبرى فيقول:

خطب زياد وهو والي معاوية حينها يوماً في الجمعة فأطّال الخطبة وأخَرَ الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة، فمضى في خطبته، ثم قال الصلاة، فمضى في خطبته فلما خشي حجر فوت الصلاة ثار إليها وثار الناس معه . . . ، فكتب زياد إلى معاوية في أمره وكثُر عليه.

ثم كتب إليه معاوية أن شدَّه في الحديد واحمله إلى، فشدَّ في الحديد، ولما وصل إلى معاوية أمر بضرب عنقه، فقال حجر

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٧.

بن عدي للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين، فقالوا: صل، فصلّى ركعتين خفّ فيها، ثم قال: لو لا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه<sup>(١)</sup> لأحببت أن تكونا أطول مما كانتا...، ثم قال لمن حضره من أهله: لا تُطلقو عنّي حديداً، ولا تغسلوا عنّي دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة، ثم قدم فضربت عنقه<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الطبرى إلى هذه الرواية عدة روايات في مقتل حجر، ومقتل عدد من أصحابه... وأغلب هذه المرويات تشي بدرجة الحقد التي كان معاوية وأزلامه يكتونها لعلي ظاهر وأهل بيته، فقد عرضوا عليه وعلى أصحابه البراءة من علي ظاهر وسبّه لإطلاق سراحهم، فأبوا إلاً مضياً نحو الشهادة...، ويرتفع صوت نسوة يرثين حجراً باشجى المراثى:

ترفع أيها القمر المنير  
ترفع هل ترى حجراً يسير  
يسير إلى معاوية بن حرب  
ليقتل له كما زعمَ الأمير  
أخاف عليك ما أزدى عدّيَا  
وشيخاً في دمشق له زئير

(١) أي لو لا تظنوا بي جزعاً من الموت.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤٨١/٤.

أَلَيْتْ حِجْرًا مَاتَ مَوْتًا

وَلَمْ يُنْخَرِزْ كَمَا نُحِرَّ الْبَعْيرُ<sup>(١)</sup>

ويُروى أنَّ معاوية قال عند موته: يوم لي من ابن الأدبر طويلٌ، ثلاث مرات . يعني حمراً.<sup>(٢)</sup>

ويُنقل أنَّ الحسن البصري وهو من كبار المحدثين قال: أربع خصالٍ كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منها إلَّا واحدة لكان موبقة: انتزاوه على هذه الأمة بالسُّفهاء حتَّى ابتزَّها أمرها بغير مشورةٍ منهم وفيهم بقايا الصَّحابة وذُرُوفِ الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سُكِّيراً خميرًا، يلبس الحرير ويضرب بالطُّنابير، وادعاؤه زِيادًا وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حمراً ويلأ له من حجر . مرتين<sup>(٣)</sup> . . .

ومن مهازل تلك الأفعال استلحاق معاوية زِيادًا بنسبه، وادعاؤه بأنه أخيه . . .

ويعلق ابن الأثير على هذا العمل فيقول: كان استلحاقه أول ما ردتْ أحكام الشريعة علانيةً، فإنَّ رسول الله ﷺ قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر<sup>(٤)</sup> .

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٥٠٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢/٤٧١.

ويروي ابن الأثير أن زياداً أراد أن يحجَّ بعد أن استلحقه معاوية، فسمع أخوه أبو بكرة، وكان مهاجراً له من حين خالقه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة<sup>(١)</sup>، فلما سمع بحجه جاء إلى بيته وأخذ ابناً له وقال له: يابني، قل لأبيك إني سمعت أنك تريد الحجَّ ولا بدَّ من قدومك إلى المدينة ولا شكَّ أن تطلب الإجتماع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، فإن أذنت لك فأعظم به خزيَاً مع رسول الله ﷺ، وإن منعتك فأعظم به فضيحة في الدنيا وتکذيباً لأعدائك، فترك زياد الحجَّ، وقال: جزاك الله خيراً فقد أبلغت في التصح<sup>(٢)</sup>.

ومن أطرف ما روي أنَّ عائشة كتبت كتاباً إلى زياد، فلم تدر ما تكتب عنوانه، إن كتبت زياد بن عبيد أو ابن أبيه أغضبه، وإن كتبت زياد بن أبي سفيان أثمت، وخالفت سنة الرسول ﷺ علانية، فكتبت: من أم المؤمنين إلى إبنتها زياد، فلما قرأه ضحك وقال: لقد لقيت أم المؤمنين من هذا العنوان نصباً<sup>(٣)</sup>.

ويعلق طه حسين على هذا العمل فيقول: ... بل عسى أن يكون هو. أي زياد. ومعاوية أول من انحرف عما شرع الإسلام،

(١) يروى أنَّ أباً بكرة وزياد وغيرهم شهدوا بالزنا على المغيرة عند عمر بن الخطاب، ثم تلِّكاً زياد في ذكر بعض التفاصيل، فردَّ عمر شهادتهم. (راجع الطبرى: ٤٧٢/٣).

(٢) الكامل في التاريخ: ٤٧١/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٤/١٦.

وأمر به القرآن وأكدها السنة تأكيداً، وعاد إلى عرف جاهليٍّ غيره الدين الجديد<sup>(١)</sup>.

ويشيد أحد الشعراء هازئاً من هذا النسب المفتعل:

ألا أبلغ معاوية بن حرب

مُغلَّلةً من الرجل اليماني<sup>(٢)</sup>

أتغضبْ أن يُقال أبوك عفْ

وترضى أن يُقال أبوك زانِي

فأشهدْ أن رحْمَك من زِيادِ

كرْخِم الفيلِ من ولدِ الأتان<sup>(٣)</sup>

ثم استعمل معاوية زياد على المسلمين، يأخذهم بالعنف والشدة وسفك الدماء، فأخذ يتبع شيعة علي عليهما السلام وخلص أنصاره وهو بهم عارفٌ لأنَّه كان منهم، فأخذهم تحت كُلَّ حجرٍ ومدر... .

ومن أعمال معاوية شتمه لعليٍّ على منابر المسلمين وجهده في محو فضائله ونسب المساوىء له وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في مقدمة الكتاب، ونذكر هنا رواية نستعين منها حقد معاوية على

علي عليهما السلام:

(١) علي وبنوه: ٢٠٧.

(٢) مغلَّلة: رسالة.

(٣) تاريخ الطبرى: ٤/٥٣١.

ذكر ابن الأثير أنَّ معاوية لما عزم على تولية المغيرة بن شعبة الكوفة، قال له: . . . وقد أردت إيساءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيساءك بخصلة: لا ترك شتم علي وذمه، والترحُّم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم . . .

فأقام المغيرة في الكوفة غير أنَّه لا يدع شتم علي والوقوع

فيه<sup>(١)</sup>.

وممَّن قتلهم معاوية ظلماً وعدواناً عمرو بن الحمق وهو أحد أصحاب رسول الله ﷺ، فقد قطع جلاوزته رأسه وبعثوه إلى الشام، فكان أول رأس أُهدي في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ومن أفعال معاوية استئثاره بالمال، وقد رأينا كيف كان يرشي الصحابة والزعماء بالآلاف والملايين من الدنانير والدراجات من بيت مال المسلمين . . .

وممَّا يروى أنَّ زياد أرسل إلى واليه على خرسان رسالة يقول فيها: إنَّ أمير المؤمنين . ويقصد معاوية . كتاب إلى أن تُصنَّف له البيضاء والصفراء . أي دنانير ودراجات الذهب والفضة . فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب إليه هذا الوالي: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، ثم قال للناس: اغدوا على

(١) الكامل في التاريخ: ٤٨٨/٢.

(٢) راجع ابن الأثير: ٤٩٢/٢، وهامش التحقيق في الرواية.

مالكم فقسمه بينهم . . .<sup>(١)</sup>.

ويتحدث الدكتور طه حسين عن سياسة معاوية في هذه الفترة فيقول: كان إسراف معاوية في أموال المسلمين وتوليته الجبارية على الأمصار، وإسراف أولئك الجبارية في أموال الناس ودمائهم، كل ذلك كان نقضاً منه. أي من معاوية. للبيعة التي أعطاها للناس<sup>(٢)</sup> . . .

ولعل في طليعة مساوىء معاوية ما ذكرناه من سفكه للدماء بغير الحق، ونحن نذكر هنا خطبة لواليه زياد بن أبيه كمثال على الطريقة التي ساس بها معاوية وولاته الناس؛ والرواية يذكرون الخطبة ويعرضونها كدليل على بلاغة زياد وقوّة شخصيّته، غير أن الأجرد بهم ذكرها دليلاً على وحشية زياد وأسياده . . ، وهذه مقاطع من الخطبة:

«. . . وإنني لأقسم بالله لا أخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالستّيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: إنْج سعد فقد هلك سعيد. . .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة . . ولا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه.

أيها الناس، إنّا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم

(١) راجع النصائح الكافية لابن عقيل، مؤسسة الفجر: ١٧٠ عن الاستيعاب: ٣٥٧/١.

(٢) علي وبنوه: ١٩٦.

بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا...  
وأئمّة الله، إنّ لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كلّ امرىء منكم أن  
يكون من صرعى»<sup>(١)</sup>.

ويعلّق الدكتور طه حسين على هذه الخطبة فيقول:

«... الإسلام لا يقيم الحدود بالشبهة وإنما يدرؤها، ولا  
يقتل الناس على الريبة، ولا يبيع للسلطان أن يعاقبهم بما كسبت  
قلوبهم وما دبرت نفوسهم وما أدارت رؤوسهم...»

والإسلام لا يبيع لوايل ولا خليفة على أن يقسم على أن له في  
ال المسلمين صرعى، لأنّه لا يعلم من ذلك شيئاً حتى يقترف الناس من  
الجرائم والآثام ما يوجب عليه أن يصرّعهم بما كسبوا...»

ولكنّه. أي زiad. خاض إلى الناس الباطل خوضاً، وخاض  
إليهم مع الباطل دماء غزاراً...»<sup>(٢)</sup>.

وقد قرن زiad أقواله بأفعال تنمّ عن الوحشية ومن ذلك أنه  
أخذ مرة رجلاً أعرابياً، فاستنطقه ثم قال له: أظنك والله صادقاً،  
ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة ثم أمر به فضربت عنقه<sup>(٣)</sup>.

ومرة خرج أحد ولاته في طريق يحيط به الحرس، وفيما هو  
كذلك إذ خرج رجلٌ من بعض الأزقة، فحمل عليه أحد الحرس

(١) الطبرى: ٤٥٣/٤.

(٢) علي وبنوه: ١٩٦.

(٣) الطبرى: ٤٥٤/٤.

وقتله، فأتى الوالي والقتيل متشحط في دمه، فقال: ما هذا؟، قيل: أصابته أوائل خيل الأمير، فلم يزد على أن قال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا، فاتقوا بأسنا! <sup>(١)</sup> ...

وبلغ من استهانة معاوية بكتاب الله ورسوله حدّاً، ما عاد يرى بعده فضلاً للرسول ﷺ، ولا يراه سوى ملكاً أو حاكماً، حكم فترةً من الزمن وانقضت فيما بعد فترة حكمه!... وهذا ما تشير إليه هذه الرواية التي نقلها عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: روى الزبير بن بكار . وهو غير متهم في معاوية ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانية علي عليه السلام والانحراف عنه. <sup>(٢)</sup>: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، وكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا <sup>(٣)</sup>، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟، فقال: يا بنئي جئت من عند أكفر الناس وأخيتهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً ويسقطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك منبني هاشم، فوصلت

(١) الطبرى: ٤٦٤ / ٤.

(٢) هذا التعليق عن الزبير بن بكار لابن أبي الحديد.

(٣) كان المغيرة واليًا لمعاوية، فظنّ ابنه أنه قد غُزل.

أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؛ فقال: هيئات هيئات، أي ذكر أرجو بقاءه!، ملك آخر تيم فعدل، وفعل ما فعل بما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك آخر عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين بما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبيشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أنَّ محمداً رسول الله» فأي عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك!، لا والله إلا دفناً دفناً<sup>(١)</sup>.

ويفرد بعض أهل العراق على الحسين عليه السلام يشكون إليه، ويبيثونه لوعاجهم، ويرقى ذلك إلى معاوية فيرسل إلى الحسين رسالة ملؤها التهديد والوعيد... .

وينتفع سبط رسول الله ويرد على معاوية في رسالة، وهي قائمة بالحساب فيها غيض من فيض من سيئات معاوية وأفعاله. وقد ذكر الرسالة جمع من الرواية منهم ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة، ونحن نثبتها من كتاب الإمام الحسين للعلامة العلaili: «أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت لي عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير، وإن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى.

وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٩/٥.

الملاقون المشاوزون بالنميمة المفترقون بين الجمع، ما أردت لك  
حرباً ولا عليك خلافاً، وإن كنت لأخشي الله في ترك ذلك منك  
ومن الإعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين . . .

الست القاتل حجر بن عدي أخا كندة واصحابه المصليين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم؟، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلوطة والمواثيق المؤكدة، جراءة على الله واستخفافاً بعهده؟، أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي ابلته العبادة، فنحل جسمه واصفر لونه، فقتلته بعد ما أمتها واعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال؟، أو لست قد سلطت زياذاً على الناس يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويسلم أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك؟، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك زiad أنه على دين علي، ودين علي هو دين ابن عمه الذي اجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولو لا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف؟ . . .

وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدینك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة. وإنني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولدیني ولأمة محمد أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله

وإن تركته فإني أستغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري .  
وقلت فيما قلت: إني إن أنكرتكم تنكري وإن أكدكم تكذبني ،  
فكذبني ما بدارك ، فإني لأرجو أن لا يضرني كيدك ، وأن لا يكون  
على أحد أضر منه على نفسك . لأنك قد ركب جهلك وتحرضت  
على نقض عهلك ، ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهلك  
بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعقود  
والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا . ولم تفعل ذلك  
بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر ، لعلك  
لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن الحساب ، واعلم أن الله  
كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وليس الله بناس  
لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من  
دورهم إلى دار الغربة . ما أراك إلا قد خسرت نفسك وتَبَرِّزَتْ  
دينك ، وغضشت رعيتك ، وأخربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفيه  
الجاهل ، وأخْفَتَ الورع التقى ، والسلام»<sup>(١)</sup> .

ويختتم معاوية سجله بتولية يزيد ولاية عهده ، وكفى بهذا  
الفعل موبقة . كما رأه الحسن البصري . وهذا ما سنعرض له إن  
شاء الله في الباب القادم .

(١) الإمام الحسين ، العلالي : ٤٩٧ .

## ولاية العهد

كان معاوية بعد أن تمهدت له الأمور، يسعى إلى جعل ولاية العهد لولده يزيد، ضارباً بعرض الجدار كلّ تعهّداته للحسن عليه السلام غداة الصلح... وقبل أن ندرس ولاية العهد ومدى مشروعيتها، لا بدّ وأن نعرّج على شخصيّة يزيد ومؤهّلاته التي رآها أبوها مؤهلاً له لتولي الخلافة...

بين سطور التاريخ نعثر على خبر عن نسب يزيد من ناحية أمه ونشأته وترعرعه في كنف والدته وأهلها ومكوثه هناك فترة مديدة من الزّمن ولعل العلامة العلائي أبرز من بسط الحديث عن هذا الموضوع إذ يقول:

«يبدو مستغرباً، بادئ ذي بدء، أن تعرف أن يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عُرف الإسلام، وتزيد بالقارئ الدهشة إلى حد الإنكار. ولكن لا يبقى في الأمر ما يدعو إلى الدهشة إذا علمنا أن يزيد يرجع بالأموية إلىبني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بال المسيحية قبل الإسلام، ومن بديهيات علم الاجتماع أن انسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، بين معاودات نفسية ورجوعات ضميرية وذكريات وجданية؛ وبالاخص إذا كانت عقيدة سيطرت على الأفكار والعادات والعرف العام.

والتأريخ يحدثنا أن يزيد نشأ فيها إلى طور الشباب أو حتى جاوز طور الطفولة. ومعنى هذا أنه أمضى الدور الذي هو محط أنظار المربين وعنايتهم؛ وبذلك ثبت على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البدائية وجفاء الطبع. على أن طائفة من المؤرخين ترجح ولا يبعد أن يكون صحيحاً أنَّ من أساتذة يزيد بعض نساطرة الشام من مشارقة النصارى ولا يخفى ما يكون لهذه التربية من أثر سيء فيمن سيكون ولِي امر المسلمين.

وهذه التربية تصحح الرواية الأدبية القائلة أن يزيد أراد كعب بن جعيل على هجاء الأنصار، فاستأبى عليه تائماً لمقامهم الديني ودله على الأخطل التغلبي الشاعر النصراني، ومن ثم اطردت الصداقة بينهما. ونحن نشك في صحة هذه الرواية ونعزّو الاتصال بينهما إلى مكان التربية عند يزيد، فقد كان يتزيد في تقريب المسيحيين ويستكثر منهم في بطانته الخاصة، لما أنه يقع بينهم على من يمتزج به ويسجم معه (على ما يقولون)، ولقد اطمأن إليهم حتى عهد بتربية ابنه إلى مسيحيٍ على ما لا اختلاف فيه بين المؤرخين. ولا يمكن أن نعلل هذه الصلة الوثيقة والتعلق الشديد بالأخطل وغيره إلا إلى مكان التربية ذات الصبغة الخاصة واللون النابي.

إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين، أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفًا بما عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أي حساب ولا يقيم

لها وزناً، بل الذي يستغرب أن يكون على غير ذلك»<sup>(١)</sup>.  
وأم يزيد هي ميسون الكلبية، وقد كرهت العيش مع معاوية،  
وقالت تتشوق إلى الbadia:

لبس عباءة وتقرّ عبني  
أحبُ إلَيَّ من لبس الشفوف  
وخرقُ من بني عمّي فقيرٌ  
أحبُ إلَيَّ من علّج عنيفٍ  
لذا أرسلها معاوية وابنها إلى الbadia<sup>(٢)</sup>.

هذه هي نشأة يزيد. ولِي العهد. ولِي عهد معاوية، ولم تكن  
فترقة رجلته بأفضل من ذلك.

يتحدث المؤرخ المسعودي أنَّ معاوية وجَّه جيشاً لحرب  
الروم نحو مدينة الطوانة، فأصيب فيه خلقٌ كبيرٌ من الناس، فعمَّ  
الناسَ الحزنُ بمن أصيب بأرض الروم، غير أنَّ يزيد أنشدَ مع  
ندماهه في مجالس شرابه:

أهونُ علىَّ بما لاقت جموعُهمْ  
يوم الطوانة من حُمَى ومن مُومٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الإمام الحسين، عبد الله العلابلي: ٥٩.

(٢) أبو الشهداء، عباس العقاد: ٦٥.

(٣) الحمى والموم: علتان يستحرّ بهما الجسم.

إذا اتكأْت على الأئمَاطِ مرتفقاً

بدير مرَان عندي أم كلثوم<sup>(١)</sup>

ويصفه المسعودي في مكان آخر من كتابه فيقول:

كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود،  
ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه  
ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسقني شربة ثروي مشاشي

ثم مل فاسق مثلها ابن زياد<sup>(٢)</sup>

صاحب الشر والأمانة عندي

ولتسدید مغنمي وجهادي

ويتابع المسعودي فيقول:

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسق،  
وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي،  
وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يُكنى بأبي قيس  
يحضره مجلس منادمه، ويطرح له متكتاً . . .

ويطنب المسعودي في أوصاف قرد يزيد هذا، وما عليه من  
الحلبي والحلل التي كان يكسوه أيها يزيد، وكان يسابق به الخيل

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣٤/٣.

(٢) مشاشي: نفسي.

على أتائِنْ، فقال بعض شعراء الشَّام. وبعضهم يروي الأبيات ليزيد..:

تمسَّك أبا قيسِ بفضل عنانها

فليس عليها إن سقطت ضمانُ

ألا من رأى القردَ الذي سبقت به

جيادُ أمير المؤمنين أتائِنْ<sup>(١)</sup>

ومرَّة رغب معاوية أن يحسن صورة ولده، فأخذ في نصيحته،  
فلم ينصحه بترك الموبقات والإقلاع عنها وإنما نصحه بالتَّسْتُر في  
المعاصي، فقال:

انصب نهاراً في طلب العلَى

واصبر على هجرِ الحبيبِ القريبِ

وياشِر الليل بما تشهي !!

فإنما الليل نهارُ الأربِ

كم فاسِق تحسبه ناسِكاً

قد باشر الليل بأمرِ عجيب<sup>(٢)</sup>

ويقول عبد الله بن حنظلة الأنباري حينما خرج على يزيد:

والله ما خرجنا على يزيد حتى خفتنا أن نرمي بالحجارة من السَّماء، إن كان رجلاً ينكح أمهات الأرلاد والبنات والأخوات،

(١) مروج الذهب: ٨٠ / ٣.

(٢) وتنفس صبح الحسين، محمد نعمة السُّماوي: ٢٣ / ٢.

ويشرب الخمر ويدع الصلاة<sup>(١)</sup>.

ومرة ذكره أحد الذاكرين عند عمر بن عبد العزيز . الخليفة الأموي العادل . وسمّاه أمير المؤمنين ، فأمر عمر بالقاتل فضرب عشرين سوطاً<sup>(٢)</sup>.

ويعلق العقاد على هذه الروايات وسواها فيقول :

ولكن الروايات لم تجمع على شيء كاجماعها على إدمانه الخمر، وشغفه باللذات، وتوازيه عن العظام، وقد مات بذات الجنب وهو لما يتجاوز السابعة والثلاثين، ولعلها إصابة الكبد من إدمان الشراب والإفراط في اللذات. ولا يعقل أن يكون كل ذلك اختلاقاً واحتراضاً من الأعداء، لأن الناس لم يختلفوا مثل ذلك على أبيه أو على عمرو بن العاص، وهمما بغياضان أشد البغض إلى أعداء الأمويين . . . .<sup>(٣)</sup>

نعم، هذا هو يزيد الذي قرر معاوية أن يجعله خليفة، وأميراً للمؤمنين ، إذ لا يجوز أن يتركهم في مهافي الضلال دونما إمام ورائع!، ومن أبى ذلك للدرارهم والدنانير مكان، ومن أعيى بمعارضته فللسيوف والرماح موقع أيضاً . . .

يُروى أنَّ والي الكوفة المغيرة بن شعبة أرسل عشرة من قومه

(١) المصدر عن الصواعق المحرقة: ٢٢١.

(٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: ٦٩/١.

(٣) أبو الشهداء، العقاد: ٦٧.

إلى معاوية وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وأمر عليهم ابنه، فقدموا على معاوية وامتدحوا يزيد ودعوه إلى عقد ولاية العهد له، فقال معاوية لابن المغيرة: بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم؟  
قال: بثلاثين ألفاً؛ فالتفت معاوية هازئاً وقال: لقد هان عليهم دينهم . . . .<sup>(١)</sup>

ويروى أنَّ معاوية حين أراد البيعة لابنه أرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها، وذكر له البيعة لابنه، فقال ابن عمر: هذا أراد، إنَّ ديني عندِي إذن لرخيص، ثم امتنع عن البيعة<sup>(٢)</sup>.

واستدعي معاوية ولاته وخاصته وجمعهم في باحة قصر الملك، وعرض عليهم الأمر، وأمرهم بمبایعة ابنه يزيد، فأسرع المتملقون بالبيعة، وتوقف بعض الزعماء، غير أنَّ أحد رجال معاوية الحلماء الحكماء تجرد سيفاً، وقال وهو يشير إلى معاوية: هذا أمير المؤمنين، فإنْ هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبي هذا، وأشار إلى سيفه.

وانشرحت أسaris معاوية بهذا الكلام فدنانيره ودرارمه في هذا وأمثاله لم تضع سدى، قال: اجلس فأنت سيد الخطباء<sup>(٣)</sup>  
واندفع شعراء البلاط يتغنون بمجد ولبي العهد العتيق، فشرفه ونسبه لا يضاهى، والله قد أكرم أمَّة محمد ﷺ به، ولو لاه

(١) راجع القصة في الكامل في التاريخ: ٥٠٨/٢.

(٢) المصدر: ٥٠٩/٢.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥١١/٢.

تضحي أمة الإسلام حيرى بعد وفاة امام الأمة الكبير معاوية! . . .  
وما اعتاد الشعر وأربابه نقل رؤية الشعب المضطهد حول  
هذه الأمور، فرواة التاريخ والشعراء وسواهم غالباً ما كانوا في  
رك خدمة السلاطين والمستبدّين . . .

إِذَا مَا ماتَ كَسْرَى قَامَ كَسْرَى  
نَعْدُ ثَلَاثَةً مُتَنَاسِقِينَا  
فِي الْهَفَالِ رَوَانَ لَنَا أَنْوَافًا  
وَلَكُنْ لَا نَعُودُ كَمَا عَنِّنَا  
إِذَا لَضْرِبْتُمْ حَتَّى تَعُودُوا  
بِمَكَّةَ تَلْعَقُونَ بِهَا السَّخِينَا  
لَقَدْ ضَاعَتْ رِعَيْتُكُمْ وَأَنْتُمْ  
تَصِيدُونَ الْأَرَابِ غَافِلِينَا<sup>(١)</sup>

(١) مروج الذهب: ٣٨/٣

ويرسل معاوية إلى الآفاق بحمل الناس على البيعة ليزيد بولاية العهد،  
ويرفض الحسين عليه السلام، وهو في المدينة، البيعة رفضاً قاطعاً... .

ولاني لأحسب العباس اجتمع مع من اجتمع من آل بيت رسول الله يستقرئون الأحداث، ويتدارسون المواقف إزاء هذا الأمر... .  
لا بد وأن يكون أمر الخلافة برمته قد مرّ في بالهم، من اليوم الأول  
الذي اجتمع القوم فيه على منع والده عليٍّ من الحكم، وحتى هذا  
اليوم الذي يولي فيه معاوية ابنه على المسلمين، مع علمه بيزيد  
وتصرّفاته التي ليست من الإسلام في شيء... .

ولكن ما قيمة الإسلام بالنسبة لرجالات أمية، وهل الإسلام  
عندهم سوى وسيلة لبلوغ الأمال والمنى في الحكم والسلطان؟!... .  
ويخلُّص الشاعر بولس سلامة صفات يزيد وشأن خلافته في  
أبيات ساخرة فيقول:

رافع الصوت داعياً للفالحِ

إخفض الصوت في أذان الصباحِ

وئرق فصاحب العرش مشغولِ

عن الله بالقبيان الملاحِ

ألف «الله أكبر» لا تساوي

بین کفی يزيد نهله راحِ

تتلظى في الكأس شعلة خمرِ

مثلاً أرج اللهيب في المضباجِ

أَيْهَا الْمُبَكِّرُ الْمُؤْذَنُ لَا  
 تَهْتَفْ وَإِنْ شَئْتَ فَاعْتَصِمْ بِالْبَحَاجِ  
 إِنْ سَمِعَ الْخَلْبَعَ وَقَفَ عَلَى  
 صَذْحِ الْمَثَانِي وَرَئَةِ الْأَقْدَاحِ  
 لَا تَعْكُرْ صَفْرَ الْمَلِيكِ بِذَكْرِ  
 رَرَاللهِ فَالذَّكْرُ مَأْتِيمُ الْأَفْرَاجِ  
 وَأَبُو الْقَنِيسِ وَهُوَ قِرْدٌ يَزِيدٌ  
 فَضَحَ الْخَيْلَ وَائِثَنَى بِنَجَاجِ  
 فِيزِيدُ بِنْ كُسْرُو الْقُرُودَ حَرِيرًا  
 وَالْيَتَامَى فِي غُصَّةِ الْمُلْتَاحِ  
 مَلَأَ الْقَضْرَ بِالْقُرُودِ  
 وَلَمْ يُهْمِلْ كِلَابًا سَخِيَّةً بِالنَّبَاجِ  
 وَيَزِيدُ بِنْ ثِيرُهَا لِهَرَاسِ  
 فِي مَفَاصِيرِ دَارِهِ الْمِفَرَاجِ  
 قَاصِدُ الْقَضْرِ لَيْسَ يَسْمَعُ إِلَّا  
 غَرِيزَاتِ مَوْضِولَةِ بِصِيَاجِ  
 بَيْنَ قِرْدَمَقِهِ لِشَرَابِ  
 أَوْ هَرِينِرِ مِنْ نَاهِسِ نَبَاجِ<sup>(١)</sup>

(١) عبد الغدير: ٢٠٤.

## يزيد ملكاً

كان ذلك في العام الستين من الهجرة النبوية، حين مات معاوية، ويتربّد الخبر بين الناس، ويُدفنونه ويصلون عليه ويزيد غائب لما يحضر... وبعد اللتينا والتي، يعود يزيد ويُنادى به خليفة أو إن شئت سمه ملكاً فما فيه من صفات الخلافة شيء يذكر...

ويخطب يزيد خطبة بعيد وصوله، نستعين منها معالم الفكر الذي زرعه الأمويون في نفوس الناس، فطالما حدثهم بأنهم يذلون الله على الأرض، وقد اختارهم الجليل لحكم الناس وسوقهم، ولو لم يرد الله ذلك لما تم!... ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخلط، فالله على كل شيء قادر، وهو العالم بكل شيء، ولكنه خلق الناس ليبلوهم أيهم يشكر وأيهم يكفر، وجعل الأمور تجري بأسبابها، ولو تم لهم قياسهم هذا للزم الاعتقاد بأن الله قد أراد قتل أنبيائه العظام وعباده وأوليائه الكرام!...

وأين ذهبت أفكارهم عن الآيات القرآنية الصريحة كقوله تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ سَبِيلًا إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»...

والله قد جعل بيد الإنسان فعل الخير وفعل الشر، ولو لا هذا لبطل الشواب والعقاب، ولما كوفىء انسان على عمله، ولا عوقب مجرم على أفعاله...

وهذه من الأفكار التي دسها الأمويون في الإسلام عبر رواتهم والعلماء الذين ساروا في ركابهم... كل ذلك ليعلنوا للملأ أن خلافتهم شيء من إرادة الله ومشيئته وأمره، ولا راد لقضاء الله، ومن يُردهم بسوء يصله المولى عذاباً أليماً....

وفي كلام يزيد هذا الشيء الكثير من هذه العقائد الأموية الباطلة حيث يقول:

«إن معاوية كان حبلاً من حبال الله مده الله ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه...، وقد وليت الأمر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم، فعلى رسالكم فإن الله لو أراد شيئاً كان...»<sup>(١)</sup>.

ويقوم أحد الشعراء فينشد:

إصبر يزيد، فقد فارقت ذا مقهٍة  
واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا  
أصبحت لا رزء في الأقوام نعلمه  
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا  
أعطيت طاعة خلق الله كلّهم  
وأنت ترعاهم والله يرعاكـا

(١) مروج الذهب: ٣/٧٧.

وفي معاوية الباقي لنا خلفُ

إِمَانِيَّتِيْ وَلَا نسْمَعُ بِمَنْعَائِي<sup>(١)</sup>

وهكذا قام يزيد مقام أبيه، والشاعر يدعو إلى استخلاف ابن  
يزيد بعده، إن مات، فإنه الملك العضوض.

وفعلاً بايع يزيد لولده معاوية وليناً لعهده وقال الشاعر مهنتاً:

تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ

فَخُذْهَا يَا مَعَاوِيَّ عَنْ يَزِيدَا

لَقَدْ عَلِقْتَ بِكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا

وَلَا تَرْمِوا بِهَا الْغَرْضَ الْبَعِيدَا<sup>(٢)</sup>

وهذا الشاعر كأنه يُنشِئ عن لسان أبي سفيان إذ قال إبان  
خلافة عثمان: «يا بنى أمية... تلقوها تلتف الكرة فوالذي  
يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم  
وراثة!...»<sup>(٣)</sup>.



(١) مروج الذهب: ٣/٧٨.

(٢) المصدر: ٣/٦٤.

(٣) وعاظ السلاطين: ١٣٠.



## المبحث الخامس:

### بطل العلقمي

— نحو البيت الحرام

— دليل الركب

— نحو وادي كربلاء

— يوم الطف

— على شاطئ الفرات



## نحو البيت الحرام

يبدأ يزيد حكمه بطلب البيعة ممّن امتنع عنها في حياة والده، فيرسل إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بهذا الأمر، ويأمره أن يأخذ الحسين وابن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذًا شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا<sup>(١)</sup>. ويستشير الوليد مروان بن الحكم في الأمر، وما أحسب القارئ قد نسي مروان وأفعاله فهو المسؤول الأبرز عن مقتل عثمان، وعن معركة الجمل وعن كثير من المشاكل التي واجهت علياً عليه السلام...، ويرى مروان رأيه الدموي فيقول:

«إني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء الثغر فتدعواهم إلى البيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبووا قد متهم فضررت أعناقهم...»<sup>(٢)</sup>.

ويأتي رسول والي المدينة إلى الحسين عليه السلام في غير وقت زiarah أو لقاء، ويدعوه للقاء الوالي، فيحس الحسين عليه السلام بالأمر ويحترز من غدر الأمويين فينقلب إلى داره ويصطحب معه

(١) تاريخ الطبرى: ٥٤٨/٤.

(٢) المصدر نفسه.

بعض إخوته وبنيه ويمضي إلى الوالي ويأمرهم قائلاً: «إني داخلُ، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتربوا عليَّ بأجمعكم»، ويصدق حدس الحسين، فها هو الوليد ينعي إليه معاوية ويدعوه إلى بيعة يزيد، فيؤجل الحسين المواجهة ويقول:

«أَمَا مَا سَأَلْتَنِي إِلَى الْبَيْعَةِ فَإِنَّ مَثْلِي لَا يُعْطِي بَيْعَتَهُ سَرَّاً، وَلَا أَرَاكُ تَجْتَزِئُ بِهَا مَنِي سَرَّاً دُونَ أَنْ نَظُورَهَا عَلَى رُؤُسِ النَّاسِ عَلَانِيَةً . . . ، فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى النَّاسِ فَدَعُوتَهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ، دَعُوتَنَا مَعَ النَّاسِ فَكَانَ أَمْرًا وَاحِدًا . . . » ويقتنع الوالي بهذا، ويهم الحسين عليه السلام بالانصراف، غير أنَّ مروان تأخذُهُ الحماسة فيصيغ بالوليد قائلاً:

احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبaidu أو تضرب عنقه . . . ، عند ذلك يشب الحسين عليه السلام وتجري في عروقه شجاعة محمد صلوات الله عليه وعلى ويلتفت نحو مروان قائلاً بحدة: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت<sup>(١)</sup>.

ويهز صوت أبي عبد الله قصر الإمارة هادراً مجلجاً:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ التُّبُوَّةِ، وَمَعْدُنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلِفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، بَنَا فَتْحَ اللَّهِ وَبَنَا خَتْمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبٌ

(١) المصدر نفسه: ٥٤٩/٤.

خمر، قاتل نفسِه، معلن بالفسقِ، فمثلي لا يُبَايِعُ مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وننظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة....»<sup>(١)</sup> ويخرج الحسين من القصر مُنْقَلِبًا إلى أهله، ويلوم مروان الوليد أشد اللوم على عدم قتله الحسين عليه السلام، وغدره به، ولا غرو فمروان قد طُبع على الغدر، فقد بايع عليه عليه السلام ثم نكث في حرب الجمل وعفى عنه الإمام عليه السلام بعد الظفر به، ولما طلبوا من علي عليه السلام أن يبايعه مروان من جديد قال: «أَوْلَمْ يَبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُشَّان؟، لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ، إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةً...»<sup>(٢)</sup>.

ويتوجه الحسين إلى قبر جده المصطفى، يناجيه ويشكو إليه:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ...، أَنَا الْحَسَنُ بْنُ فَاطِمَةَ سَبَطُكَ وَالثَّقْلُ الَّذِي خَلَفْتَهُ فِي أُمَّتِكَ، فَاشْهُدْ عَلَيْهِمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّهُمْ قَدْ خَذَلُونِي وَضَيَّعُونِي وَلَمْ يَحْفَظُونِي، وَهَذِهِ شَكْوَاهِي حَتَّى الْقَاكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ»، ويصف قدميه فلم يزل راكعاً ساجداً...<sup>(٣)</sup>.

(١) مقتل الحسين ، للخوارزمي (الموقق المكي)، خطيب خوارزم . ت سنه ٥٦٨ هـ)، تحقيق العلامة محمد السماوي : ٢٦٧.

(٢) نهج البلاغة : ٩٨.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي : ٢٧٠.

ويستمد العزم من روح جده المصطفى ومن عطر ضريح والدته الزهراء، فيقرئ قراره على التوجه نحو بيت الله، وهو يحضر لأمرٍ تتضمن بعض جوانبه في وصيته التي تركها إلى أخيه محمد ابن الحنفية:

«... إني لم أخرج أثراً ولا بطراً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمّة جدي محمد ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا، صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين...»<sup>(١)</sup>.

وترى مدينة المصطفى في الليلة التالية إلى سبط الرسول يمضي بأهله وإخوته وصحبه، حذراً يتربّق تحت جُنح الظلام...، وتحين منه التفاتة نحو ضريح جده فیناجيه مودعاً:

«بأبي أنت يا رسول الله...، لقد خرجت من جوارك كارهاً، وفرق بيني وبينك، وأخذت قهراً أن أبياع يزيد شارب الخمور، وراكب الفجور، وإن فعلت كفرت، وإن أبىت قلت... فعليك مني السلام يا رسول الله...».

ويخرج العباس مع أخيه الحسين، ويبقى ملازمًا له، ومساعداً حتى اللحظات الأخيرة...».

(١) المصدر نفسه: ٢٧٣.

ويلفهم الليل، ويسدل عليهم سورة، ويسود الصّمت، فلم يعد يسمع إلا وقع أخفاف الإبل وهي تحت السير باتجاه بلد الله الحرام.

وتتنصّت رمال الصحراء لهذا الركب، فما تسمع حداة ولا غناة وإنّما هو الحسين عليه السلام، صوته الهدى يتلو قوله تعالى:

**«رَبِّنَا مَنْ نَحْنُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»**

ويجوز الركب بالموقع التي مرّ بها رسول الله منذ ستين عاماً مهاجراً من مكّة إلى يثرب . . . ، لا بد وأن يكون مز في بال العباس طيف أبي سفيان شيخ الأمويين ومعه زعماء المشركين يضطرون رسول الله للفرار من حرم الله . . . ،وها هو يزيد حفيد أبي سفيان يعيد سيرة جده الغابرة ويضطر سبط رسول الله للفرار من حرم جده المصطفى . . . ويحن العباس إلى المدينة، يرمي بها بطرفه فيرتد إليه البصر خاسعاً، لا يكاد يلمع في ظلّة الليل سوى هامات النخيل العوالي، وقمم الجبال . . .

ويعبّر الشاعر عما يختلج في قلب العباس والحسين وبقية الركب العلوي:

**ئَقْلَتْ رَجُلٌ مَنْ يَفْارِقُ أَرْضاً  
غَلَقَتْ مَنْهُ فِي الصُّومِ اعْتِلَاقًا**

ذِكْرَيَاتُ تِشْدَهُ كَا حَتْضَان  
 الْأَمْ لِلْتَّجَلِ مَا تُطِيقُ فِرَاقًا  
 كَلَمًا حَاوَلَ الْوَجِيدُ اِنْفِلَاتًا  
 أَلْصَقَتْهُ بِقَلْبِهِ إِلَصَاقًا  
 أَخْرَجَتْهُ بِنَوْأَمِيَّةِ حَتَّى  
 جَاءَ أَمَّ الْقُرَى يَحْثُ النَّيَاقًا  
 مِنْ هَنَامَرْ أَحْمَدْ وَعَلَيْ  
 بَعْدِهِ وَالرَّمَالُ تَشْوِي السَّاقًا  
 هَاجَتُ الذَّكْرِيَاتُ عَيْنَ حُسْنِ  
 فَتَلَظَّى إِنْسَانُهَا بِرَأْفَا  
 وَكَأَنَّ الْحَفِيدَ فِي شَبَهِ رَؤْيَا  
 كَشَفَتُ عَنْ فَوَادِهِ فَانْتَفَاقَا  
 شَامَ وَجَهَ السَّمَاءَ يَقْبَطِرُ ثُورًا  
 مُفْعَمُ السَّكَبِ هَاطِلًا غَيْدَاقَا  
 لَاحَ فِيهِ مُحَمَّدْ وَعَلَيْ  
 وَكَأَنَّ النَّبِيِّ حَثَ الْبُرَاقًا

\* \* \*

ولو قدر لنساء الركب أن يبصرن من وراء ستار الغد، لم لأن  
 سمع الرمال حينيناً إلى أهلهنّ وذويهنّ، ولكن ما قدروا أن تكون

هذه آخر رحلة يقطعها رجال أهل البيت من المدينة...  
ويحث الركب العلوى السير باتجاه مكة ليبلغها بعد ليالى  
وأيام، فيحط رحاله قرب حرم الله وكتبه، ويردد الحسين قوله  
تعالى:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَةِ قَالَ عَسَى رَبِّتَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً  
السَّكِيل﴾<sup>(١)</sup>.

ويصف الطبرى مقام الحسين بمكة وإعظام الناس له فيقول  
راوياً عن أبي مخنف: «... فا قبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها  
يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرین وأهل الآفاق،  
وابن الزبير بها قد لزم الكعبة، فهو قائم يصلي عندها عامة الئمار  
ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه... ولا يزال يشير عليه بالرأي  
وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، وقد عرف أنَّ أهل الحجاز لا  
يبايعونه ولا يتبعونه أبداً ما دام حسيناً بالبلد، وأنَّ حسيناً أعظم  
في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوع في الناس منه»<sup>(٢)</sup>.

ويتشرّن نبأ موت معاوية في الآفاق، فيسرُّ أهل الكوفة، ولم  
لا وقد سامهم وولاته أشدُّ العذاب، ويأتينهم نبأ خروج  
الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، فيجتمعون ويتدعون  
لنصرته...، ثم يرسلون إليه الرسول تلو الرسول، والكتاب تلو

(١) تاريخ الطبرى: ٥٥٢/٤.

(٢) المصدر: ٥٥٩/٤.

الكتاب يلخون عليه بالقدوم عليهم واعلان الثورة...  
وقد ذكر المؤرخون بعضاً من هذه الكتب، تنبئك عما كانت  
الأوضاع حينها...

ومن ذلك كتاب من شبث بن ربيعى وحجاز بن أبجر  
وسواهم يقول:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَخْضَرَ الْجَنَابَ، وَأَيْنَعَتِ الْثَمَارَ وَطَمَّتِ  
الْجَمَامَ<sup>(١)</sup>، فَإِذَا شَتَّتَ فَاقْدَمَ عَلَى جَنْدِ لَكَ مجْنَد»<sup>(٢)</sup>، غَيْرَ أَنَّ  
الْمُفَارَقَةَ أَنَّ مَرْسُلَوْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَهُمْ مِنْ زُعمَاءِ الْكُوفَةِ وَقَادَتِهَا  
كَانُوا فِيمَا بَعْدِ فِي طَلِيعَةِ قَادِهِ الْجَيْشِ الَّذِي حَارَبَ الْحَسِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فِي كَرْبَلَاءِ.

ومن رسائلهم رسالة لحبيب بن مظاهر وسليمان بن صرد  
الخزاعي وسواهم من شيعة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين ثبتوها معه  
واستشهدوا، وطالب من بقي منهم حياً بدمه فيما بعد:

«سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّا نَحْمِدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا  
بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَمَ عَدُوكَ الْجَبَارَ الْعَنِيدَ الَّذِي انتَزَى عَلَى  
هَذِهِ الْأُمَّةِ فَابْتَزَهَا أَمْرَهَا وَغَصَبَهَا فِيهَا، وَتَأْمَرَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ رَضْيِ  
مِنْهَا، ثُمَّ قَتَلَ خَيَارَهَا وَاسْتَبْقَى شَرَارَهَا، وَجَعَلَ مَالَ اللَّهِ دُولَةً بَيْنَ  
جَبَابِرَتِهَا وَأَغْنِيَائِهَا، فَبَعْدَاً لَهِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودٍ...، فَأَقْبَلَ لِعَلَّ اللَّهِ

(١) طمت الجمام: علا الماء وغمر، والمراد أنه تم الأمر.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤/٥٦١.

أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير . وهو والي الكوفة . في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أئّك قد أقبلت إلينا أخر جناه حتى نلتحقه بالشّام  
إن شاء الله . . . »<sup>(١)</sup> .

أمام رسائل ووفود البيعة هذه، لم يجد الحسين عليه السلام بدأً من إجابتهم ، غير أنَّه أراد أن يتتأكد من ذلك فأرسل موFDAً من قبله ، هو ابن عمِه مسلم بن عقيل ، ليأخذ له البيعة ويطلعه على ما يرى من أمر الناس . . .



(١) المصدر نفسه .

## دليل الرَّبِّ

يتوجه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ويفد إليه أهلها يبايعونه للحسين عليه السلام، وينضمون تحت لوائه، ويبايع الآلاف من أهل الكوفة ويعاهدوه على نصرة الحسين عليه السلام واتباعه وخذلان أعدائه . . . ، ويرسل كتاباً للحسين عليه السلام يعلمه باجتماع الناس على نصرته، ويطلب منه التعجيل بالقدوم ومما جاء في الكتاب:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَقَدْ بَأَيْعُنِي مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ ثَمَانِيَّةُ عَشَرَ أَلْفًا، فَعَجَّلَ الإِقْبَالَ حِينَ يَأْتِيكَ كَتَابِي، فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَعَكَ، لَيْسَ لَهُمْ فِي آلِ مَعَاوِيَةِ رَأْيٌ وَلَا هُوَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن الجانب الآخر كان بعض أنصار الأمويين في الكوفة قد وشوا بواлиهم إلى يزيد واتهموه بالضعف والتقصير في قمع حركة الموالين للحسين عليه السلام فعزله وعين مكانه والي البصرة عبيد الله بن زياد، المشهور بالبطش والتنكيل . . .

ويصل ابن زياد إلى الكوفة، ويعتمد سياسة رشوة الزعماء واستمالتهم، والزعماء ما كانوا يرون الخير في ولاية أهل البيت عليه السلام، فقد جربوا حكم علي عليه السلام من قبل ورأوه كيف

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٥٨٠.

كان لا يفرق في العطاء بين الشريف والوضيع فالكل عنده عباد الله وعليه فهم سواسية في الفيء والأموال . . .

كان الزعماء يَعْوَنُونَ أَنَّ حِكْمَةَ الْأَمْوَابِينَ يُوفِرُ لَهُمْ أَمْوَالًا وأعطيات ومراتز لا يؤمنها حكم الحسين عليه السلام الذي رأوا أنه سينسج على منوال أبيه في العدالة والمساواة . . .

وقد رأينا فيما سبق أَنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ كَانَتْ تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الطَّبِيعَةُ الْقَبْلِيَّةُ، وَالزُّعْمَاءُ الْقَبْلِيُّونَ كَانُوا أَقْدَرُ الْأَشْخَاصِ عَلَى تَجْيِيشِ الْجَيُوشِ، أَوْ حَمْلِهَا عَلَى التَّقَاعُسِ، مِنْ هُنَّا كَانَ تَرْكِيزُ الْأَمْوَابِينَ وَلَاتِهِمْ عَلَى رِشْوَةِ الزُّعْمَاءِ وَاسْتِمْالِهِمْ بِالْأَمْوَالِ . . .، وَلَا ضَيْرٌ فِي ذَلِكَ فَمَا كَانُوا لِيَدْفَعُوا لِلنَّاسِ مَا لَمْ تَوَارِثُوهُ عَنْ أَجْدَادِهِمْ، أَوْ نَالُوهُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي يَمْنَعُونَهُ عَامَّةُ النَّاسِ، وَيَمْنَحُونَ قَسْمًا يَسِيرًا مِنْهُ لِلزُّعْمَاءِ لِقَاءَ شَرَاءِ ذَمِّهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، وَقَدْ رأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ كَيْفَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ مَنَحَ مَا لَمْ يَعْلَمُهُ بَعْضُ الزُّعْمَاءِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ اشْتَرَى بِذَلِكَ دِينَهُمْ مِنْهُمْ! . . .

دَرْسٌ مَعَاوِيَةُ هَذَا وَعَاهُ زِيَادٌ جَيْدًا فَانْطَلَقَ يَهْبِطُ الْأَمْوَالَ لِزُعْمَاءِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ تَوَافَدُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدِّ وَصُوبٍ، قَدْ أَطَّارَتْ صَوَابِهِمُ الدِّنَانِيرُ وَالدِّرَاهِمُ . . .

وَأَمْرِهِمْ أَبْنَى زِيَادٌ أَنْ يَحْدُثُوا النَّاسَ عَنْ جَيْشِ جَرَارٍ قَادِمٍ مِنَ الشَّامِ لِقَمْعِهِمْ، فَمَلَأُوا اسْمَاعَ رِجَالِ قَبَائِلِهِمْ رُعْبًا وَهَلْعَانًا مِنْ جَيْشِ

وهميٌّ لم يوجد إلَّا في أخيلةٍ لهم وأوهامهم . . .  
 ويحتال ابن زيد ويُمكر بمساعدة زعماء القبائل هؤلاء،  
 فيستدرج هانئ بن عروة المرادي أحد كبار زعماء مذحج وهي  
 من كبرى قبائل الكوفة، وأحد أصحاب عليٍ عليه السلام الخلص ومن  
 كبار مؤيدي مسلم بن عقيل فيعتقله في القصر، ويعتدي عليه  
 بالضرب المبرح . . .

ويبلغ ابن عقيل الخبر، فينادي بالثأر ويعلن الثورة، وتشعر  
 مذحج قبيلة هانئ بن عروة، وهنا يبدأ دور الزعماء وأشياعهم،  
 ومن هؤلاء كان شريح القاضي، وقد كان على قضاء الكوفة لزمنٍ  
 طويل عرف فيه بالعدل وحسن السيرة، غير أنَّ أموال ابن زيد  
 اجتذبه فأضحم في عدد حاشيته وأعوانه، شريحُ هذا خرج على  
 الناس يحلف لهم ويقسم أنَّ ما بصاحبهم هانئ من سوء وأنَّه  
 حيٌ يرزق يتباخت مع ابن زيد فيما فيه مصلحة الناس! . . . ،  
 رغم أنَّ هانئ كان قد طلب إلى شريح ابلاغ عشيرته . وقد  
 اجتمعوا بالألاف حول القصر . ما هو فيه قائلًا: يا شريح إنِّي  
 لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل على  
 عشرة نفرٍ أنقذوني . . . <sup>(١)</sup>.

وتتفرق قبيلة هانئ وتمضي لشأنها حينذاك . . . ، ويؤالي  
 زعماء الكوفة أعمالهم فينشرون الذعر والهلع في قلوب الناس،

(١) راجع الحادثة في كتب التاريخ، الطبرى: ٤/٥٧٠، وسواء.

حتى صارت أخبار الجيش الوهمي القادر من الشام على كل شفقة ولسان...، وفعلت التحذيرات فعلها فتفرق الناس عن مسلم جماعات وفرادى ينشدون رضا الوالى وعفوه ودنانيره... .

ويتحدث الطبرى عن فرار الناس راوياً:

إنَّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخيها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشَّام، فما تصنع بالحرب والشُّرّ، انصرف، فيذهب به، فما زالوا يتفرقون ويتصدّعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتى صلى المغرب، فما صلى مع ابن عقيل إلاًّ ثلاثون نفساً، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلاًّ أولئك الثغر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يدله على الطريق، ولا يدله على منزل ولا يواسيه بنفسه، إن عرض له عدو، فمضى على وجهه يتلذّد<sup>(١)</sup> في أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب، فوجد امرأة يقال لها طوعة تنتظر ابنها الذي خرج مع الناس، فسلم عليها ابن عقيل فرأت عليه، واستسقاها الماء، فسقته، ثم أضافته لما عرفت أنه مسلم...، وأتى ابنها فعلم بذلك فوشى بالأمر إلى ابن زياد...<sup>(٢)</sup>.

(١) يتلذّد: يتحيز.

(٢) الطبرى: ٥٧٦/٤.

ويرسل ابن زياد جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث لطلب مسلم، ويعرضون عليه الأمان فيرفضه، فمتى كان الأمويون يفون بعهد أو وعد، ويقاتل القوم أشدّ قتال، وهو يرتجز ويقول:

أقسمتُ لا أقتل إلا حراً

وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

كلُّ أمرِيءِ يوماً ملاقي شرَا

أخافُ أنْ أُنْذَبَ أوْ أُغَرِّا

وأثخن بالجراح فاستند على جدار وهو عاجز عن القتال، فناداه محمد بن الأشعث أن لك الأمان، وأتي ببغلة حملوه عليها، ودمعت عينه، فقال له أحدهم: إن من يطلب مثل الذي تطلب؛ إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك، فقال: إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرضي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عينٍ تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقربين إلي، أبكي لحسين وآل حسين...<sup>(١)</sup>.

وينطلقون به نحو ابن زياد، فيتوجه مسلم نحو ابن الأشعث، ويقول: إني أراك والله ستعجز عن أمانِي، فهل عندك خير؟، تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لسانِي يبلغ حسيناً...، ويقول: ارجع بأهل بيتك...<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر: ٥٧٩/٤.

(٢) المصدر نفسه.

ويدخل ابن عقيل على ابن زياد، ويطلب ماء فلا يسقوه، ثم أتاه رجل بماء فجعل كلما أراد أن يشرب امتلاً القدر دمًا، ثم سقطت ثنياته فيه، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسم لشربته...<sup>(١)</sup> حدث كل ذلك على مرأى وسمع من زعماء الكوفة وأشياخها الذين كانوا قد بايعوا مسلماً من قبل...، وليستبين المرء مدى تخاذلهم وتكاليفهم على المال، نستعرض هذا الخبر عن عمر بن سعد بن أبي وقاص:

يذكر الطبرى أنه لما أمر عبيد الله بقتل مسلم، إلتفت مسلم إلى جلسة عبيد الله بن زياد وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إن بيبي وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك نجح حاجتي وهو سر، فأبى عمر أن يمكنه من ذكرها، وهنا تدخل ابن زياد فقال لعمر: لا تمنع أن تنظر في حاجة ابن عمك، فامثل هذا الزعيم القرشى صاغراً، فقال له مسلم وقد ابتعد عن ابن زياد حتى لا يستمع كلامهما: إن على بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمتها، سبعمائة درهم فاقضها عتبى، وانظر جثتى فاستوهد بها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى حسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلًا...

وهنا يبرز مدى تخاذل ابن سعد وتكاليفه في نصرة سيده، حيث قال لابن زياد: أتدري ما قال لي؟، إنه ذكر كذا وكذا...

(١) المصدر نفسه.

ويستهتر ابن زياد بهذا الزعيم القرشي الذي أضحي عبداً من عبيده فيسبه على رؤوس الأشهاد، قائلاً لمسلم: إله لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

ويتجزّع ابن سعد هذه الإهانة دونما رد أو فعل، وناهيك بها ذلة!... ويجري بين ابن زياد ومسلم حوار يتجلّى فيه ايمانه وصلابته في ذات الله وجراحته وشجاعته.

يقول ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض!

ويجيبه ابن عقيل: كلاً لست أتيت، ولكنَّ أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب.

فقال ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق، أو لم نكن نعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر.

ويجيبه مسلم بكل صلابة: أنا أشرب الخمر!، والله إنَّ الله ليعلم أئُك غير صادي، وأئُك قلت بغير علم، وأئِي لست كما ذكرت، وإنَّ أحَق بشرب الخمر مني من يلغ في دماء المسلمين

(١) ومراده من ذلك أنه ما خانك أمين، ولكنك قد اثمنت خائناً على سرك، وهو ابن سعد.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤/٥٨١.

ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام...، وهو يلهم ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمثيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله.

ويجيئه ابن عقيل: فمن أهله يا بن زياد؟

ويقول ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد... .

فلا يملك ابن عقيل إلا أن يقول: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فيقول ابن زياد: كائنك تظنَّ أنَّ لكم في الأمر شيئاً!

فيجيئه ابن عقيل: والله ما هو بالظن ولكنَّه اليقين. عند ذلك يتوعَّد ابن زياد مسلماً ويقول: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام. فيجيئه ابن عقيل: أما إنك أحقُّ من أحدٍ في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحدٌ من الناس أحقُّ بها منك<sup>(١)</sup>.

ثم يأمر ابن زياد بقتل ابن عقيل ورمي جسده من أعلى القصر، ويتبعه بهانىء بن عروة الذي كان قد حبسه في القصر، ويُجرِّ بجثتيهما في الأسواق دونما مُستنكر أو رادع... فيما

(١) تاريخ الطبرى: ٥٨٢/٤

الرؤوس تأخذ طريقها مع الجلاوزة إلى دمشق! . . .

وينشد الشاعر الفرزدق<sup>(١)</sup> إذ ذاك مخاطباً أهل الكوفة:

إنْ كُنْتِ لَا تدْرِينَ مَا الْمَوْتَ فَانْظُرِي

إِلَى هَانِئٍ بِالسَّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ

إِلَى بَطْلٍ قَدْ هَشَمَ السَّيْفَ وَجَهَهُ

وَآخَرَ يَهُوي مِنْ طَمَارٍ قَتِيلٍ

تَرِي جَسْداً قَدْ غَيَّرَ الْمَوْتُ لَوْنَهُ

وَنَضَحَ دَمٌ قَدْ سَالَ كُلَّ مُسَيْلٍ

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَشَأُوا بِأَخِيكُمْ

فَكُونُوا بِغَايَا أَرْضَيْتُ بِقَلْبِي<sup>(٢)</sup>

حدثَ كُلُّ ذَلِكَ وَالْحَسِينَ وَالْعَبَّاسَ وَرَكِبَ آلَ الرَّسُولِ ..

تَخْبُرُ رواحلهم الأرض باتجاه الكوفة، يحدوهم الأمل بإقامة حكم الله على الأرض وتطهيرها من رجس الأمويين الذين جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً . . .



(١) ربما نسبت هذه الآيات لغير الفرزدق.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤/٥٨٤.

## نحو وادي كربلاء

أَتَ رِسَالَةُ مُسْلِمٍ بْنِ عَقِيلٍ الْأُولَى إِلَى الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
تَشْجُعُهُ عَلَى التَّوْجِهِ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَرَغْمَ مَا يَعْرِفُهُ الْإِمامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
مِنْ غَدَرِ زُعمَائِهَا وَمُكْرَهِهِمْ قَرَرَ إِجَابَةَ النَّدَاءِ، وَالرَّحِيلُ نَحْوَهُمْ،  
وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَعْطَوْهُ الْعَهُودُ وَالْمَوَاثِيقَ وَبَايِعَهُ الْآلَافُ . . .

وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى كَانَ الْأُمَوِّيُّونَ فِي مَكَّةَ يَتَحِثِّنُونَ الْفَرَصَ  
لَا غَتِيَالَهُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ غَيْرَ عَابِئِينَ بِحُرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ  
الْجَاهِلِيُّونَ رَغْمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغَوَّايةِ يَتَورَّعُونَ عَنِ  
الْقَتْلِ وَسُفْكِ الدَّمَاءِ فِيهِ . . .

نَعَمْ، رَأَى الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ كَيْ لَا  
تُنْتَهِكَ بِهِ حُرْمَةُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَيُوضَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ لَهُ مَعِ  
أَصْحَابِهِ قَبْيلَ خُرُوجِهِ حِيثُ يَقُولُ:  
«وَاللَّهُ لَأَنْ أُقْتَلَ خَارِجًا مِنْهَا . أَيُّ مَكَّةٍ . بَشِيرٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ  
أُقْتَلَ دَاخِلًا مِنْهَا بَشِيرٌ . . .»<sup>(١)</sup>.

وَيَتَوَالَّ النَّاصِحُونَ عَلَى الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْهُمْ مَنْ يَنْصَحُهُ  
خَوْفًا عَلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْدِي خَلَافًا مَا يَظْهَرُ لِغَايَةِ فِي نَفْسِ

(١) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ: ٤/٥٨٨.

يعقوب...، ومن الناصحين كان ابن عمّه عبد الله بن عباس الذي كان يصرّ المرة تلو الأخرى على الحسين عليه السلام ليترك التوجه نحو الكوفة، ويحذره أهلها، ولكن الحسين عليه السلام لم يكن ليترك واجبه الشرعي خوفاً وفرقأ... .

ومن هؤلاء الناصحين كان عبد الله بن الزبير الذي كان يأمل أن يخرج الحسين إلى العراق كي ينفرد بزعامة الحجاز، كان يصطنع النصح كل مرّة يلقى فيها الحسين عليه السلام، ولم يكن أبو عبد الله غافلاً عن ذلك إذ يقول لأصحابه: ها إنّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحّبُ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معه شيء، وأنّ الناس لم يعدلوه بي، فوَدَّ أتني خرجت منها لتخلو له<sup>(١)</sup>.

ويتوالى الناصحون يدلّون بآرائهم ونصائحهم، ويرمقهم أبو عبد الله بعينين ترنوان إلى الجنان، يرمّقهم أسفًا على ما آل عليه رجالات الإسلام حين يظنّون الدين صلاة وحجًا ويتقاусون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، وهل هناك معرفة أولى من منع الظلمة من سفك دماء الأبرياء وقضم أموالهم؟ وهل هناك منكر أعظم من ولاية يزيد الفاسق الفاجر على أمّة رسول الله؟... .

تساؤلات رئيما رمقها الناصحون في عيون الحسين وال Abbas وسائر أهل البيت المتوجّهين نحو دروب الشهادة، تساؤلات مؤدّتها: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» ... .

(١) المصدر: ٥٨٧/٤.

لكم دينكم الذي حورتموه فاقتصرتم على الطقوس وتركتم اللباب، ولنا الدين الذي جاء به رسول الله، الدين القيم الذي يسعى لبناء مجتمع وحضارة ودولة مساواة وعدالة... .

وتخرج الكلمات هادئة مطمئنة من فم أبي الشهداء، وهو يتلو قوله تعالى: «فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَتَشَدَّرُ بِرِيشَوْنَ مِمَّا أَعْمَلَ وَأَنَا بِرَىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ».

ويصور العلامة العلايلي خروج الحسين عليه السلام ونصح الناصحين بلغته الرمزية فيقول:

مرّ نسر يحلق فوق الأكام، فتكثّفه بغاث التسorum من كل مكان... . ثهيب له أن لا يمضي بعيداً، فهناك صقور تعيث فساداً وتبتّ رباعاً. ولكن التسر شد جفنيه طويلاً، كأنه لا يصدق أن هذه لغة نسر... . على أنه مضى وهو يقول: إن التسر شيء في المعنى وليس شيئاً في الشكل... . فإذا استحال المعنى شخلاً، فهناك مسوخ لا نسور!... . وانطلق يهوي غير مبال بما سوف يغترضه.

وما هو حتى وأبيه جماعة الصقور، قال منها كثيراً، وتأثر منه مقتلاً... . على أنه كان مغتبطاً أيضاً فقد همس في أنفاس المختضر:... . سوف يضل في الأجيال أنه هنا يرقد نسر وجد حقيقته... .

وهناك تخيا نسور فقدت حقيقتها... .

إنني أمضي ويبقى في ضمير الوجود أن افتخار الطريق دائماً في الإمكان... .

إنطلقَ الحُسَينُ مُوَدِّعًا الْكَفْبَةَ بَيْنَ اللَّهِ، حَامِلًا رُؤْحَهَا بَيْنَ  
جَنَّتَيْهِ، وَشُغْلَتْهَا بِكُلَّ تَيْدِيهِ... .

تُوَاكِبُهُ الْمَلَائِكَ وَتُبَارِكُهُ، وَتَطْفِئُ بِهِ كَائِنَهَا حَذِرَةً عَلَيْهِ... .  
فَإِنَّهُ الْبَقِيَّةُ مِنْ إِرْثِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ... .<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ويسير ركب الحسين عليه السلام بسکينة ووقار، وفيما هم على هذه الحال، يأتيهم الناعي بخبر مسلم بن عقيل، وما كان من غدر الناس ونكثهم، ويقوم أبو الشهداء ليعلن الثبا على صحبه، ليكونوا على بيته من أمرهم، فيقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبْرٌ فظيع، قُتِلَ مُسْلِمٌ بْنُ عَقِيلٍ، وَهَانِيَّ بْنُ عَرْوَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ بَقْطَرٍ»<sup>(٢)</sup>، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبَّ مِنْكُمُ الإِنْصَافِ فليبنصرف... .

(١) الإمام الحسين، العلايلي: ٥٧.

(٢) عبد الله بن بقطر: أخوه الحسين عليه السلام من الرضاعة، سُرّحه إلى مسلم بن عقيل رسولاً قبل أن يعلم ما آل إليه أمر مسلم، فتلقته خيل ابن زياد، فأرسلوه إليه، فقال له ابن زياد: اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب، ويقصد الحسين عليه السلام ثم انزل حتى أرى فيك رأيي؟ فصعد فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس إنني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة ابن سمية الداعي. ويقصد ابن زياد - فأمر به ابن زياد. فألقي من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه وبقي به رمق فذهبوا... . (الطبرى: ٤/٦٠١).

ويتحدث الراوي حينذاك عن من لحق بالحسين عليه السلام فيقول:

فتفرق الناس يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنّه ظنّ أنّما أتبعه الأعراب لأنّهم ظنوا أنه يأتي بذلك قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيراً معه إلاً وهم يعلمون علام يقدموه، وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلاً من يريد مواساته والموت معه<sup>(١)</sup>.

وهكذا تنفرط عرى القافلة، لتضحي القافلة نفسها التي أتى بها سبط رسول الله من المدينة، يحيط بأبي عبد الله إخوته وأهل بيته وعدد قليلٍ من صحبه وأنصاره... وهنا يظهر صدق كلمة الحسين عليه السلام، ومعناها الرفيع على وجازتها: «النّاسُ عبادُ الدُّنيا، والَّذِينَ لَعُنْ عَلَى أَسْتَهُمْ، فَإِذَا مُحْصُوا بِالْبَلَاءِ قُلَّ الَّذِيَانُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الطريق يلتقي الحسين عليه السلام الفرزدق الشاعر قادماً من الكوفة فيستعلمه عن الناس فيها فيقول: قلوب الناس معك وسيوفهم معبني أميّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبرى: ٦٠١/٤.

(٢) أبو الشهداء، العقاد: ١٢٥.

(٣) تاريخ الطبرى: ٥٩٠/٤.

لعلَّ تعبير الفرزدق هذا هو أدقُّ تعبيرٍ عن حالة النَّاس حينها، فهم يحبُّون الحسين ويتمتُّون حكمه وعدله ولكتئهم واقعون تحت وطأة الرَّهبة والخوف من الثورة وزعماؤهم وقادتهم تحت وطأة الطمع والجشع . . .

والرواية التالية تنبئ عن حالة عامة النَّاس، إذ يروي بعض من شاهد واقعة الطُّفْ فيقول: إِنَّ أَشياخًا من أهل الكوفة لوقف على التلّ يبكون ويقولون: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ<sup>(١)</sup>، يقول فقلت لهم: يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونَه!<sup>(٢)</sup> . . .

على أيّ حال، كان هذا والحسين في الطريق إلى الكوفة . . . ، ولا ريب أن رؤى وأخيالَ قد تداعت في ذهن العباس كما في قلوب كل الصَّحْب والآل، ثُرى ها سيعيد أهل الكوفة ما فعلوه يوم خذلوا عليًّا عليه السلام، ويوم تقاعسوا عن نصرة الحسن عليه السلام? . . . ، لا بد وأنهم تاقوا إلى زعماء الكوفة الرَّاحلين الذين كانت لهم اليد الطولى في احراق الحق وخذلان الباطل . . . ، تاقوا إلى صورة مالك الأشتر يجول بفرسه وهو يقود الجيوش تلو الجيوش لنصرة عليٍّ عليه السلام ويردد:

لَقِيتْ وَفْرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْغَلِي

وَلَقِيتْ أَصْيَافِي بِوْجَهِ عَبْوِسٍ

(١) أي ينظرون إلى المعركة، ويسألون الله النصر للحسين عليه السلام.

(٢) الطبرى: ٥٩٥ / ٤.

إن لم أشنَّ على ابن هند غارة  
 لم تخلُ يوماً من ذهاب نفوسِ  
 خيلاً كأمثال السعالى شرزاً  
 تعدو ببيضٍ في الكريهة شويسِ  
 حمي الحديد عليهم فكائِه  
 ومضانٌ برق أو شعاع شموسٍ<sup>(١)</sup>

ويتابع الركب سيره، ويلوح لهم ركب يسايرهم، ولكنه يبعد عنهم ويتعمد الابتعاد، . . . كان ذلك ركب زهير بن القين البجلي، وهو زعيمٌ يُهابُ وله في نفوس الناس مكانة، ويحدثنا أحد رجال هذا الركب فيقول:

كئا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة، نسابر الحسين، فلم يكن شيءٌ أغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدأً من أن نناظره فيه، فنزل الحسين في جانبٍ ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوسٌ تتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه . . ، فطرح كلُّ إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

(١) المناقب، الخوارزمي: ٢٣٢.

وتقوم امرأة زهير فتقول له: أبیعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه!، سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه! ثم انصرفت؛ فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أسف ووجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وقال لامرأته: أنت طالق إلى الحقيقة بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير؛ ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان<sup>(١)</sup>: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبحتم من الغنائم! قلنا: نعم، قال: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبحتم من الغنائم...، ثم مضى زهير لا يلوى على شيء حتى التحق بقافلة سبط رسول الله، ولا زمه واستشهد معه<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

وفيما الرَّكِب يسير بسکينة وتوْدَة، لا صوت غير وقع أخفاف الإبل، وأيات الذكر الحكيم يتلوها الصَّحْب بين الفينة والفينية، إذ

(١) سلمان الفارسي: من خُلُص أصحاب رسول الله، قال عنه: سلمان متأهل البيت، ولا بد أن سلمان لم رافقته لرسول الله ﷺ، وعلى عليه السلام كان قد لاحظ الكره الذي يكنه الحكام لأهل البيت عليه السلام، وقدر أنهم لن يتوزعوا يوماً ما عن قتالهم وقتلهم.

(٢) تاريخ الطبرى: ٥٩٩/٤.

ارتفع صوت أحدهم مكبراً، فيستعلمه الحسين عليه السلام عن سبب تكبيره فيقول:رأيُ التَّخْيِيل... .

غير أنَّ صحابة أخر لهم علم ومعرفة بهذا الْطَّرِيق الصحراوي القاحل ما وافقوه الرأي فقالوا: إنَّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، فسألهم الحسين عليه السلام: فما هذا، فقالوا: نراه رأي هوادي الخيل زاحفة نحونا، فيقول الحسين عليه السلام: وأنا والله أرى ذلك، ويضم طرفه شطر صحبه وأهل بيته وهم قلة قليلة والجيش القادر لا بد وأن يكون جراراً عرماً، فيقول لمن له علم بالمكان: أما لنا ملجاً نلتجأ إليه نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟، فيدلُّونه على جبل ذي حسم، فينطلق نحوه وينصب خيامه... .

وما كان أسرع أن طلعت عليهم الخيل، كانوا ألف فارس بقيادة الحَرَّ بن يزييد الرياحي أحد زعماء الكوفة، وقد أنهكمهم العطش وأشرفوا على الهلاك، فتأخذ الحمية أبا الشهداء وينادي صحبه قائلاً: اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً، فسقوا الرجال والأفراس!...<sup>(١)</sup>.

ولو قدر لهم أن ينظروا من وراء ستار الغد، لرأوا طفل الحسين الرضيع تتمزق أحشاؤه من الظماء ومتادي هذا الجيش ينادي: لو كان وجه الأرض كلَّه ماء وهو تحت أيدينا ما سقيناك من قطرة!... .

(١) الطبرى: ٦٠٣ / ٤.

هذه صفات المسلمين، وتلك صفات الفاسقين، وكفى بقوم فسقاً أن يكون أميرهم يزيد وأبو يزيد . . .

يحدث بعض من كان في هذا الجيش فيقول: كنت مع الحر بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الرواية، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: اخنث السقاء، أي اعطفه، فلم أدرِ كيف أفعل، فقام الحسين فخنثه وشربت وسقيت فرسي . . .

ويحين وقت الصلاة فيصل إلى الحسين بأصحابه، ويأتهم الحر ومن معه بصلة الحسين عليه السلام، وتلك إشارة عن نفسية الناس فقد كانوا يرون الحسين إمام حقٍّ غير أنهم يقاتلونه طمعاً أو فزعاً . . .

ويحاور الحسين الحر ويتفقان بعد طول جدال على أن يسير الحسين طريقة وسطاً لا يدخله الكوفة، ويسايره في الطريق . . . وكان الحر في قراره نفسه محبًا للحسين عليه السلام عارفاً بحقه، لذا فيما كان يسايره في بعض الطريق قال له: إني أذكرك الله في نفسك، فإنيأشهد لئن قاتلت لتقتلن . . .

**فيجيئه الحسين إجابة الواثق من أمر ربه:**

أقبالموت تخوْفني!، ما أدرى ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول

الله ﷺ، فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال:  
 سأمضي وما بالموت عازٌ على الفتى  
 إذا ما نوى حَقًا وجاهد مسلما  
 وواسى رجالاً صالحين بنفسه  
 وخالف مثبوراً وفارق مجرماً  
 فإن عشت لم أندم وإن مِتْ لم ألم  
 كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً<sup>(١)</sup>  
 وأمن القدر على كلام الحسين ظل الله، فما هي إلا أيام  
 قلائل حتى كانت واقعة الطف... .

ويخطب الحسين ظل الله أنصاره وجيش الحر فيقول:

«... أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده لله، مخالفًا لسنة رسول الله، يَعْمَلُ في عباد الله بالإثم والعدوان، فَلَمْ يُغَيِّرْهُ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًا عَلَى الله أَن يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ»؛ ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفنيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير، قد أتشني كُثُرُكم وقدِمت على رسُلَّكم بِيَنْعِتِكم، أَنْتُمْ لَا تُسْلِمُونِي وَلَا تَخْذِلُونِي،

(١) المصدر نفسه.

فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَى بَيْعَتِكُمْ ثَصِيبُوا رُشَدَكُمْ، فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلَيْ،  
وَابْنُ فَاطِمَةَ بْنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَفْسِي مَعَ أَنفُسِكُمْ، وَأَهْلِي  
مَعَ أَهْلِنِيكُمْ، فَلَكُمْ فِي أُسْوَةٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقْضُتُمْ عَهْدَكُمْ  
وَخَلَقْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَغْنَاقِكُمْ، فَلَعْنَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ  
فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ، وَالْمَغْرُورُ مَنْ أَغْتَرْتُكُمْ،  
فَحَظَّكُمْ أَخْطَاطُهُمْ، وَنَصِيبُكُمْ ضَيْعَتُمْ، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى  
نَفْسِهِ، وَسَيْغُنِي اللَّهُ عَنْكُمْ . . .

إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ  
وَنَكَرَتْ وَأَدْبَرَ مَغْرُوفُهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةً كَصُبَابَةِ<sup>(١)</sup> الْإِنَاءِ،  
وَخَسِيسَ عَبْشَ كَالْمَرْعَى الرَّبِيلِ . أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَعْمَلُ بِهِ،  
وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَسْتَاهِي عَنْهَا، لِيَرْزَغَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحْقَقاً،  
فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا شَهَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
بِرَمَّاً<sup>(٢)</sup>.

نرى الحسين عليه السلام في هذه الخطبة يعرض سبب خروجه  
وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبقاً لأوامر رسول الله  
المصطفى صلوات الله عليه وسلم، ويدعو أهل الكوفة إلى الوفاء ببيعتهم . . .  
ولما لم ير منهم مجيئاً أعلن رأيه: الشهادة . . . فالحياة لم يبق

(١) الصُّبَابَةُ: البقية.

(٢) تاريخ الطبرى: ٦٠٥ / ٤.

منها إلى صباة كصباة الإناء، وما موت بالذى يورث رضوان الله وجناناً عرضها السماوات والأرض . . .

ويتابع الحسين سيره، ويفد إليه أفراد من أهل الكوفة يبنثونه عمّا ينتظره: أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم<sup>(١)</sup>، يُستمال ودهم ويُستخلص به نصيحتهم فهم إلّا واحدٌ عليك، وأمّا سائر الناس بعد، فإنّ أفضتهم تهوي إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك . . .

أمّا رسول الحسين إليهم قيس بن مسهر الصيداوي، فأخبروه أنه أخذ فأتي به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعن الحسين وأباه فصلّى عليه وعلى أبيه، ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرة ابن رسول الله وأخبرهم بقدومه، فقتلوه . . . فلم يملك الحسين دمعته أن تسيل وقال:

﴿فَيَنْهُم مَنْ نَحْنُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْظَرُ وَمَا بَدَأُوا تَبْدِيلًا﴾، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقرٍ من رحمتك، وغرائب مذخور ثوابك<sup>(٢)</sup>.

وتتابع القافلة المسير، وفيما هم كذلك إذ خفق الحسين برأسه خفقة وران الكري على أجفانه، ثم ما لبث أن انتبه وهو يقول: إنا لله وإننا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، ويكتز

(١) غرائرهم: أكياسهم، والمراد ملأوا أكياسهم مالاً.

(٢) تاريخ الطبرى: ٤/٦٧.

ذلك، فتوجّه نحوه علي بن الحسين، ابنه يسائله ويقول: يا أبّت، جعلت فداك، ممّ حمدت الله واسترجعت؟

ويجيبه الحسين: يا بنّي إني خفقت برأسِي خفقة، فعنّ لي فارسُ على فرسٍ فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعمت إلينا.

فيندفع على بقية الإيمان مسائلاً: يا أبّت لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟

وما أصدق قول الشاعر حين يقول:

وكم سائل عن أمره وهو عالم . . .

ويقول الحسين عليه السلام: بلى والذى إليه مرجع العباد.

عند ذلك يقول علي: يا أبّت، إذا لا نبالي نموت محقين . . .

ويسرّ أبو عبد الله أيما سرور بجواب نجله فيرفع كفيه بالدعاء هاتفاً: جزاك الله من ولدِ خير ما جزى ولداً عن والده . . .<sup>(١)</sup>.

ويصبح الصّباح فيصلّي الحسين الغداة، ويُسیر بأصحابه ويسايره الحزّ حتى يصلون إلى نينوى . وهي كربلاء .، وفيما هم كذلك إذا بشّح يلوح لهم من بعيد، ويتبئّنون ويُمْعنون النظر، فإذا هو راكب على فرسٍ وعليه السلاح مقبلٌ من ناحية الكوفة . . .، وينتظرون الرجل فيقدم ويحيطى الحزّ ولا يحيطى

(١) المصدر: ٦٠٩/٤.

الحسين، ويبلغه أوامر ابن زياد في كتاب بعثه إليه: «أما بعد، فجتمع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإتفاذه أمرى»، ويضطر الحسين إلى النزول في هذه المكان، ويحولون بينه وبين الماء متناسين سقياه لهم منذ أيام معدودة وقد كادوا يتلفون عطشاً...».

ويتوجه زهير بن القين إلى الحسين عليه السلام قائلاً: يا ابن رسول الله، إن قتال هؤلاء القوم أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به...».

فيرفض الحسين ذلك قائلاً: ما كنت لأبدأهم بقتال...»<sup>(١)</sup>.

وفي الكوفة في قصر الإمارة، كان هناك حوارٌ من نوع آخر، بين عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وكنا قد رأينا مدى تكالب عمر هذا على رضا الأمير، وتحمله الشتيمة والإهانة منه...، وكان ابن زياد قد ولأه على ناحية الرّي وأمره بالتوجه نحوها، غير أنه دعاه قبل خروجه قائلاً له: سر إلى الحسين، فإذا فرغت مما بيننا وبينه سرت إلى عملك.

ويتحرج ابن سعد من قتل الحسين، فيتوسل إلى الأمير قائلاً: إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل...».

(١) تاريخ الطبرى: ٦١٠ / ٤

ذلك، فتوجّه نحوه علي بن الحسين، ابنه يسائله ويقول: يا أبت،  
جُعلت فداك، مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟

ويجيبه الحسين: يا بنئي إني خفت برأسني خفقة، فعنّ لي  
فارس على فرس فقال: القوم يسرون والمنايا تسرى إليهم،  
تعلمت أنّها أنفسنا نعى إلينا.

فيندفع علي بقوة الإيمان مسائلاً: يا أبت لا أراك الله سوءاً  
ألسنا على الحق؟

وما أصدق قول الشاعر حين يقول:  
وكم سائل عن أمره وهو عالم . . .

ويقول الحسين عليه السلام: بلى والذي إليه مرجع العباد.

عند ذلك يقول علي: يا أبت، إذا لا نبالي نموت محقين . .

ويسر أبو عبد الله أيما سرور بجواب نجله فيرفع كفيه بالذعاء  
هاتفاً: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدأ عن والده . . .<sup>(١)</sup>.

ويصبح الصّباح فيصلّي الحسين الغداة، ويسير بأصحابه  
ويسايره الحز حتى يصلون إلى نينوى . وهي كربلاء .، وفيما هم  
كذلك إذا بشّح يلوح لهم من بعيد، ويتبينون ويُمعنون النظر،  
فإذا هو راكب على فرس وعليه السلاح مقبلٌ من ناحية  
الكوفة . . ، وينتظرون الرجل فيقدم ويحيي الحز ولا يحيي

(١) المصدر: ٦٠٩/٤.

الحسين، ويبلغه أوامر ابن زياد في كتاب بعثه إليه: «أَمّا بعد، فجتمع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري»، ويضطرّ الحسين إلى النزول في هذه المكان، ويحولون بينه وبين الماء متناسين سقياه لهم منذ أيام معدودة وقد كادوا يتلفون عطشاً...».

ويتوجه زهير بن القين إلى الحسين عليه السلام قائلاً: يا ابن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء القوم أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به...».

فيرفض الحسين ذلك قائلاً: ما كنت لأبدأهم بقتال...»<sup>(١)</sup>.

وفي الكوفة في قصر الإمارة، كان هناك حوارٌ من نوع آخر، بين عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وكذا قد رأينا مدى تكالب عمر هذا على رضا الأمير، وتحمله الشتيمة والإهانة منه...، وكان ابن زياد قد ولأه على ناحية الرّي وأمره بالتوجه نحوها، غير أنه دعاه قبل خروجه قائلاً له: سر إلى الحسين، فإذا فرغت مما بيننا وبينه سرت إلى عملك.

ويتحرّج ابن سعد من قتل الحسين، فيتوسل إلى الأمير قائلاً: إنّ رأيت رحمك الله أن تعفني فافعل...».

(١) تاريخ الطبرى: ٤/٦١٠.

ويلحظ ابن زياد نقطة الضعف لدى عمر بن سعد فيقول له:  
نعم، على أن تردد علينا عهداً . . .

وتأخذ الكلمة من ابن سعد مأخذًا عظيمًا، وتراءى له أموال الرزق  
وخيراته، تناديه وتحثه إليها، فيقول هلعاً: أمهلني حتى أنظر . . .

وتعترك الجنة والثار في صدر عمر بن سعد، يحاول أن يجد  
مخرجاً يجمع بينهما فلا يستطيع، ويعلم بأمره أحد أرحامه  
فيناشه قائلًا: أنسدك الله، أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك  
وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان  
الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم  
الحسين . . .

ويجئ الليل على ابن سعد، وهو بعد في حيرته، ولما مضى  
هزيع من الليل سمع ينشد أبياتاً ويرددها:  
فوالله ما أدرى وائي لحائر  
أفكّر في أمري على خطرينِ  
أترك ملك الرئي والرئي مني  
أم ارجع مائوماً بقتل حسين  
وفي قتله الناز التي ليس دونها  
حجاج وملك الرئي قرة عيني<sup>(١)</sup>

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥٥٦/٢، أبو الشهداء، العقاد: ٨٠.

ويصبح الصُّبَاحُ ويتوَجَّهُ نحو ابن زِيَادَ قائلًا: إِنَّكَ وَلَيْتَنِي هَذَا  
الْعَمَلُ، وَكَتَبْتَ لِي الْعَهْدَ، وَسَمِعَ بِهِ النَّاسُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْفَذَ  
لِي ذَلِكَ فَافْعُلْ، وَابْعَثْ إِلَى الْحَسَينِ فِي هَذَا الْجَيْشِ مِنْ أَشْرَافِ  
الْكُوفَةِ مَنْ لَسْتَ بِأَغْنِيٍّ وَلَا أَجْزَأُ عَنْكَ فِي الْحَرْبِ مِنْهُ، وَسُمِّيَ لَهُ  
أَنَّاسًا . . .

وَيَجْبَهُهُ ابن زِيَادَ بِشَدَّةٍ قائلًا: لَسْتَ أَسْتَأْمِرُكَ فِيمَا أَرِيدُ أَنْ  
أَبْعَثَ، إِنْ سَرْتَ بِجَنْدِنَا، وَإِلَّا فَابْعَثْ إِلَيْنَا عَهْدَنَا . . .

وَيَغْلِبُ الطَّمْعُ عَلَى قَلْبِهِ وَيَقُولُ وَمِلْكُ الرَّيْ نَصْبُ عَيْنِيهِ: إِنِّي  
سَائِرٌ<sup>(١)</sup> . . .

وَيَسِيرُ ابن سَعْدُ بِالْجَيْشِ، وَيَضْسِمُ إِلَيْهِ الْآلَافَ مَتَوَجِّهًًا نحو  
خِيَامِ الْحَسَينِ فِي كَرْبَلَاءِ . . .

وَوَلَّهُ دُرُّ الشَّاعِرِ إِذْ يَقُولُ:

قادوا إِلَيْكَ الْمَضْمُرَاتِ كَائِنَهُمْ  
يَغْزُونَ كَسْرَى وَيَلْهُمْ أَوْ قَيْصَراً  
يَا عَظِيمُ مَا نَالَتْهُ مِنْكَ مَعَاشَرُ  
سُحْقًا لَهُمْ بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ مَعْشَرًا

\* \* \*

وَيَأْمُرُ ابن زِيَادَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ بِتَنْفِيذِ السُّنْنِ الْأُمُوَّةِ الْوَاجِبَةِ فِي

(١) الطَّبَرِيُّ: ٦١١ / ٤

مثل هذه الحالات، فيأمره أن يحول بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فيبعث ابن سعد قائداً من قواده هو عمرو بن الحاج على خمسمئة فارس، فينزلون على الفرات ليحولوا بين الحسين و أصحابه وعياله وبين الماء، وينادي أحدهم: ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً...

ويتأثر سبط النبي فيرفع كفيه نحو السماء قائلاً: اللهم اقتله عطشاً... ويحدث الطبرى عن حميد بن مسلم يقول: والله لقد عدته في مرضه. أي هذا المنادي.. فوالله الذي لا إله إلا هو، لقد رأيته شرب حتى بغر<sup>(١)</sup>، يقيء ثم يعود فيشرب حتى يغير فيما يروى، مما زال هذا دأبه حتى لفظ نفسه<sup>(٢)</sup>...

\* \* \*

ويدرك الحسين أنَّ الماء ليس له إلا شقيقه أبو الفضل العباس، فيرسله بهذه المهمة، ويتنفس العباس وتجري في عروقه دماء أمير المؤمنين، ويصطحب معه مجموعة من الفرسان والرجال، ويحملون نحو الفرات ويكشفون فرسان ابن سعد الخمسين، ولا غرو فتلك شجاعة حيدر في شبله العباس...

ويعود المنهزمون ليمنعواهم من العودة بقرب الماء إلى المخيم، فيحمل عليهم العباس ونافع بن هلال الجمري أحد

(١) بغر: شرب بلا رئي.

(٢) الطبرى: ٦١٣ / ٤.

أصحاب الحسين عليه السلام، فيكشفوهم ويعودوا ظافرين  
بالماء...<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وفي الكوفة كان عبد الله بن أبي المحل أحد أنصار ابن زياد وأعوانه، وكانت أم البنين والدة العباس عمّته، فيسعى لدى أميره ابن زياد، قائلاً: أصلح الله الأميراً، إنّ بني اختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهمأماناً فعلت، ويجيئه ابن زياد: نعم، ونعمـة عـينـةـ. ويـأـمـرـ كـاتـبـهـ فـيـكـتـبـ لـهـمـ أـمـانـاـ، وـيـبـعـثـ بـهـ اـبـنـ أـبـيـ المـحـلـ إـلـىـ كـرـبـلـاءـ حـيـثـ الـحـسـيـنـ وـأـصـحـابـهـ...ـ.

ويـنـادـيـ حـامـلـ الـأـمـانـ الـعـبـاسـ وـاخـوتـهـ قـائـلاـ: هـذـاـ أـمـانـ بـعـثـ بـهـ خـالـكـمـ؛ وـيـتـجـلـيـ إـيمـانـ الـعـبـاسـ وـاخـوتـهـ مـنـ أـمـهـ، فـيـهـتـفـونـ بـحـامـلـ الـأـمـانـ هـذـاـ قـائـلـيـنـ: أـقـرـىـءـ خـالـنـاـ السـلـامـ، وـقـلـ لـهـ: لـاـ حـاجـةـ لـنـاـ فـيـ أـمـانـكـمـ، أـمـانـ اللـهـ خـيـرـ مـنـ أـمـانـ اـبـنـ سـمـيـةـ...ـ<sup>(٢)</sup>.

وـتـرـتـسـمـ عـلـىـ وـجـوـهـ الـأـعـدـاءـ مـعـالـمـ الـذـهـشـةـ وـالـذـهـولـ، فـمـاـ عـهـدـواـ أـنـاسـاـ يـطـلـبـونـ الـمـوـتـ وـالـشـهـادـةـ وـقـدـ عـرـضـتـ عـلـيـهـمـ الـحـيـاةـ وـالـأـمـانـ...ـ لـكـنـ أـيـ أـمـانـ هـذـاـ الـذـيـ عـرـضـ عـلـيـهـمـ، وـهـلـ خـرـجـواـ مـنـ مـدـيـنـةـ رـسـوـلـ اللـهـ لـطـلـبـ السـلـامـ وـالـذـعـةـ، أـمـ خـرـجـواـ مـعـ عـمـيـدـهـمـ الـحـسـيـنـ لـإـحـقـاقـ الـحـقـ وـازـهـاقـ الـبـاطـلـ...ـ.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الطبرى: ٤/٦١٦، ومقتل الحسين للمقرئ: ٢٠٩.

نعم يجلجل صوت العباس هادراً: لا حاجة لنا في  
أمانكم... ولا حاجة لنا في دنياكم المشوبة بالذلة والمهانة، ولا  
أموالكم التي تنتزعنها من أفواه الأرامل واليتامى والضعفاء...  
ولن نفارق أبا عبد الله حتى نفد معاً على الرسول المصطفى  
في جنات الخلد، وأكرم بها مستقرًا وما با... .

ولله درُّ الشاعر إذ يقول كأنه يتزع عن لسان العباس:

**هَيْهَاتْ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا أَفَارِقُهُ**

**خَشِّي أَجِيءَ غَدَّاً فِي زُمْرَةِ الشَّهَادَةِ**  
**فَالْيَوْمَ أَخْمَدُ خَلَاقِي وَأَشْكُرُهُ**

**شُكْرًا بِهِ أَسْتَرِيزُ الْفَضْلَ وَالْمَذَادَا**

**أَصْبَحْتُ أَزْجُو بِسَغِيْيِي فِي خَلَاقِكُمْ**

**مَعِيشَةً رَغَدَّاً عِنْدَ التَّبَّيِّنِ غَدَا**

**هَيْهَاتْ تَغْتَادُنِي الْأَطْمَاعُ مِثْلَكُمْ**

**هَيْهَاتِ، إِنِّي قَدْ آتَيْتُ نَارَ هَذِي**

**إِنَّ الْخُسْنَ إِمَامُ الْحَقِّ مَثَبُعُ**

**طَرِيقِهِ لَشَّتْ أَقْفُو دَوَنِهِ أَحَدَا**

**وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ رُؤْجِي دُونَهُ تَلِفَتْ**

**مَا جَلَّتْ غَثَّهُ وَلَا فَارَقَتْهُ أَبَدًا**

\* \* \*

وتتوالى عروض الأمان على العباس، كأنَّ القوم لم يخبروا بعد معدنه الذي هو معدن أمير المؤمنين، وشيمه التي تنسج على منوال رسول الله . . .

فيقوم شمر بن ذي الجوشن، وهو كلابيُّ، وأم البنين والدة العباس وإخوته من نفس القبيلة، فينادي: أين بنو أختنا؟ أين العباسُ وإخوته؟ . . .

ويرين الحباء على أشبال علي عليه السلام، ويأنفون أن ينتسب رجل من أشباه الشمر وأضرابه إلى أسرة تنتمي والدتهم إليها . . .، ويردد الشمر صياحه دونما مجيب، حينها يلتفت أبو عبد الله الحسين إلى العباس واخوته قائلاً: أجيبيوه، ولو كان فاسقاً . . . فقام إليه العباس واخوته، قائلين: مالك وما تريد؟ فأجابهم: أنتم يا بني أختنا آمنون.

فيرد العباس واخوته هذا الأمان بشدة تليق بصاحب الرجس شمر، إذ يقولون: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له . . .<sup>(١)</sup>.

ظنَّ الجلف الجافي أنَّ العباس وإخوته يُستهون بالأمان، ويحبّون عيشة الرغد تحت لواء الكفر والذلة والمهانة، لكن خاب ظنه، وفشل سعيه، وممضى يحرق الأرْمَ تغيفاً، ويجر ذيول الخيبة والهوان . . .

---

(١) الطبرى: ٤/٦١٦، ومقتل الحسين للمقرئ: ٢٠٩.

وتأتي أوامر ابن زياد بالزحف نحو خيام الحسين عليه السلام  
عصر التاسع من محرم، ويُجلب القوم، ويتعالى صراخهم  
وصهيل خيولهم، ويجيل الحسين عليه السلام طرفه في القوم،  
ويتندب العباس للقائهم، يستعلم شأنهم ويأتيه بخبرهم قائلاً: يا  
عباس، اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم ما  
لكم؟، وما بدا لكم، وتسألهما عما جاء بهم؟ . . .

فانطلق العباس ينهب جواده الأرض نهباً حتى وقف عليهم  
 قائلاً: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟

فأجابوه: جاءنا أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على  
حكمه أو ننزالكم.

ويجيبهم العباس: لا تعجلوا، حتى أرجع إلى أبي عبد الله  
فأعرض عليه ما ذكرتم . . .، وينصرف العباس نحو  
الحسين عليه السلام فيقول له أبو الشهداء: ارجع إليهم، فإن استطعت  
أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلّي لربنا  
وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة  
كتابه، وكثرة الدّعاء والإستغفار . . .

ويعود العباس إلى القوم، فيحار ابن سعد في أمره، ويخشى  
أن يرى رأياً يضرّ بحظوظه عند سيده ابن زياد، فلا يجرؤ على  
الجواب ولا يقطع الرأي، عند ذلك يزجره أحد قادة جيشه  
 قائلاً: سبحان الله!، والله لو كانوا من الدليل ثم سألوك هذه

المترلة لكان ينبغي لك أن تجبيهم إليها... .

فوافق على تأخير القتال إلى الصباح<sup>(١)</sup>.

وانتظر جيش الأمويين الضبع ليغير على آل الرسول،  
ويسلب نساء آل بيت محمد، ويذبح رضعائهم... .

\* \* \*

ويجمع الحسين عليه السلام أصحابه وأهل بيته في تلك العشية  
ويعلمهم ما هو ماضٍ عليه، وما هم صائرون إليه فيقول: «أنا  
بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل  
بيت أبرٌ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً،  
الا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنت  
لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم مثي ذمام، هذا الليل  
قد غشّيكم فاتّخذوه جملًا، ثمّ ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ  
من أهل بيتي... ، فإنّ القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا  
عن طلب غيري... ». .

فيقوم آل البيت وأشبال علي وفي طليعتهم العباس، يقولون:  
لم نفعل؟، لنبقى بعده!، لا أرانا الله ذلك... . ويقوم  
الأصحاب والأنصار يقولون المقالة نفسها... .

ويهتف زهير بن القين: والله لو ددت أني قتلت ثم نشرت،

(١) راجع الطبرى: ٤/٦١٨، وابن الأثير: ٢/٥٥٨، وكتب المقاتل.

وتأتي أوامر ابن زياد بالزحف نحو خيام الحسين عليه السلام  
عصر التاسع من محرم، ويُجلب القوم، ويتعالى صراخهم  
وصهيل خيولهم، ويحيل الحسين عليه السلام طرفه في القوم،  
ويُنتدب العباس للقائهم، يستعلم شأنهم ويأتيه بخبرهم قائلاً: يا  
عباس، اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم ما  
لكم؟، وما بدا لكم، وتسألهما عما جاء بهم؟ . . .

فانطلق العباس ينهب جواهه الأرض نهباً حتى وقف عليهم  
قائلاً: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟

فأجابوه: جاءنا أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على  
حكمه أو ننزالكم.

ويجيبهم العباس: لا تعجلوا، حتى أرجع إلى أبي عبد الله  
فأعرض عليه ما ذكرتم . . .، وينصرف العباس نحو  
الحسين عليه السلام فيقول له أبو الشهداء: ارجع إليهم، فإن استطعت  
أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلّي لربنا  
وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة  
كتابه، وكثرة الدّعاء والإستغفار . . .

ويعود العباس إلى القوم، فيحار ابن سعد في أمره، ويخشى  
أن يرى رأياً يضر بحظوظه عند سيده ابن زياد، فلا يجرؤ على  
الجواب ولا يقطع الرأي، عند ذلك يزجره أحد قادة جيشه  
قائلاً: سبحان الله!، والله لو كانوا من الدليل ثم سألك هذه

المنزلة لكان ينبغي لك أن تجิئهم إليها . . .

فوافق على تأخير القتال إلى الصباح<sup>(١)</sup>.

وانتظر جيش الأمويين الصبح ليغير على آل الرسول،  
ويسلب نساء آل بيت محمد، ويذبح رضعائهم . . .

\* \* \*

ويجمع الحسين عليهما السلام أصحابه وأهل بيته في تلك العشية  
ويعلمهم ما هو ماضٍ عليه، وما هم صائرون إليه فيقول: «أما  
بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل  
بيت أبرٌ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً،  
ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنت  
لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم مثي ذمام، هذا الليل  
قد غشيكم فاتّخذوه جملًا، ثمّ ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ  
من أهل بيتي . . . ، فإنّ القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لهوا  
عن طلب غيري . . . ».

فيقوم آل البيت وأشبال علي وفي طليعتهم العباس، يقولون:  
لم نفعل؟، لنبقى بعده!، لا أرانا الله ذلك . . . ويقوم  
الأصحاب والأنصار يقولون المقالة نفسها . . .

ويهتف زهير بن القين: والله لو ددت أنني قتلت ثم نشرت،

(١) راجع الطبرى: ٦١٨/٤، وابن الأثير: ٥٥٨/٢، وكتب المقاتل.

ثم قلت حتى أقتل ألف قتلة، وأنَّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسه... وكان الذي بدأ بهذه المقالات . على حد تعبير الطبرى . العباس بن علي عليه السلام<sup>(١)</sup> .

نعم إنها شيم الوفاء وصلابة الإيمان، وشجاعة علي عليه السلام تجري في عروق العباس... ، يرى أنه إنما ينصر دين المصطفى حين ينصر أخيه، وما الشهادة عنده سوى سعادة الدنيا والآخرة... .

ويدعو لهم أبو عبد الله بالخير... .

بعدها، يدخل الحسين خباءه، يصلح سيفه وهو يقول:

بَا دَهْرٍ أَفْ لَكَ مِنْ خَلْبَلٍ  
وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدْلِ  
وَكُلُّ حَيٍ سَالِكٌ سَبِيلٍ  
مَا أَقْرَبُ الْوَعْدَ مِنَ الرَّحْبَلِ  
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلَبِ

فتسمع زينب أخته، فتذهب نحوه وتقول: «وائكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة! ، اليوم ماتت أمي فاطمة وعلى أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي... ». .

فتترفق عين أبي عبد الله بالدموع، ويعزّيها بصوت تخنقه

(١) تاريخ الطبرى: ٦١٩/٤.

العبرة: «يا أختي، اثقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنَّ أهل الأرض يموتون، وأنَّ أهل السَّماء لا يبقون، وأنَّ كلَّ شيء هالك إلَّا وجه الله...، ولني ولكلِّ مسلم برسول الله أسوة...، يا أختي، أقسم عليك فأبُرّي قسمي، لا تشقي على جيبي...»<sup>(١)</sup>.

ويمضي الحسين والعباس والآل والاصحاب هذه الليلة في الصلاة والدعاء، لهم دويٌّ كدويٌّ التَّحل بين راكع وساجد، حتى اتضح عمود الصبح، وأشرقت شمس العاشر من المحرم...



(١) الطبرى: ٤/٤٢٠، ابن الأثير: ٢/٥٦٠.

## يوم الظُّفُر

يصبح الصَّبَاح على الحسين وأصحابه وعياله، بعد ليلة  
قضوها بين راكع وساجد ومتعبِّد، ويصلِّي الحسين بأصحابه...  
كانت تلك آخر ليلة تقضيها نساء آل محمد في حماية  
أهلهنَّ، أما الليلالي القادمة فللأقدار فيها حكم آخر...

بعد الصلاة، يعبئ الحسين عليه السلام أصحابه للحرب، وكان  
معه على أغلب الروايات اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً<sup>(١)</sup>،  
ويجعل على الميمنة زهير بن القين، وعلى ميسرة الجيش حبيب  
بن مظاهر الأنصاري، ويعطي الرأية لأبي الفضل العباس، ومعلوم  
أنَّ الرأية عماد العسكر، وحينما تسقط الرأية فهو إيدان بالهزيمة،  
لذا ما كانت تُعطى إلَّا لأشجع أهل العسكر...

ـ لا ريب أنَّ العباس حينما هزَّ الرأية تذَكَّر راية رسول الله التي  
طالما حملها أبوه عليٌّ، وطالما جلى الْكُرُب عن وجه الرسول  
والرأية ترفرف بيمنيه، تذَكَّر راية عليٍّ التي ما سقطت قط، وما  
عاد بها إلَّا وأنباء الظَّفَر تتقَدَّمه..

ـ ومن أجدَر من عليٍّ عليه السلام لحمل راية الرسول صلوات الله عليه،

(١) الطبرى: ٦٢١/٤.

وهو الذي أنسى بشجاعته ذكر الأولين والآخرين...، وحين هزم جيش رسول الله إلى خيبر مرّة تلو الأخرى ما كان أحد أجرد بالرأي من علي عليهما السلام، والرواية يرويها الطبراني يقول:

لما كان حين نزل رسول الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطى رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجتبه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله ﷺ : لاعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينه، وأعطاه اللواء فلقي أهل خيبر...، وباز فارسهم مرحباً فضربه به على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تناه الناس مع علي عليهما السلام حتى فتح الله له ولهم...<sup>(١)</sup>.

هذه من علاه إحدى المعاشر

وعلى هذه فقس ما سواها

نعم، طيف عليٌّ وهو يطوف برأية رسول الله لا بد وأن يكون مرّ ببال نجله العباس وهو يثبت رأية سبط رسول الله... .

ويأمر الحسين عليهما السلام بخطب وقصب جعلوه خلف البيوت

(١) تاريخ الطبراني: ٤٩٢/٢.

في منخفض، وأشعلوا فيه النار، وجعلوه كالخندق حتى لا يؤتوا من ورائهم . . .

ويستبشر صحب الحسين وأله بالقتال، حتى روى أنّ برير بن خضير الهمданى وهو على تعبير المؤرخين كان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القراء في جامع الكوفة وله في الهمدانيين شرف وقدر، برير هذا كان يمازح أحد أصحاب الحسين صبيحة يوم عاشوراء، ويهازله، فقال له ذلك الرجل: دعنا، فوالله ما هذه ساعة باطل، ويجيبه برير: والله لقد علم قومي أتى ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله إني مستبشر بما نحن لاقون، والله إنّ بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم . . .<sup>(١)</sup>.

ويقبل شمر بن ذي الجوشن وهو من كبار قادة ابن زياد، فيدور حول الخيام ويرى الحطب والنار التي أشعلها أصحاب الحسين من خلفهم كي يقاتلوها من جهة واحدة، فینادي بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيمة! . . .

فيتوّجه مسلم بن عوسجة إلى الحسين عليه السلام قائلاً: يا بن رسول الله، جعلت فداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنني وليس يسقط مثي سهم، فالفاقد من أعظم الجبارين.

(١) الطبرى: ٦٢٢/٤.

ويجيئه سبط رسول الله قائلاً: لا ترمي، فإني أكره أن  
أبدأهم<sup>(١)</sup>.

ويخرج الحسين عليه السلام نحو القوم يعظهم ويخطب فيهم  
فيقول:

«أيها الناس؛ إسمعوا قولي، ولا تُعجلوني حتى أعظكم بما  
لحق لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم  
عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتني الثصف، كتم بذلك أسعد،  
ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تُعطوا  
الثصف من أنفسكم ﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرِكَاهُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَيْنَكُثُرٌ  
غُمَّةٌ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْهِ وَلَا نُنْظِرُونَ﴾؛ ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ  
وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾»

وحين تسمع نساء آل بيت الرسول كلام الحسين، تعالى من  
الأخيبة أصوات البكاء والتحبيب، فينادي ابن بنت الرسول، أخيه  
العباس وولده علياً الأكبر ويقول لهما وكأنه ينظر خلف ستار  
الأيام: أسكناهن، فلعمري ليكثرن بكاؤهن.

ولما هدأت الأصوات، تابع أبو عبد الله كلامه:

«أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم  
وعاتبوا، فانظروا؛ هل يحل لكم قتلي وانتهاء حرمتى؟ ألسن ابن

(١) الطبرى: ٦٢٣ / ٤.

نبِّيُّكُمْ ﷺ وابن وصيئه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربّه! أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي! أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمّي! أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي وَلَاخِي: «هَذَا سَيِّدَا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»!، فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ . وَهُوَ الْحَقُّ . فَوَاللَّهِ مَا تَعْمَدْتُ كَذِبًا مَذْعُولًا إِنَّمَا مَذْعُولًا مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَيُضَرِّ بِهِ مَنْ اخْتَلَقَهُ؛ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيهِمْ مِنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرْتُكُمْ؛ سُلُوا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ، أَوْ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ، أَوْ سَهْلَ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيَّ، أَوْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، أَوْ أَنْسَ بْنَ مَالِكَ؛ يَخْبِرُونَكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْ وَلَاخِي . أَفَمَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي! . . .

فإن كنتم في شك من هذا القول افتسلون أثراً ما أني ابن  
بنت نبيكم!، فوالله ما بين المشرق والمغارب ابن بنت نبى  
غىرى منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة.  
أخبروني، أتطلبونى بقتيل منكم قتله، أو مال لكم استهلكته،  
أو بقصاص من جراحته؟. فأخذوا لا يكلمونه؛ فنادى: يا  
شيث بن ريعي، ويا حبّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث،  
ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتسبوا إلى أن قد أينعت الثمار،  
واخضر الجناب، وطمّت الجمام، وإنما تقدم على جند لك  
مُجنّد، فأقبل! قالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله! بلى  
والله، لقد فعلتم، ثم قال: أيها الناس، إن كرهتموني فدعوني

أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض؛ فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكمبني عَمْكَ، فإنهن لن يُرُوك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه؟، فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد، عباد الله إني عذت بربني وربكم أن ترجمون أعود برببي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب...»<sup>(١)</sup>.

ويخطب الحسين بعدها ثانية، كما يخطب بعض أصحابه دون جدوى، وممّن خطب زهير بن القين، خرج على فرس له ذنب<sup>(٢)</sup>، شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نزار لكم من عذاب الله نزار! إن حقًا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذريّة نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منها إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليس ملآن<sup>(٣)</sup> أعينكم، ويقطّعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلاً بكم، ويرفعائكم على

(١) الطبرى: ٦٢٥ / ٤.

(٢) الذنب: الوافر الذنب.

(٣) سمل العين: فقاما بحديدة وغير ذلك.

جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وفراهم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانىء بن عروة وأشيهاته؛ فسبوه، وأنثوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وب أصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنتصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلواهم؛ فلعمري إن يزيد ليرضي من طاعتك بدون قتل الحسين؛ فرمى شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أسكط الله نأمتك<sup>(١)</sup>، أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم<sup>(٢)</sup> من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيمة والعذاب الأليم؛ فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال: أفي الموت تخوفني! فوالله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم؛ ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله، لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشيهاته، فوالله لا تزال شفاعة محمد ﷺ<sup>(٣)</sup> قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم ذب<sup>(٤)</sup> عن حريمهم، فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد

(١) نام: أن وصوت. والنامة: المرة من نام.

(٢) قوله «تحكم من كتاب الله آيتين» أي تحفظ وتدرك.

(٣) ذب عن حريمهم: دافع وحامى.

الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح  
لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع  
النصح والإبلاغ..<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

وفي الجانب الآخر، حيث معسكر ابن سعد، كان الحز بن  
يزيد الرياحي، قائد الجيش الذي جمع بالحسين في هذا المكان،  
كان مطرقاً مفكراً يجول بطرفه بين الألوف المؤلفة من جند ابن  
زياد، وبين جيش آل محمد عليه السلام، ونسائهم وأطفالهم...

كان الحز أحد قادة هذا الجيش الأموي، ومن أشجع فرسان  
الكوفة...، تصرخ في نفسه الجنة والنار، يقارن بين نعيم أيام  
قلائل في عهد ابن زياد، وبين نعيم الجنة الذي لا يزول مع  
محمد صلوات الله عليه وأله...، ويتوجه نحو ابن سعد ويقول له:  
أصلحك الله! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إني والله قتالاً أيسرة  
أن تسقط الرؤوس وتطيع الأيدي؛ قال: أفما لكم في واحدة من  
الخصال التي عرض عليكم رضا؟ قال عمر بن سعد: أما والله لو  
كان الأمر إلي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك؛ فأقبل حتى  
وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يقال له قرعة بن  
قيس، فقال: يا قرعة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا؛ قال:  
أما تريد أن تسقيه؟ ويقول قرعة: فظننت والله أنه يريد أن يتنهّى

(١) الطبرى: ٦٢٥/٤

فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك، فيخاف أن أرفعه عليه؛ فقلت له: لم أُسقه، وأنا منطلق فساقيه؛ قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه؛ قال: فوالله لو أنه أطعنني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين؛ فأخذ يدنو من حُسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس: ما تريدين يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء<sup>(١)</sup>، فقال له: يا بن يزيد، والله إنْ أمرك لمريء، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة رجالاً ما عدوتك، مما هذا الذي أرى منك! قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم... وإنّي قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربِّي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال:

(١) العرواء: رعدة الحمى.

أنا الحُرَّ بن يزيد؛ قال: أنت الحُرَّ كما سُمْتَكْ أُمُّكَ، أنت الحُرَّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة؛ إنزل؛ قال: أنا لك فارساً خيرٌ مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين: فاصنع برحمة الله ما بدا لك.

ثم توجه نحو أهل الكوفة مخاطباً: يا أهل الكوفة، لأمكم الهيل والغَيْر<sup>(١)</sup> إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلَمْتُمُوهُ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع ضرراً، وحَلَّتموه<sup>(٢)</sup> ونساءه وأصيبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرغ فيه خنافس السواد وكلابه،وها هم أولاده قد صرّعهم العطش، بينما خلفتم محمداً في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظمآن إن لم تتوبوا وتذروا مما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه.

فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالثيل؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين<sup>(٣)</sup>.

(١) الهيل: الثكل. يقال: هيلته أمه، دعاء عليه، والغَيْر: سخنة العين.

(٢) حلّتموه عن الماء: طردتموه ومنعتموه إياه.

(٣) الطبرى: ٦٢٧/٤.

وكان قادة عسكر ابن سعد يوقنون بفضل الحسين عليه السلام ووجوب نصرته، وضلال ما هم عليه، ولكن الأطماع قد بلغت منهم مبلغاً، وأخذت منهم كلَّ مأخذ... .

ويروى أنَّ ثabit بن ربيعـ . وهو أحد زعماء الكوفة، وأحد قادة جيش ابن سعد . كان يقول: «لا يعطي الله أهل هذا المـصر خيراً أبداً، ولا يسدهم لرشـد، ألا تعجبون أنـا قاتلنا مع عليـ بن أبي طالب ومع اـنه من بـعده آلـ أبي سـفيان لـخمس سنـين، ثمـ عـدونا علىـ اـنه وهو خـير أـهل الـأـرض نـقاتلـه معـ آلـ مـعاوـية وـابـن سـميـةـ الزـانـيـةـ، ضـلالـ ياـ لكـ منـ ضـلالـ!»<sup>(١)</sup>.

ويحسن ابن سعد أنَّ الأمر قد طـالـ، وقد يؤثـر هـؤـلـاءـ الخطـباءـ فيـ النـاسـ فـيـ خـسـرـ ولاـيـةـ الرـيـ، عندـهاـ رـمىـ بـقوـسـهـ عـسـكـرـ الحـسـينـ عليـهـ السـلامـ وـقـالـ: اـشـهـدـواـ لـيـ عـنـدـ الـأـمـيرـ أـنـيـ أـوـلـ منـ رـمىـ . . . .<sup>(٢)</sup>

وتـتوـالـىـ السـهـامـ عـلـىـ الحـسـينـ وـأـصـحـابـهـ، ثـمـ يـزـحفـ جـيـشـ ابنـ سـعـدـ نـحـوـ خـيـامـ اـبـيـ عـبـدـ اللهـ وـأـصـحـابـهـ. . . .

ويـهـبـ أـصـحـابـ الحـسـينـ مـدـافـعـينـ عـنـ آلـ الرـسـولـ.

يـرـمـقـونـ السـماءـ بـطـرفـ خـفـيـ، وـيـنـتـظـرـونـ سـاعـةـ الشـهـادـةـ، التـيـ هيـ سـاعـةـ لـقاءـ مـحـمـدـ الـمـصـطـفـيـ فـيـ الجـنـانـ. . . .

(١) الطـبـريـ: ٦٣٤/٤.

(٢) الطـبـريـ: ٦٢٧/٤.

ويكثرون القتلى في جيش ابن سعد، ولم لا وهم فرسان مصر، المتمسكون بولائهم يقاتلون عن مبدأ وعقيدة، لا طمعاً ولا رهباً... . ويتساقطون الواحد تلو الآخر، دفاعاً عن المقدسات والمبادئ... .

ويتنافس أصحاب الحسين على طلب الأجر؛ فهذا عباس بن أبي شبيب الشّاكري وكان من أشجع فرسان الكوفة يقول لأحد أصحاب الحسين عليه السلام، ويقال له شوذب: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟

فيقول: ما أصنع!، أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل، قال: ذلك الظنُّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنه لو كان معي السّاعة أحدُ أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدّم بين يدي حتى أحتسبه، فإنَّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلِّ ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب... .<sup>(١)</sup>

ويتبادرُ أصحاب الحسين بالشهادة، ويوصي بعضهم بعضاً بالدفاع عن أبي عبد الله حين الموت، فقد روي أنَّ مسلم بن عوسبة وقد كان من خُلُص أصحاب الحسين عليه السلام استشهد، وأدركه الحسين وحبيب بن مظاهر وبه رمق، فقال له أبو عبد

(١) الطبرى: ٦٤٠ / ٤.

الله: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمَنْ تَحْبَهُ وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُو تَبْدِيلًا﴾، ويلتفت حبيب بن مظاهر إلى مسلم  
وقد كان له صديقاً فيقول: عز على مصرعك يا مسلم، أبشر  
بالجنة، ويحييه مسلم بصوت ضعيف: بشرك الله بخير؛ ثم يقول  
له حبيب: لو لا آتي أعلم أنني في أثرك لاحق بك من ساعتي  
هذه، لأحببت أن توصيني بكل ما أهلك، حتى أحفظك في كل  
ذلك بما أنت أهل له في القربى والدين . . .

ويحييه ابن عوسجة بصوت لا يكاد يبين من الضعف: بل أنا  
أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده إلى الحسين أن تموت  
دونه . . .<sup>(١)</sup>.

ويتفانى الأصحاب في الشهادة بين يدي أبي عبد الله،  
ويرحلون إلى جوار ربهم الواحد تلو الآخر، ويقف الحسين عند  
صارعهم، يؤبنهم، ولا يملك دموعه عند رؤيتهم.

وبرز أربعة من أصحاب الحسين عليه السلام وهم: عمر بن خالد  
الصيداوي، وجابر بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمر بن  
خالد ومجمع بن عبد الله العائذى، وشدوا على جيش ابن سعد  
وتغلوا فيهم يضربون ويطعنون فأحاط بهم الناس، وقطعوهم  
عن بقية أصحاب الحسين . . .

(١) الطبرى: ٦٣٣ / ٤

ويرى العباس ذلك، فيتوجه بمفرده نحوهم ويحمل على الجيش وينقذهم وقد جرحوه بأجمعهم، ثم قاتلوا حتى استشهدوا...<sup>(١)</sup>.

ولم يبق في معسكر أبي الشهداء سوى قلة قليلة من بنيه وإخوته وأآل بيته، يتنافسون في الشهادة بين يديه، وييرز ابنه علي الأكبر هاتفاً:

أنا عليٌّ بن الحسين بن علي  
نحن وربُّ البيت أولى بالنبي  
تالله لا يحكم فيما بينا ابن الداعي

ويقاتل القوم، ثم يعود وقد كظه الظماً يشكو لوالده ما به فيقول: العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلي شربة ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء...

ولا يملك الحسين دموعه فتترقرق على وجنتيه ويقول: إنني أرجو أن لا تمسني حتى يسقيك جذُوك بكأسه الأولى شربة لا تظمنا بعدها أبداً...

ويعود علي إلى ساحة القتال ويذكر الكزة بعد الكزة، حتى يقتل، فيقف الحسين عند مصرعه يقول: قتل الله قوماً قتلوك يابني، ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا...

(١) الطبرى: ٦٤٢/٤.

ويلتفت إلى من بقي من أهله قائلاً: احملوا أخاكم...<sup>(١)</sup>.

ويتوالى الهاشميون، يقاتلون بين يدي الحسين، ومن هؤلاء القاسم بن الحسن، ولترك للراوي سرد مصروعه، يقول:

خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنها يسرى، فقال عمرو بن سعد الأزدي . وكان أحد جلاوزة جيش ابن سعد: والله لأشدّنَّ عليه، فقلت له . والكلام للراوي :-  
سبحان الله! وما تريدين إلى ذلك!، يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتلوهم، فقال: والله، لأشدّنَّ عليه، فشدَّ عليه فما ولَّ حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه، فقال: يا عمَاه!، فجلَّى الحسين كما يجلُّ الصقر، ثم شدَّ شدة ليث غضب، فضرب عمراً بالسيف، فاتقاه بالساعد، فأطئتها<sup>(٢)</sup> من لدن المرفق، فصاح ثم تنحى عنه، وحملت خيل لأهل الكوفة لستنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمراً بصدورها، فحرَّكت حوافرها وجالت الخيل بفرسانها عليه، فوطأته حتى مات، وانجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص<sup>(٣)</sup> برجليه، وحسين يقول: بُعداً لقوم قتلوك، ومن

(١) الطبرى: ٦٤٢/٤، ومقتل الخوارزمي، القسم الثاني: ٣٦.

(٢) أطئتها: قطعها والمراد يده.

(٣) يفحص برجليه: يحركها بسرعة واضطراب.

خصمهم يوم القيامة فيك جدك، ثم قال: عز والله على عُمُك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك!، صوت والله كثُر واتره، وقل ناصره... ثم احتمله فكانني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض، وقد وضع حسين صدره على صدره...، فجاء حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين وقتلى قد قُتلت حوله من أهل بيته<sup>(١)</sup>...

ويتوجه العباس بن علي عليه السلام إلى إخوته من أمه؛ وهم عبد الله وجعفر وعثمان، قائلاً: تقدمو يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ورسوله...، فيقاتلون حتى استشهدوا بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام...<sup>(٢)</sup>.

ويذكر بعض المؤرخين أن العباس قال لإخوته: تقدموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم؛ وهذه الرواية تستحق الوقوف عندها، إذ كيف يرث العباس من إخوته من أمه، وأمه موجودة، ومعلوم أن فقه أهل البيت لا يورث الأخوة مع وجود الوالدة، وقد تസلمت المصادر على وجود أم البنين بعد واقعة الطف ورثائها ابناءها... .

وهل كان العباس يجهل هذا الأمر البديهي، وهو العالم المتعلم على يد علي والحسن والحسين عليهم السلام? ...

(١) تاريخ الطبرى: ٦٤٣/٤، ومقاتل الطالبىن: ٩٢.

(٢) مقاتل الطالبىن: ٨٨، والطبرى: ٦٤٤/٤.

وهل يعقل أن يفكّر العباس بتوريث أبنائه شيئاً من أموال إخواته، وهو في هذه الحالة الحرجة يدافع فيها عن أبي عبد الله؟! . . .

وهل من يجود بنفسه بحرص على توريث أبنائه وهو في هذه الحالة الحرجة؟ . . .

أسئلة تطرح مزيداً من ظلال الشك على هذه الرواية التي ناقشها بعض الباحثين، وحكموا بأنّها رواية موضوعة هدفها النيل من مقام أبي الفضل السّامي . . .

والرواية الأقرب إلى الأحداث ما روي أَنَّه قال: تقدّموا حتّى أراكم قد نصّحتم الله ولرسوله، أو حتّى أحتبسكم كما في مصدر آخر، ونظير هذا ما ذكرناه عن عابس بن أبي شبيب الشّاكري.

على أيّ حال، استشهد أخوه العباس، واستشهد من بقي من أهل بيته الرّسول، واستمرت رحى الحرب الأموية المجنونة تطحن من تبقى منهم . . .

ولله درُّ الشّاعر إذ يقول:

وتنادبت للذب عنه عصبة

ورثوا المعالي أشيباً وشباباً  
منْ ينتدبهم للكريهة ينتدب  
منهم ضراغمة الأسود غضاباً

خفوا الداعي الحرب حين دعاهم  
 ورسوا بعرصه كربلاء هضابا  
 أشد قد أخذوا الضوارم حلبة  
 وتسللوا حلق الدروع ثيابا  
 يتمايلون كائماً غائباً لهم  
 وقع الظبا وسقاهم أكوابا<sup>(١)</sup>  
 وجدوا الردي من دون سبط محمد  
 عذباً ونوراً والحياة عذابا  
 ودعاهم داعي القضاء وكلهم  
 ندب إذا الداعي دعاه أحبابا  
 فهو على عفر التراب وإنما  
 ضموا هناك الخرد الأثرابا  
 ونأوا عن الأعداء وارتحلوا إلى  
 دار الشعيم وجاؤروا الأخبابا  
 ولم يبق سوى أبي الفضل العباس يحمي وحيداً عن شقيقه  
 الحسين عليه السلام، ولواء الجيش يرتفع فوق رأسه . . .

(١) الظبا: حد السيف.

## على شاطئ الفرات

تفانى الصَّحب والآل، ولكنَ اللَّواء، لواء الحسين ظلَّ  
مرفوعاً...، ولم يبق له ناصر ولا معين سوى أخيه أبي الفضل  
العَبَّاس... .

وينفس السبط بأخيه أبي الفضل، فوجوده ولو اؤله دليلٌ على  
أنَّ المعسِّر لم يتقوَّض بعد، وجيش ابن سعد يرعب صولته  
ويحذره لما قد خبروا من شجاعته وبطولته... .

ويتوجه العباس نحو أخيه الحسين عليه السلام مستأذناً بالقتال،  
ويجيبه أبو الشهداء: أخي، أنت حامل لوابي، والبقية من  
عسكري... .

ويطلب الإمام من أخيه أن يطلب للأطفال قليلاً من ماء، فقد  
أحرق الظُّمآن قلوبهم، فيتوجه نحو جيش ابن سعد، يناديهم  
ويقول: يا عمر بن سعد، هذا الحسين ابن بنت رسول الله، قد  
قتلتم أصحابه وأهل بيته، وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى،  
فاسقوهم من الماء، قد أحرق الظُّمآن قلوبهم... . ويأتيه الجواب  
من الشمر: يا ابن أبي تراب، لو كان وجه الأرض كلَّه ماء وهو  
تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة... .

ويعود العباس إلى أخيه يخبره بنبأ القوم، على أنه يسمع الأطفال يتضايقون من العطش، فيعود نحو القوم، مصلتاً سيفه، ومتوجهاً نحو الفرات حاملاً قرية ليملأها بالماء ويرتجز ويقول:

لَا أَرْهَبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ زَقَ  
حَتَّى أَوَارِي فِي الْمَصَالِبِ لَقَا  
نَفْسِي لِسْبَطِ الْمُصْطَفَى الْطَّهْرِ وَقَا  
إِنِّي أَنَا الْعَبَّاسُ أَغْدُو بِالشَّقَا  
وَلَا أَخَافُ الْمَوْتَ يَوْمَ الْمَلَائِكَى

ويتحاشى القوم سيف أبي الفضل بعد أن أمعن في رجالاتهم ضرباً وجراحاً، فيكتمنون له من وراء التخيل، ويضربه أحدهم على يمينه فيقطعها...، فيتناول العباس السيف بشماله، ويهتف قائلاً:

وَاللَّهِ إِنْ قَطَعْتُمْ بِمِينِي  
إِنِّي أَحَمَّيْ أَبْدَأْ عَنْ دِينِي  
وَعَنْ إِمَامِ صَادِقِ الْيَقِينِ  
نَجْلِ الثَّبَّابِ الْطَّاهِرِ الْأَمِينِ

ويكتمنون له من جديد فيقطعون شماله، عند ذلك يستبشر بجنان الخلد مع أبيه، والرسول المصطفى، وحسن أولئك رفيقاً...، ويهتف قائلاً:

بأنفس لا تخشى من الكفار  
وابشرى برحممة الجبار  
مع النبي الشيد المختار  
قد قطعوا ببغبهم يساري  
 فأصلهم يا رب حز النثار

ويتوجه نحوه أحدهم فيضربه بعمود حديد على رأسه فيسقط  
إلى الأرض صريعاً، وهو ينادي: عليك مثي السلام، أخي أبي  
عبد الله...<sup>(١)</sup>.

ويتوجه السبط إلى أخيه، فيراه بتلك الحالة...

ويصور الشاعر موقف أبي عبد الله فيقول:  
وَهُوَ عَلَيْهِ مَا هَنَالِكَ قَائِلاً:

اليوم بان عن اليمين خسأها  
اليوم سار عن الكتائب كبسها  
اليوم بان عن الهداة إمامها  
اليوم آل إلى التفرق جمغنا  
اليوم حل عن البنود نظامها

(١) اعتمدنا في سرد مصتع العباس بن علي عليه السلام، كتاب لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين، ومقتل الحسين للسيد المقرم، وإيصال العين في أنصار الحسين عليهما السلام للشيخ محمد السماوي.

الْيَوْمَ نَامَتْ أَعْيُنْ بِكَ لَمْ تَنْمِ  
 وَتَسْهَدَتْ أُخْرَى فَغَرَّ مَنَامُهَا  
 قَدْ خَلَتْ أَطْبَاقُ السَّمَاءِ عَلَى الشَّرِى  
 أو دُكْدِكَتْ فَوْقَ الرُّؤْسِ أَغْلَامُهَا  
 لَكِنْ أَهَانَ الْخَطَبَ عِنْدِي أَنِّي  
 بِكَ لَأَحْقَقَ أَمْرًا قَضَى عَلَامُهَا  
 وَيَضْحِي السَّبَطُ فَرِيدًا، وَحِيدًا وَالْقَوْمُ بِهِ مَحْدُقِينَ وَعَلَى قَتْلِهِ  
 مَتَوَثِّبِينَ . . .





## المبحث السادس:

### ما بعد كربلاو

— سبايا آل محمد

— الوالدة الثكلى

— الضريح المقدس



## سبايا آل محمد

تنتهي واقعة الطف عصر العاشر من المحرم، وتتوقف رحى الموت الأموية عن القتل وسفك الدماء بعد أن لم تجد من تقتله، وبعد أن أفتت آل الحسين حتى طفله الرضيع . . .

ويروي المؤرخون حوادث تنبئ عن وحشية القوم، منها ما ذكره الطبرّي عن أحد من شهد المعركة مع جيش ابن سعد، يقول: خرج غلامٌ من آل الحسين وهو ممسك بعمود من تلك الأبنية، عليه إزارٌ وقميص، وهو مذعور يتلفّت يميناً وشمالاً . . . إذ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف! . . .<sup>(١)</sup>

وخرج غلام آخر من الخيام، فأخذته زينب بنت علي لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، وجاء يستدّ نحو الحسين، فقام إلى جنبه، وجاء أحد الفرسان الضراوحة من جيش ابن سعد وهو يريد أن يضرب الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا بن الخبيثة، أقتل عمّي! . . .، فاتجه هذا الفارس نحو الغلام فضربه بالسيف، فاتقه الغلام بيده فأطئها<sup>(٢)</sup> إلا الجلدة،

(١) تاريخ الطبرّي: ٦٤٥/٤.

(٢) أطئها: قطعها.

فإذا يده معلقة فنادى الغلام: يا أمتاه، فأخذه الحسين فضمته إلى صدره، وقال: يا بن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتب في ذلك الخير...<sup>(١)</sup>.

ويتوجه الحسين إلى الخيام ويتناول ولده الرضيع، فجعل يقبّله ويقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم جدك»، فبينا الصبي في حجره، إذ رمأ حرملة بن كايل الأسدي بسهم فذبحه في حجره!...<sup>(٢)</sup>.

واستشهد الحسين عليه السلام بعد قتال شديد، وصفه أحد رجال جيش ابن سعد: والله ما رأيت مكثوراً قط، قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جائساً، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وعن شماله انكشف المعزى إذا شد فيها الذئب<sup>(٣)</sup>... . وبعد شهادة الحسين توجه القوم نحو خيام النساء والأطفال، ونحو جسده الشريف يسلبونه ما عليه!... .

والرواية يرويها الطبرى فيقول عن بعض الرواية:

سلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحر بن كعب!... ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته<sup>(٤)</sup> فسمى فيما بعد

(١) الطبرى: ٦٤٦/٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٣٧.

(٣) الطبرى: ٦٤٧/٤.

(٤) القطيفة: دثار يلقى الإنسان على نفسه.

قيس قطيفة...، وأخذ نعليه! رجل من بني أود، وأخذ سيفه  
رجل آخر...، ومال الناس على الورس والخلل والإبل  
فانتهبوها، ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن  
كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به  
منها!...<sup>(١)</sup>.

ثم أمروا الخيل فداست جسد الحسين ووطأته بحوافرها<sup>(٢)</sup>،  
امعاناً في التنكيل والتشفى من آل محمد

وتساق النساء سبايا نحو الكوفة ومعهن رؤوس الحسين  
وأهله لتهدي إلى طاغية الكوفة ابن زياد ثم إلى يزيد بن  
معاوية...

ويسر ابن زياد برؤوس آل محمد، ويدخول السبايا  
أسيرات...، فيضع رأس الحسين بين يديه ويضرره بقضيب،  
ويراه زيد بن أرقم. أحد صحابة رسول الله. فقال له: أعل بهذا  
القضيب عن هاتين الشتتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتني  
رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي،  
فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أئنكشيخ قد  
خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك...

فخرج الصحابي ودموعه على خديه وهو يهتف:

(١) الطبرى: ٦٤٨/٤.

(٢) المصدر: ٦٤٩/٤.

ملّك عبد عباداً، فاتّخذهم تلداً، أنتم معاشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتكم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذلّ...<sup>(١)</sup>.

وكانت السيدة زينب ابنة الإمام علي عليه السلام مع السبيّا، وقد لبست أرذل ثيابها، وحفت بها النسوة، وجلست متنكرة، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه؛ فقال ذلك ثلاثة، كل ذلك لا تكلّمه، فقال بعض إمائتها: هذه زينب ابنة فاطمة؛ فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوّتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلوات الله عليه وآله وسالم وظهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويکذب الفاجر؛ قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟، وتجييه زينب: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجتمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده، فغضب ابن زياد واستشاط، فقال له أحد أزلامه: أصلاح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ بشيء من منطقها؟...

فعاد ابن زياد ليقول: لقد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك...

وتجييه: لعمري، لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت

(١) الطبرى: ٦٥١/٤.

فرعي، واجتثت أصلبي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت...<sup>(١)</sup>.

ويرسل ابن زياد السبايا ومعهُ علي بن الحسين زين العابدين، وهو الوحيد ممن بقي في الرجال يوم الطف، إذ كان علياً، وأراد الشمر قتله، فمنعه أحد العسكر ونهاه عن ذلك<sup>(٢)</sup>، يرسلهم إلى سجنه، ويكتب بأمرهم إلى يزيد، والراوي يصور انتظارهم في السجن: «بینا القوم محتبسون<sup>(٣)</sup> إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا، إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله؛ قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقي في السجن، ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا. فجاء البريد ولم يسمع التكبير، وجاء كتاب بأن سرّح الأسرى إلى<sup>(٤)</sup>».

نعم وصل الثبا إلى يزيد، فانشرحت أساريره أیما انشراح، وتدافعت في باله القصص والأخبار، قصص رسول الله

(١) تاريخ الطبرى: ٦٥١/٤.

(٢) الطبرى: ٦٤٨/٤.

(٣) في رواية ابن الأثير: في الحبس.

(٤) الطبرى: ٦٥٧/٤.

وال المسلمين الذين أذلوا أسلافه الأمويين في بدر وأحد وفتح مكة وسواها...، يتذكر ما رروا عن سيف علي الذي فتك بأجداده ورهطه يوم بدر، وكاد أن يفتك بأبيه في صفين، يتذكر كل ذلك وتأخذه نشوة الانتصار، فيأمر برؤوس الحسين وأهل بيته، وبنات آل الرسول وبنات الزهراء عليهم السلام، يأمر بإرسال ذلك كلّه نحو عاصمة ملكه في الشّام... ويستجيب ابن زياد لزيارات أميره فيأمر بالسبايا والرؤوس، ويبدع في ابتکار أساليب الإذلال، فيأمر بغل وينزل به علي بن الحسين عليه السلام إلى عنقه<sup>(١)</sup>...

ويستعجل يزيد البهجة والفرح، فيخرج بنفسه لإلقاء نظرة على موكب سبايا رسول الله، ويهتف جذلاً حال رؤيتهم من بعيد:

لَمَا بَدَتْ تِلْكَ الْحَمْوَلُ وَأَشْرَفَتْ

تِلْكَ الرَّؤُوسَ عَلَى شَفَا جِيرَوْنَ

نِعْقَ الغَرَابِ فَقَلْتَ قَلْ أَوْ لَا تَقْلِ

فَقَدْ اقْتَضَيْتَ مِنَ الرَّسُولِ دِيُونِي!<sup>(٢)</sup>

هَذِهِ هِيَ الْدِيُونُ، دِيُونُ بَدْرٍ وَأَحَدٍ!...

وكان الموكب يضم السبايا والرؤوس، والله در الشاعر حين يقول:

(١) الطبرى: ٦٥٤/٤.

(٢) مقتل الحسين، المقرم: ٣٤٨ عن عدّة مصادر.



وَسَرَوا بِرَأْسِكَ فِي الْقُنَاءِ وَقُلُوبُهَا  
 تَسْمُو إِلَيْهِ وَوَجْدُهَا يَضْنِيْهَا  
 إِنْ أَخْرُوهُ شَجَاهَ رَؤْيَاةَ حَالِهَا  
 أَوْ قَدْمُوهُ فَحَالَهُ بِشَجَيْهَا

ويروي سهل بن سعد الساعدي . أحد صحابة رسول الله .  
 خبر استقبال السبايا في الشام فيقول :

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشّام، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهر، كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحبب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالذفوف والطبلول، فقلت في نفسي : لا نرى لأهل الشّام عيداً لا نعرفه نحن ؟ فرأيت قوماً يتحدّثون، فقلت : يا قوم لكم بالشّام عيد لا نعرفه نحن ، قالوا : يا شيخ نراك أعرابياً ؟ فقلت : أنا سهل بن سعد ، قد رأيت محمداً ﷺ ، قالوا : يا سهل ، ما أعجبك السّماء لا تمطر دماً ، والأرض لا تنخسف بأهلها .

قلت : ولم ذاك ؟

قالوا : هذا رأس الحسين عليه السلام يُهدى من أرض العراق .  
 فقلت : واعجباه يهدى رأس الحسين ، والنّاس يفرحون ؟ ثم  
 قلت : من أي باب يدخل ، فأشاروا إلى باب يقال له باب السّاعات ، فبينما أنا كذلك ، حتى رأيت الزّایات يتلو بعضها بعضًا ، فإذا نحن بفارس بيده لواء متزوج السنان عليه رأس من

أشبه الناس وجهها برسول الله ﷺ، من ورائه رأيت نسوة على جمالٍ بغير وطاء، فدنوت من أولاهم، فقلت: يا جارية من أنت؟

فقالت: أنا سكينة بنت الحسين.

فقلت لها: ألك حاجة إلىي، فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمع حديثه.

قالت: يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يستغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ.

قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعين دينار؟.

قال: ما هي؟.

قلت: تقدم الرأس أمام الحرم.

ففعل ذلك<sup>(١)</sup>.

ويأمر يزيد بإدخال السبايا والرؤوس على قصر الإمارة، ووضع الرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره. فقام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو بربة الإسلامي وقال: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذ

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥/١١٨.

قضيبك من ثغره مأخذًا، لربما رأيْتُ رسول الله ﷺ يرشه،  
أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيمة وابن زياد شفيوك، ويجيء هذا  
يوم القيمة ومحمد ﷺ شفيوك؛ ثم قام فولى<sup>(١)</sup>.

ويقوم طعام أهل الشام بالدخول على يزيد وتهنته بالفتح العظيم، وتروي فاطمة بنت علي فتقول:

إنَّ رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه يعنيني، فأرعدت وفرقت وظننت أنَّ ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أخي زينب، قالت: وكانت أخي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أنَّ ذلك لا يكون، فقالت: كذبت والله ولؤمت! ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد، فقال: كذبت والله، إنَّ ذلك لي، ولو شئت أنَّ فعله لفعلت؛ قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أنَّ تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا؛ قالت: فغضب يزيد واستطار، ثم قال: إيه أي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك؛ فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله؛ قالت: أنت أمير مسلط، تشم ظالماً، وتقهر بسلطانك... فسكت، ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية؛ قال: أعزب<sup>(٢)</sup> وهب الله

(١) الطبرى: ٦٥٩/٤.

(٢) أعزب: ابتعد.

لَكْ حَتْفَا<sup>(١)</sup> قاضِيَا!<sup>(٢)</sup>

وينشد يزيد فرحاً:

يَا غُرَابَ الْبَيْنَ أَسْمَعْتَ فَقْلَ  
إِنْمَاتِ ذَكْرِ شَيْئاً قَدْ فَعَلَ

لَبْتَ أَشْيَا فِي بَبْدَرِ شَهْدَوَا  
جَزَعَ الْخَرْجَ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَ  
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلَكُوا فَرْحَأَ  
ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

فَجَزِينَاهُمْ بَبَدْرِ مِثْلِهَا

وَأَقْمَنَا مَنِيلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلَ<sup>(٣)</sup>

كان ذلك في الشّام، وأما في المدينة المنورة فحين بلغها النّبأ  
سُرَّ الْحَكَامُ الطُّغاَةُ وَأَعْلَنُوا البَشَرَ وَالْحَبُورَ . . .

يصل النّبأ أولاً إلى عمرو بن سعيد الأموي والي المدينة،  
يدخل عليه رسولٌ فيقول له: ما وراءك، ويجيئه الرسول: ما يسرّ  
الأمير، قُتل الحسين بن علي، فيقول له: ناد بقتله، فلم يسمع  
واعيةٌ قط مثل واعيةٍ نساءٍ بني هاشم في دورهنّ على

(١) حتفاً: موتاً.

(٢) الطبرى: ٤/٦٥٥.

(٣) بлагات النساء، ابن طيفور: ٣١.

الحسين ... فتنشرح أسارير عمرو بن سعيد، وينشد:  
عَجَتْ نِسَاءُ بَنْيِ زَيْدٍ عَجَةً

كعجيج نسوتنا غداة الأرب<sup>(١)</sup>

ويعقد أهل المدينة والهاشميون الماتم ...

ويروى أن ابنة عقيل بن أبي طالب خرجت تنادي:

ماذا تقولون إن قال الثبي لكم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي

منهم أسارى ومنهم ضرّعوا بدم<sup>(٢)</sup>

وفي الشام، يشير منظر السبايا ومخبرهم صدی غير محمود  
عند يزيد، تهتز لأصدائه أزقة الشام، وكان الإمام زين العابدين  
والسيدة زينب قد خطبوا في مجلس يزيد وأثاروا الناس على  
حكامهم<sup>(٣)</sup> ...

ويضطر يزيد أن يأمر بإعادة السبايا إلى بلادهم ...، إلى  
مدينة جدهم رسول الله ...

(١) الطبری: ٦٥٩/٤.

(٢) الطبری: ٦٦٠/٤.

(٣) يروى أن خطبة زين العابدين أثرت في الناس تأثيراً كبيراً حتى  
أمر يزيد المؤذن فقطع عليه خطبته ... (راجع مقتل الحسين  
للحوارزمي، ومقتل الحسين للمقرن).

ويعود موكب الإمام زين العابدين عليه السلام والسبايا إلى المدينة، ولا شك أن ذكريات الخروج منها قد عادت في أذهان حرائر الرسالة، وبنات النبوة... لا شك أنهن تذكّرن الحسين والعباس وسواهما من أهلهن وأخوتهن، الذين كانوا يقودون التركب في مسيرة الخروج من المدينة، وها هم زبانية يزيد يقودون التركب في مسيرة السبي من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام ثم إلى المدينة...

وقبيل الوصول إلى المدينة، يلتفت الإمام زين العابدين عليه السلام إلى بشر بن حذلم فيقول: يا بشر، رحم الله أباك، لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟، ويجيبه بشر: بلـى، يا بن رسول الله إني شاعر، فيقول الإمام عليه السلام: ادخل المدينة، وانع أبا عبد الله عليه السلام...

أراد الإمام زين العابدين أن يعلم أهل المدينة بما جرى على والده، أرادها تظاهرة رفض لما جرى، ولا ريب أن الشعر كان وسيلة الإعلام المعاصرة الوحيدة في ذلك العصر.

ويركب بشر فرسه وينطلق حتى إذا بلغ مسجد رسول الله، رفع صوته منادياً:

يا أهل يثرب لا مُقام لكم بها

قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكريلاء مضرج

والرأس منه على القناة يُدار

ويتوافق الناس على بشر يسائلونه عن الخبر، فيقول: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، فتبارد أهل المدينة لاستقبال ركب آل الرسول... وكانت خطبة علي بن الحسين، وكان مأتم في العراء...<sup>(١)</sup>.



(١) اللهو في قتل الطفوف، ابن طاوس: ٧٥

## الرواية الثالثة

لا ريب أنَّ وقع الفاجعة على أم البنين كان عظيماً، ولم لا وقد فقدت أبناءها الأربعة في ريعان الشباب، وفقدت جمعاً كبيراً من أرحامها الهاشميين وعلى رأسهم سيد الشهداء الحسين عليه السلام.

يتحدَّث الرواية أنها كانت تخرج إلى البقيع، مقبرة المدينة، ولست أدري لماذا تختار البقيع دون منزلها وبيتها، هل كان مرأى القبور يسكن شجاعها ويطفِئ نار حزنها، كالحزين حين يكفكف حزنه بسُكُب الدَّموع الغزيرة . . .

**لعل لذاك وكون الشجر**

ي ولوعاً بكل شج مولع  
أم لعلها تتمتى لأولادها قبراً لائقاً يدفنون فيه بعد أن طرق  
سمعوا أنهم بقوا ثلاثة بالعراء تصرهم حرارة الشمس . . . ، على أيِّ  
حال، كانت تخرج إلى البقيع وتندب بناتها بأشجى ندب، ويجتمع  
الناس، وكان مروان بن الحكم، مع ما جُبل عليه من عداوة آل بيت  
الرسول - فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبها ويكيي<sup>(١)</sup>.

(١) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٩٠.

ويروى أنها كانت تقول في ندبها:

لا تدعوني ويك أم البنين  
 تذكرني بليلوث العرين  
 كانت بنون لي أدعى بهم  
 واليوم أصبحت ولا من بنين  
 أريعة مثل نسور الربي  
 قد واصلوا الموت بقطع الوتين  
 تناظع الخرصان أشلاءهم  
 فكلهم أمسى صريراً طعين  
 بالبيت شعري أكما أخبروا  
 بأن عباساً قطع الوتين<sup>(١)</sup>  
 وتبقى أم البنين تتعى ليوتها، لا ترقأ دمعتها ولا تنقضى  
 حسرتها، تستقصي أخبار مصارعهم، وقبورهم، وتکاد نفسها  
 تذهب عليهم حسرات . . .

ولله در الشاعر يقول وكأنه ينزع عن لسان أم البنين:

أنا عي قثلى الطف لا زلت ناعيَا  
 تهينج على طول الليل البراءينا

(١) أدب الطف: ٧١/١.

أَعِدْ ذِكْرَهُمْ فِي كَرْبَلَا إِنْ ذِكْرَهُمْ  
 طَوَى جَرَاعَةً طَيِّ السُّجَلَ فَوَادِيَا  
 وَدَعْ مُقْلَتِي تَخْمَرْ بَعْدَ أَبْيَضَاصِهَا  
 بِذِكْرِ رَزَائِا شُرُوكَ الدَّمْعَ دَامِيَا  
 سَتَسَى الْكَرَى عَيْنِي كَأَنْ جُفُونَهَا  
 حَلَفَنَ بِمَنْ تَثْغَاهُ أَلَّا لَاقِيَا  
 أَبَا حَسَنِ حَزْبَ تَقَاضِيَهَا  
 إِلَى أَنْ أَسَاءَتْ فِي بَنِيَكَ التَّقَاضِيَا  
 مَضَوا عَطْرِي الْأَبْرَادِ يَأْرُجُ ذِكْرَهُمْ  
 عَبِيرًا تَهَاذَاهُ الْلَّبَالِي غَوَالِيَا  
 بِيَوْمِ صَبْغَنَ الْبَيْضَ نَوْبَ تَهَارِه  
 عَلَى لَابْسِي هَيْجَاهَ أَخْمَرَ قَانِيَا  
 تَرَقَّتْ بِهِ عَنْ خِطْبَةِ الضَّيْنِ هَاشِمَ  
 وَقَدْ بَلْغَتْ نَفْسَ الْجَبَانِ التَّرَاقِيَا  
 لَقَدْ وَقَفُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَوْقِفًا  
 إِلَى الْخَشْرِ لَا يَرْدَادُ إِلَّا مَعَالِيَا



## الضریح المقدس

بعد الشهادة بقي جثمان العباس وسواه من الشهداء جثثاً بلا رؤوس تصهرها حرارة الشمس، فابن سعد على ما يروي المؤرخون دفن قتلى جيشه وترك الشهداء من آل الحسين وصحبه في العراء . . .

وَلِلَّهِ دُرُّ الشَّاعِرِ إِذْ يَقُولُ :

وَمَجْرَحٌ مَا غَيَّرَتْ مِنْهُ الْقَنَا  
حَسَنَاً وَلَا أَخْلَقَنَّ مِنْهُ جَدِيدًا  
قَدْ كَانَ بَذْرًا فَاغْتَدَى شَمْسُ الضُّحَى  
مُذْأَلَبَسْتَهُ يَذْدُ الدَّمَاءِ لَبُودًا  
تَخْمِي أَشْعَفَتْهُ الْغَيْوَنُ فَكُلَّمَا  
خَأْلَنَّ نَهَجَأْ خَلْنَهُ مَسْدُودًا  
وَتُظْلِهُ شَجَرُ الْقَنَا حَتَّى أَبْتَ

إِرْسَالٌ هَاجِرَةٌ إِلَيْهِ بَرِينَدَا<sup>(١)</sup>  
وَيَأْتِي بَنُو أَسَدٍ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَصْرَعِ فِي رُونَ جَثَّ

(١) القنا: الزماح.

الشهداء ملقاء بالعراء، فيدفنون الأجساد الطاهرة ويهيلون عليها الرُّمال . . .

ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا، مر القبر الشريف بعده مراحل، وما ازداد إلاً علوًّا . . . يؤمه المصلون والداعون والزائرون. ويروى أنَّ أول الزائرين بعدبني أسد كان الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي قدم إلى كربلاء في العشرين من صفر أي بعد أربعين يوماً من شهادة الحسين وآلها . . .

وقد وفد التوابون بعدها وطافوا بأضرحة شهداء الطف، معلنين عزمهم على الطلب بثارهم . . .

وأصبحت أضرحة الحسين والعباس وبقي الشهداء رمزاً من رموز الكرامة والوفاء، يؤمها المجاهدون الأبرار والمؤمنون الآخيار، يطلبون العزة والعبرة من روح الفداء والكرامة . . .

ودأب الظالمون على محاولة إطفاء نور أهل البيت، وهدم قبورهم، ومعاقبة الزائرين ولكن دون جدوى، فالملايين المؤمنة ما فتئت تتوجه بقلوبها وأجسامها ميممة وجوهاً شطر أضرحة الحسين والعباس والشهداء هاتفة:

لو قطعوا أرجلنا والبدین

نأتيك زحفاً سيدی يا حسین

وستذكر - إن شاء الله - في باب الزيارة وعلى سبيل المثال ما

أورده المؤرخون من أعمال المحتوكل العباسى في هدم قبور  
الحسين والعباس وشهداء كربلاء . . .

واليوم، ترتفع في سماء كربلاء منائر ضريح أبي الفضل،  
وتزدحم الوفود على بابه المقدسة، والله در القائل:

هي باب النجاة للحق طرأ

حيث جاء الكتاب في ذكرها  
قائلاً باب حطة من أنها

وحمى من جهنم ولظها  
وباعتباها الملائكة تهوي

فاز بالأمن فليفز من أنها  
وعلى الشهب قد تسamt مقاماً

بجلال ورفعه لا تضاهى  
يا ثرى العلقمي قد صرت حصناً

بخضوع تشم طيب ثراها  
وعلى بوابة المقام تطالع الزائر أبيات منها:

Abbas يا باب الحوائج للوري

الفضل جاري منك للأطباب  
تهديك أفيءدة الكرام بشوقهم

بمقامك العالى لكسب ثواب

يقضي حوائج من يلوذ ببابه  
 رب العلى ومبسب الأسباب  
 ويفرز زائره بنليل مرامة  
 وله النعيم غداً بغير حساب  
 قصر البيان عن المديح لبابه  
 طوبى لحجاج وحسن مآب  
 يتولى الزائرون، وترتفع حناجرهم بالصلوة والدعاء، وطلب  
 الغفران، كما يستلهمون من أبي الضئيم شيم الكراهة والوفاء  
 والتضحية ويرددون مع الشاعر:  
 ضريحك مفزعنا الأمانع  
 به كل نازلة تدفع  
 وبابك للخلق باب النجاة  
 تلوذ بعروته السرّع  
 أبا الفضل والفضل يُنمى إليك  
 فأنت لألطافه منبع  
 ويا بطل الطف هذا الواء  
 على كل شاهقة يُرفع  
 وهذا حسامك أنثرودة  
 بها ينتشي البطل الأروع

وكفاك مقطوعة نعمة  
 بها كل مكرمة تسجد  
 ورأسك يرفع فوق الفناة  
 هو الشمس من أفقها تسطع  
 تعالىت من مجمع للجلال  
 عوالي الجمال به تجمع  
 ضريحك كعبة وفد الولاء  
 إليه قوافله تسرع  
 لشيعتكم فيه يعلو الأنين  
 بكم وبه تسبيل الأدمع





## الملحق

### العباس في ديوان العرب

— تمهيد

— أخي يهنيك التعميم

— يا أبو الفضل

— اليوم بان عن اليمين حسامها

— تمهيد

— الزيارة

— ساقى العطاشى

زيارة العباس بن علي عليه السلام



## العِبَاسُ فِي دِيوَانِ الْعَربِ

تمهيد:

للعرب اهتمام كبير بالشعر والشُّعراء، فقد عقدوا له المواسم الأدبية، وكانوا يفدون على الشُّعراء يستمعون ما نظموه ويكرمونهم على ذلك ويشبوهم أیما مثوبة... وقد كان بيت الشعر الواحد يحطُّ منزلة أقوامٍ أو يرفعهم لما للشاعر تأثير كبيرٌ في نفوس الناس.

ولعلّ الشعر الوسيلة الفضلى للتّعبير عما تجيش به النفس من أحاسيس ومشاعر، وما تصبو إليه من رؤى وتطّلّعات، واستيقاظ لفظة الشعر يعود في الأساس إلى الشّعور والإحساس... ولما للشعر من منزلة في التّفوس سارع الحُكّام إلى استغلاله كوسيلة لتسويق مبادئهم وأرائهم وتصرفاتهم، فأغدقوا الأموال والأعطيات والصلات على الشُّعراء لمدحهم...

غير أنَّ الشّاعر هو الذي يبقى باحثاً عن الجمال ليصفه، وعن الفضائل ليشيد بأصحابها، الشّاعر الحق هو من يتدافع الشعر على لسانه حينما يتأثر بفضائل إنسان ومكارمه...

فعلى هذا، ليس غريباً أن نرى في تراثنا الأدبي الكبير من الشُّعراء الكبار يتدافعون لمدح أهل البيت وأبنائهم دونما مقابل،

وإنما تأثراً بفضائلهم، وربما تعرضوا للسجن والقتل والإضطهاد بسبب شعرهم في آل محمد ﷺ . . .

وأمر آخر نلحظه في مدائح أئمة آل محمد، وأبنائهم، أنها غنية بالمعاني الدفقة، ذلك أنهم أئمَّ الهدى والإيمان، ومعدن الجود والكرم، وأهل الفضائل والشمائل السامية.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك كشعر الفرزدق، والكميت، والسيد الحميري ودعبدل الخزاعي . . . ، وسواهم من المتقدمين، والسيد حيدر الحلبي، والسيد رضا الهندي، والجواهري والسيد جعفر الحلبي، والهاشمي . . . وسواهم من المتأخرین.

يستمع المأمون إلى أبيات لدعبدل بن علي الخزاعي في مدح آل البيت، فيعجب بها أئمَّا اعجاب، ثم يستطرد قائلاً: إِنَّه وجد مقالاً فقال<sup>(١)</sup>، أي إِنَّه وجد فضائل وشمائل تستحقُ النظم، فقال فيها هذا الشِّعر الذي ما كان ليكون ذا روعة وبهاء لو لم يكن المعنيون به أهل المكارم والصفات النبيلة، وقد نظم هذا المعنى المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني حيث يقول:

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لَيْ لَفْظُهُ

فَإِنَّكَ مَعْطَيْهِ وَإِنِّي نَاظِمُ

وقيل للفرزدق: لقد أحسن الكميٰت في قصائده الهاشمتية

(١) نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، الصناعي: ٢/١٠٦.

فقال: وجد آجراً فبني<sup>(١)</sup>.

والعبّاس غصن شامخٌ من الدّوحة العلوية، فقد لازم أباه  
واخوته وتألّق بأخلاقهم، وختم حياته الشريفة بالشهادة بين يدي  
أبي عبد الله يوم الطف...

وقد ذكر العباس جلٌ من رثى الحسين عليه السلام باعتباره أبرز  
شهداء البيت الهاشمي بعد الحسين عليه السلام، ولما أبداه من بطولة  
وشجاعة منقطعي النظير في قتال جيش ابن سعد، وفي جلب  
الماء لعيالات أبي عبد الله عليه السلام.

وأفرد له بعض الشعراء قصائد مستقلة، وقد انتقينا نحن منها  
بعض قصائد المتأخرین من الشعراء لوضوح معانيها ويسر  
الفاظها، وشرحنا بعض ما غمض من الألفاظ وذكرنا الشعراء  
بترجم مختصرة.



(١) شعراء الهاشمين، علي دخل: ١٨.

## أَخْرَى يَهْنِك النَّعِيم

رائعة السيد الحلي<sup>(١)</sup>.

وَجْهُ الصَّبَاحِ عَلَيَّ لَيْلٌ مُظْلَمٌ  
 وَرَبِيعُ أَيَامِي عَلَيَّ مُحْرَمٌ  
 وَاللَّيْلُ يَشَهُدُ لِي بِأَنِّي سَاهِرٌ  
 مُذْ طَابَ لِلنَّاسِ الرُّقَادُ وَهُؤُمُوا<sup>(٢)</sup>  
 بِي قُرْحَةً لَوْأَتْهَا بِي لَمْلَمٌ  
 نَسْفَتْ جَوَانِبَهُ وَسَاخَ يَلْمَلْمَ  
 قَلْقًا تَقْلِبُنِي الْهَمُومُ بِمَضْجُعي  
 وَيَغُورُ فَكْرِي فِي الزَّمَانِ وَيُتَهِّمُ

(١) هو الشاعر المبدع السيد جعفر الحلي المتوفى سنة ١٣١٥ هـ، كان سريع البدية وديوانه الذي جمع بعد وفاته خير دليل على شاعريته وقد سُمي الديوان بـ(سحر بابل وسجع البلابل)، كان كثير النظم في فاجعة الطف وله رواية عظيمة في هذا المجال، في بعض قصائده ولا سيما هذه القصيدة نفس ملحمي رائد، والقصيدة وردت في ديوانه المذكور، وللمزيد راجع: أدب الطف للسيد جواد شير: ٩٩/٨.

(٢) هؤموا: من هُوَم أي نام نوماً خفيفاً.

من لي بيوم وغى يشبُ ضرامة  
 ويشبُ فودُ الطفل منهُ فيهرُم  
 فعسى أنالُ من التراث مواضياً  
 تُسدي عليهنَ الدهورُ وتلجمُ  
 أو موتةً بين الضفوف أحبُها  
 هي دينعشريَ الذين تقدّموا  
 ما خلُتُ أنَ الدهر من عاداته  
 تروى الكلابُ به ويظمى الضيغمُ  
 مثلُ ابن فاطمة يبيث مشرداً  
 ويزيدُ في لذاتهِ متنفِّمُ  
 يرقى منابرُ أحمِدِ متأفراً  
 في المسلمين وليس ينكِرُ مسلِّمُ  
 ويضيقُ الدنيا على ابن محمدِ  
 حتى تقاذفهُ الفضاءُ الأعظمُ  
 خرج الحسينُ من المدينة خائفاً  
 كخروج موسى خائفاً يتكلّمُ  
 وقد انجلَى عن مكة وهو ابنُها  
 وبه تشرفتُ الحطيمُ وزمزُم

لم يدر أين يريح بُدن ركابه  
 فكائماً المأوى عليه محرّم  
 فمشت تؤمّ به العراق نجائبُ  
 مثل النعام به تخبُ وترسم  
 متعرّفات كالقسيٰ موائلًا  
 وإذا ارتمت فكائماً هي أسلُهم  
 حفته خيرٌ عصابةٌ مضريةٌ  
 كالبَذرِ حين تحفُ فيه الأنجم  
 ركبُ حجازيون بين رحاليهم  
 تسرى المنايا أنجدوا أو أنهموا  
 يحدون في هرج التلاوة عيْسُهم  
 والكلُّ في تسبيحه يتزرنم<sup>(١)</sup>  
 متقلّدين صوارمًا هنديةٌ  
 من عزمهم طبعت فليس تكئم<sup>(٢)</sup>  
 بيضُ الصفاح كأنهنَّ صحائفُ  
 فيها الحمامُ معنونٌ ومترجم<sup>(٣)</sup>

(١) العيس: الإبل التي لونها ياض مشوّب بشقرة.

(٢) كهم السيف: إذا كلَّ.

(٣) الحمام: الموت.

إن أبرقت رعدت فرائص كل ذي  
بأس وأمطر من جوانبها الدم  
ويقُّمون عواليًا خطيبة  
تقاعده الأبطال حين تقوّم  
أطراها حمرُّ ثزان بها كما  
قد زان بالكفُّ الخضيبة معصم  
نزلوا بحومة كربلا فتطلب  
منهم عوائدها الطيورُ الحرم  
وتباشر الوحشُ المثار أمامهم  
أن سوف يكثرُ شريهُ والمطعم  
طمعت أميةُ حين قلَّ عديدهم  
لطليقهم في الفتح أن يستسلموا  
ورجوا مذلّتهم فقلن رماحهم  
من دون ذلك أن تناول الأنجم  
حتى إذا اشتبك النزال وصرحت  
صيد الرجال بما تجيئ ونكثم<sup>(١)</sup>

(١) تجيئ: تكتم وتسתר.

وقع العذاب على جيوش أمية  
 من باسل هو في الوقائع معلم  
 ما راعُهم إلا تفخِّم ضيفم  
 غيران يعجم لفظه ويدمدم<sup>(١)</sup>  
 عبست وجوهُ القوم خوف الموت والـ  
 عباس فيهم ضاحك متباشم  
 قلب اليمين على الشمال وغاص في الـ  
 أوساط يحصد في الرؤوس ويحططم  
 وثنا أبو الفضل الفوارس ثكصا  
 فرأوا أشد ثباتهم أن يُهزموا  
 ما كر ذو بأس له متقدما  
 إلا وفر رأسه المتقدم  
 صبغ الخيول برمحه حتى غدا  
 سيان أشقر لونها والأدهم<sup>(٢)</sup>  
 ما شد غضبانا على ملمومة  
 إلا وحل بها البلاء المبرم  
 وله إلى الإقدام سرعة هارب  
 فكائما هو بالتقدم يسلم

(١) ضيفم: من أسماء الأسد.

(٢) الأدهم: الأسود.

بطلٌ تورث من أبيه شجاعة  
 فيها أنوفُ بني الضلاله ثرغم  
 يلقي السلاح بشدةً من بأسه  
 فالببضم تلثمُ والرماع تحطمُ  
 عرفَ المواجه لا تفيذُ بمعشرِ  
 صموا عن النباء العظيم كما غموا  
 أوَّلَشَتَكِي العطش الفواطمُ عندهُ  
 وبصدر صعدته الفرات المفعمُ  
 لوسد ذي القرنيين دون وروده  
 نسفته همةً بما هو أعظمُ  
 حامي الظعينة أين منه ربيعة  
 أم أين من علياً أباه مكدمٌ<sup>(١)</sup>

(١) ربيعة بن مكدم: من الفرسان الشجعان في الجاهلية، يضرب به المثل في حماية نساء قومه وظعائهم؛ ومتى يروى عنه أنه عرض له فرسان من بني سليم، ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم وهزمهم، ورماه أحدهم بهم أصاب منه مقتلاً، فأثبت رمحه على الأرض واعتمد عليه وهو على جواده وأشار إلى الظعائن بالسير نظره الفرسان حياً فجربوا عن لقائه، وبعد فترة رموا جواده بهم فتحرك الجواد وسقط ربيعة، فيما كانت الظعائن قد وصلت إلى مأتمها... =

في كفه اليسرى السقاء يقله  
 وبكفه اليمنى الحسام المخدم<sup>(١)</sup>  
 مثل السحابة للفواطم صوبه  
 ويصيّب حاصبة العدو فيرجُم  
 بطل إذا ركب المطهم خلته  
 ج بلاً أثيم يخف في مطهم  
 قسماً بصارمه الصقيل وإنني  
 في غير صاعقة السما لا أقسم  
 لولا القضا لمحا الوجود بسيفه  
 والله يقضى ما يشاء ويحكم  
 حسمت بيديه المرهفات وإله  
 وحاسمة من حذهن لأحسن  
 فغدا يهم بأن بصول فلم يطلق  
 كاللبث إذ أظفاره تتقدّم  
 أمن الردى من كان يحذر بطشه  
 أمن البغاث إذا أصيب القشعم<sup>(٢)</sup>

= ومما قيل في ذلك :

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغرادي قبره بذنوب

وللمزيد: راجع شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٤٢/٢.

(١) الحسام المخدم: السيف القاطع.

(٢) البغاث: طيور بطيئة الطيران، والقشعم: التسر العظيم.

وهو بجنب العلقمي فليته  
 للشاربين به يداف العلقم  
 فمشى لمصرعه الحسين وطرفه  
 بين الخيام وبينه متقسم  
 الفاه محجوب الجمال كأنه  
 بذر بمنحط طم الوشيج ملثم  
 فأكب منحنياً عليه ودمغة  
 صبغ البسيط كأنما هو غندم  
 قد رام يلثمه فلم ير موضعاً  
 لم يدمه عض السلاح فيلثم  
 نادى وقد ملاً البوادي صيحة  
 صم الصخور لهولها تتألم  
 أخي يهنيك النعيم ولم أخل  
 ترضى بأن أزرى وأنت منعم  
 أخي من يحمي بنات محمد  
 إن صرن يسترحم من لا يرحم  
 ما خلث بعدهك أن تسل سواعدي  
 وتكتف باصرتي وظهرى يقصم  
 لسوالك يلطم بالأكف وهذه  
 بيض الظفالك في جبيني تلطم

ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي  
إلا كما أدعوك قبل وتنعم  
هذا حساموك من يذب به العدى  
ولواك هذا من به يتقدم  
هؤنت يا ابن أبي مصارع فتيتي  
والجراح يسكنه الذي هو آلم  
يا مالكا صدر الشريعة إنني  
لقليل عمري في بكاك متقم<sup>(١)(٢)</sup>

(١) في هذا البيت صور بلاغية واضحة، فهو يشير إلى الصحابي مالك بن نويرة، وشقيقه المفجوع بمقتله متنم بن نويرة. وقصة مالك بن نويرة على جانب من الفطاعة والقسوة ونحن سنورد بعض ما أورده الطبرى في هذا المجال... فقد بلغ أبا بكر خبر مؤداء أن مالك بن نويرة وقومه قد منعوا الزكاة، فوجه نحوهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد، فلما رأى مالك وقومه الجيش قالوا: من أنتم، فقال الجيش: إنا المسلمين، فقالوا: ونحن المسلمون، فسألهم الجيش: فما بال السلاح معكم، فقالوا لهم: فما بال السلاح معكم؟ فقال لهم الجيش: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، فوضعوه، ثم صلى الجيش وصلى مالك وأصحابه، ثم قدموهم فقتلوهم... وبلغ الخبر عمر بن الخطاب فغضب غضباً شديداً وقال: عدو الله عدا على أمرىء مسلم فقتله ثم نزا على امراته!... وكان خالد بن الوليد قد تزوج امرأة مالك بعد قتل زوجها مباشرة!...؛ ثم أقبل خالد بن الوليد حتى دخل مسجد رسول الله وعليه عمامة قد غرز فيها أسهماً فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه وحطمتها ثم قال: أرثاء! قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امراته! والله لأرجمنك بأحجارك!...، غير أن أبا بكر

= نهاد وأمره بالكف عنه!

ومن الفضائح التي ارتكبها هذا الجيش أنَّه قطع رؤوس القتلى واستخدمها أثافي للقدر وطبخوا فوقها...؛ وناهيك بهذه التصرفات همجية... وقد بقيت هذه في نفس عمر فلما تولى الخلافة بادر إلى عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيوش...؛ وقد قدم متocom إلى أبي بكر بعد الواقعة فودي أخيه ورد السبي إلى ديارهم ولكنه لم يعاقب خالداً على فعلته... وللمزيد، راجع هذه التفاصيل في تاريخ الطبرى: ١٣٠/٣.

ويُروى أنَّ خالداً رأى امرأة مالك قبل قتلها، فالتفت مالك إلى امرأته وقال: قتلتني، يعني سأقتل من أجلك!... راجع: الاصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ترجمة مالك بن نويرة، ٥٦١/٥.

وأمَا متocom بن نويرة، فلم يعرف له شعر مشهور إلا في رثاء أخيه الذي أوقف حياته وشعره على رثائه، وقيل إنَّ الحطيئة الشاعر سُئل عن شعر متocom في رثاء أخيه: «هل رأيت أو سمعت بأبكي من هذا؟» فقال: «لا، والله ما بكى بكاءً عربيًّا قطًّ ولا يبكيه»... ومن أبياته المشهورة:

فَمَا نَمَتْ إِلَّا وَالْفَرْأَدْ مَرْوَعٌ	وَهِيَجَ لِي حُزْنِي تَذَكُّرُ مَالِكٍ
أَبَثْ وَأَسْتَهَلْتْ غَبْرَةً وَدَمْوعَ	إِذَا غَبْرَةً وَرَغْثَاهَا بَغْدَ غَبْرَةً
حَمَامٌ تُنَادِي فِي الْغُصُونِ وَقُوَّعَ	إِذَا رَقَّأَتْ عَيْنَيَّا ذَكَرْنِي بِهِ
أَرَاهُ وَلَمْ تُصْبِخْ وَنَحْنُ جَمِيعُ	كَانْ لَمْ أُجَالِسَهُ وَلَمْ أُمِسِّ لَيْلَةً

وللمزيد، راجع: المحيط في أدب البكالوريا، جبران مسعود: ١٧٠.

(٢) العباس بن علي، آل جميع: ٩٩.

## يا أبا الفضل

رائعة السيد القزويني<sup>(١)</sup>.

أبا الفضل يا من أنس الفضل والإبا  
 أبي الفضل إلا أن تكون له أبا  
 طلبت أسباب العلى فبلغتها  
 وما كل ساع بالغ مات طلبا  
 ودون احتمال الضيم عز ومنعة  
 تخيرت أطراف الأسنة مركبا  
 منيت بعهد المشرفية في الوغى  
 ضراباً وما أبقيت للسيف مضريا  
 لقد خضت تبار المنايا بموقف  
 تحال به برق الأسنة خلبا  
 إذا لقطت حرفاً سيفك مهملأ  
 يترجمه سمر العوالى معربا

(١) هو السيد راضي القزويني، من شعراء التجف الأشرف، وفاته سنة: ١٢٨٥ هـ، راجع أدب الطف: ١٩٦/٧.

ولما أبْتَ أَنْ يُشَرِّبَ الماء طيباً  
 أَمْيَة لَا ذاقَتْ مِنَ الْمَاء طيباً  
 جَلَابِنْ جَلَالِبِلْ الْقَتَامْ كَأَنَّهُ  
 صَبَاحْ هَدِيْ أَجْلِيْ مِنَ الشَّرِكْ غَيْهَا  
 وَلَيْثْ وَغَىْ يَأْبِيْ سَوَى شَجَرِ الْقَنَا  
 لَدِيْ الدَّفْوحْ غَابَاً وَالْمَهْنَدْ مَخْلَبَا  
 يَذْكُرُهُمْ بِأَسْ الرَّوْصِيْ فَكَلِمَا  
 رَمَى مَوْكِبَاً بِالْعَزْمِ صَادَمْ مَوْكِبَا  
 وَتَحْسَبْ فِي لَيلِ الْقَتَامِ حَسَامَهُ  
 بِرْجَمْ ثَيَاطِبِينَ الْفَوَارِسَ كَوْكِبَا  
 وَقَفَتْ بِمَسْتَنِ النَّزَالِ وَلَمْ تَجِدْ  
 سَوَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الضَّيْمِ مَهْرِبَا  
 إِلَى أَنْ وَرَدَتِ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ عَادَةً  
 لَكُمْ عَرَفْتَ تَحْتَ الْأَسْنَةِ وَالظَّبَا  
 وَلَا عِيلَ فِي الْحَرِ الْكَرِيمِ إِذَا قَضَى  
 بِحَدِ الظَّبَا حَرَا كَرِيمَاً مَهْذِبَا  
 رَعَى اللَّهُ جَسْمًا بِالسَّيُوفِ مُوزَعًا  
 وَقَلْبًا عَلَى حَرَّ الظَّمَامَتِقْلَبَا  
 وَرَأْسَ فَخَارِ سَيْمَ خَفَضَاً فَمَا ارْتَضَى  
 سَوَى الرَّفْعِ فَوْقَ السَّمَهْرِيَةِ مَنْصِبَا

عجبت لسيف قد نبا بعد أن نضا  
 قراعاً ولولا حكمة الله ما نبا  
 وطرف على قد أحرز السبق في الوغى  
 كباليته في عرصة الطف لا كبا  
 وزند خبا من بعد ما أضرم الوغى  
 وأورى ضراماً في حشا الدين ما خبا  
 بنفسي الذي واسى أخاه بنفسه  
 وقام بما سبب الإخاء وأوجبا  
 قضى ظامياً والماء يلمع طامياً  
 وصعد أنفاساً بها الدمع صرّبا  
 وما همه إلا تعطش صبية  
 إلى الماء أوراها الأوام تلهمبا  
 على قربه منه تناءى وصوله  
 وأبعد ما ترجو الذي كان أقربا  
 ولم أنسه والماء ملء مزاده  
 يقلب طرف الطرف شرقاً ومغرباً  
 وما ذاق طعم الماء وهو بقربه  
 ولكن رأى طعم المنية أعزبها  
 تصافحه البيض الصفاح دوامياً  
 وتعدو على جثمانه الخيل شرّياً<sup>(١)</sup>

(١) أدب الطف: ١٩٦/٧، وتاريخ مرقد الحسين والعباس: ٣٢٣.

## اليوم بان عن اليمين حسامها

رائعة الأزري<sup>(١)</sup>

أَرْ مَا أَتَاكَ حَدِيثُ وَقْعَةِ كَرْبَلَا  
 أَنِي وَقَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ قَتَامَهَا  
 يَوْمَ أَبُو الْفَضْلِ اسْتَجَارَ بِهِ الْهَدِي  
 وَالشَّمْسُ مِنْ كَدْرِ العَجَاجِ لِثَامَهَا  
 فَحَمْى عَرِينَتَهُ وَدَمْدَمَ دُونَهَا  
 وَيَذْبَحُ مِنْ دُونِ الشَّرِي ضَرَغَامَهَا  
 وَالبَيْضُ فَوْقَ الْبَيْضِ تَحْسَبُ وَقْعَهَا  
 زَجْلُ الرَّعُودِ إِذَا اكْفَهَرَ غَمَامَهَا  
 مِنْ بَاسْلٍ يَلْقَى الْكَتِيبَةَ بِاسْمًا  
 وَالشَّوْسُ بِرْشَحٍ بِالْمَنْيَةِ هَامَهَا  
 وَأَشَمْ لَا يَحْتَلَ دَارَ هَصِيمَةَ<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ يَسْتَقْلُ عَلَى النَّجُومِ رَغَامَهَا

(١) الشاعر محمد رضا الأزري، في طبعة شعراء العراق، يمتاز شعره بالإطالة والإجادة، توفي عام ١٢٤٠ هـ، راجع أدب الطف: ٦/٢٦٣.

(٢) يقال: ناب هيصم أي شديد قاطع.

أو لم تكن تدرى قريش بأنه  
 طلاغ كل ثنية مقدامها  
 بطل أطل على العراق مجلباً  
 فاعصوصبت فرقاً تمور شمامها  
 وشي الكرام فلا ترى من أمة  
 للفخر إلا ابن الوصي أمامها  
 هو ذاك مؤيل رأيها وزعيمها  
 لو جل حادثها ولد خدامها  
 وأشدها بأساً وأرجحها حجى  
 لوناصل موكيها وزاغ قوامها  
 من مقدم ضرب الجبال بمثلها  
 من عزمه فتزلزلت أعلامها  
 ولكم له من ضربة مضدية  
 قد كاد يلحق بالسحاب ضرامها  
 أغرت به عصب ابن حرب فانشنت  
 كلمى الجباء مطاشة أحلامها  
 ثم انثنى نحو الفرات دونه  
 حلبات غارية يصل لجامها  
 فكأنه صقر بأعلى جوها  
 جلى فحلق ما هناك حمامها  
 أو ضيغم شمس البرائن ملبد  
 قد شد فانشرت ثبي أنعامها

فهنا لكم ملك الشريعة واتكى  
 من فوق قائم سيفه قمامها  
 فأبىت نقيبته الزكية رئها  
 وحشا ابن فاطمة يشب ضرامها  
 فلذا لكم ملا المزاد وزمه  
 وانصاع يرفل بالحديد همامها  
 حتى إذا دانى المخيم جلجلت  
 سوداء قد ملا الفضا أرзамها  
 فجلا تلاتلها بجأش ثابت  
 فتقاعست منكوسه أعلامها  
 حسمت يديه يد القضاء بمبرم  
 ويد القضاالم ينتقض إبرامها  
 واعتقاه شرك الردى دون الروى  
 إن المنايا لا تطيش سهامها  
 الله أكبر أي بدر خر عن  
 أفق الهدایة واستشاط ظلامها  
 فمن المعزي السبط سبط محمد  
 بفتى له الأشراف طأطا هامها  
 وأخ كريم لم يخنه بمشهد  
 حيث السراة كبابها إقدامها  
 تالله لا أنس ابن فاطمة إذ جلا  
 عنه العجاجة يكفر قنامها

من بعد أن حطم الوشیج وئلمت  
 بيض الصفاح وئکست أعلامها  
 حتى إذا خم البلاء وأن ما  
 أیدي القضاء جرت به أقلامها  
 وأتى به نحو المخيم حاملاً  
 اليوم بان عن اليمين حسامها  
 اليوم سار عن الكتاب كبشاها  
 اليوم غاب عن الهدأة إمامها  
 اليوم آل إلى التفرق جمعنا  
 اليوم حل عن البنود نظامها  
 اليوم نامت أعين بك لم تنم  
 وتسهدت أخرى فعز منامها  
 أشقيق روحي هل تراك علمت إذ  
 غودرت وانثالت عليك لثامها  
 إن خلت أطبت السماء على الشري  
 أو دكدةك فوق الربى أعلامها  
 لكن أهان الخطب عندي أنني  
 بك لاحق أمرأ قضى علامها<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ مرقد الحسين والعباس: ٣١٩.

## ساقی العطاشی

رائعة الشاعر الشيخ محسن أبو الحب<sup>(١)</sup> .

إذا كان ساقی الناس في الحشر حيدر

فساقی عطاشی كربلاء أبو الفضل

على أن ساقی الناس في الحشر قلبه

مريع وهذا بالظلم اقلبه يغلي

وقفت على ماء الفرات ولم أزل

أقول له والقول يحسنه مثلی

علامك تجري لا جريت لراد

أدركت يوماً بعض عارك بالغسل

أما نشفت أكباد آل محمد

لهيباً وما ابتلت بعل ولا نهل

من الحق أن تذوي غصونك ذيلاً

أسى وحياة من شفاههم الذبل

(١) في طليعة شعراء العراق، له مرايٍ جليلة في الحسين عليه السلام وأک الحسين، توفي سنة: ١٣٠٥ هـ، راجع ترجمته في أدب الطف: ٥٤/٨.

فقال استمع إن كنت للقول ساماً  
 وكن قابلاً عذري ولا تكثرون عذلي  
 إلا إنّ ذا دموعي الذي أنت ناظر  
 غداة جعلت النوح بعدهم شغلي  
 برغمي أرى مائي يلذ سواهم  
 به وهم صرعى على عطش حولي  
 جزى الله عنهم في المرواسة عمهم  
 (أبا الفضل) خيراً لو شهدت أبا الفضل  
 لقد كان سيفاً صاغه بيديه  
 (علي) فلم يحتاج شباء إلى الصقل  
 إذا عدَ أبناء النبي محمد  
 رأه أخاهم من رأه بلا فضل  
 شفا كبدأ من آل أحمد واشتفت  
 به أكبده من كل ذي حسب وغل  
 ترى النبل يحكي النحل رشاً بجسمه  
 غداة حكى جثمانه كورة النحل  
 ولما رأيت الماء غير محرم  
 على أحد إلا على أهله النبل  
 وأحدق فيه للضلال كتائب  
 تحجبه بالبيض والأسل والذبل

فلم أر ظام قبله الماء حوله  
 ولم يُرز منه وهو ذو مهجة تغلي  
 وما خطبه إلا الوفاء وقل ما  
 يرى هكذا خلام مع الجلل  
 يعد ببذل الماء في حبه الفتى  
 سخياً وذا بالمال والنفس والأهل  
 يميناً بيمناك القطيعة والتي  
 تسمى شمالاً وهي جامعة الشمل  
 بصرك دون ابن النبي بكريلا  
 على الهول أمر لا يحيط به عقلي  
 ووافاك لا يدرى أفقتك راعه  
 أم العرش غالته المقadir بالثل<sup>(١)</sup>  
 أخي كنت لي درعاً ونصلاً كلامها  
 فقدت فلا درعي لدى ولا نصلي  
 لي الله فرداً كل حزب محاري  
 فلا صحي دوني تذب ولا أهلي  
 مضى كلهم عنى سراعاً إلى الفنا  
 فها هم بلا دفن أراهم ولا غسل

(١) يقال: ثل الله عرشه أي هدم ملكه.

أخي أنجم السعد التي أتت بدرها  
 تهافت أفولاً في بروج من الرمل  
 فلا نجم للمساري ولا نار للقرى  
 ولا كهف للأجي ولا خصب للمحل  
 أخي قاتلي وجدي بكم غير أنني  
 أرى دون ما ألقاه من بابكم قبلني  
 لئن كان سهلاً مالقيت من الردي  
 عليك فما حملي فرافقك بالسهل  
 أخي لم تنل ما رمت في مدها يدي  
 ولا بلغت بي ما أحawله رجلي  
 فيها أنا كالمرمي في البحر لم ينزل  
 تقلبه الأمواج مقلاً على مقل<sup>(١)</sup>  
 كفى الطير وهناً بعد قص جناحه  
 إذا اغتال يوماً ريشه الدهر بالنبل<sup>(٢)</sup>



(١) المقل: أسفل البئر.

(٢) تاريخ مرقد الحسين والعباس: ٣١٧.

## زيارة العباس

تمهيد:

أجمع المسلمون على استحباب زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فقد روي أنَّ رسول الله ﷺ كان يزور قبور شهداء أحد، وقبور المسلمين في البقيع، ويدعو لهم، كما كان ﷺ يزور قبر والدته، وسواها من المؤمنين<sup>(١)</sup>... وسار المسلمون على سُنَّة رسول الله في زيارة قبور العلماء والأئمة والصالحين، وعلى ذلك أجمعوا، ولعلَّ الوحيد الذي خالف هذا الإجماع هو ابن تيمية، وتبعه في ذلك إحدى الفرق الإسلامية الحديثة، وقد رد عليه علماء كافة المذاهب مقولته هذه في حينه، واعتبروها بدعة جديدة<sup>(٢)</sup>... ومما اشتهر به أتباع أهل البيت زيارة أضرحة النبي المصطفى ﷺ والأئمة من بعده، والصالحين من الصحابة والتابعين والعلماء...، الدعاء عند هذه الأضرحة والتوجه إلى الله فيها.

ومن هذه المقامات والأضرحة الشريفة ضريح أبي الفضل العباس في كربلاء، فقد دأبوا على زيارته والصلة عنده والدعاء...

(١) واقعة كربلاء في الوجдан الشعبي، شمس الدين: ٥٣، عن صحيح مسلم وسنن النسائي وسواها من كتب الحديث.

(٢) راجع في ذلك كشف الإرتياح، السيد محسن الأمين، فصل زيارة القبور.

وربّ سائل يتساءل عن مدى أهميّة هذه الزيارة، ولماذا دعى أئمّة أهل البيت إليها، وشدّدوا على زيارة الحسين والعباس وشهداء الطف؟ . . .

في الواقع إنّ الأئمّة من أهل البيت حرصوا على إحياء شعلة ثورة الحسين علیه السلام ضدّ الظلم والطغيان، وحرصوا على إحياء ذكراه في كلّ مناسبة؛ وأضافوا أموراً تتعلّق بالحسين إلى الممارسات العباديّة الإسلاميّة العامة؛ ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ليلة النصف من شعبان، وليلي الأعياد كعيد الفطر أو الأضحى، كانت هناك ممارسات عباديّة معتمدة في هذه الليالي قبل شهادة الحسين علیه السلام مثل تلاوة القرآن، والأدعية المأثورة . . .، بيد أنّ أئمّة أهل البيت أضافوا أعمالاً آخر إلى هذه الممارسات العباديّة في هذه الليالي تتعلّق بثورة الحسين ونهضته كزيارة الحسين علیه السلام والعباس والشهداء . . .

فما الهدف من ذلك؟

يعتقد الكثير من الباحثين أنّ الهدف هو تكريم هؤلاء الأشخاص الذين جادوا بكلّ غالٍ ونفيس في خدمة الدين والإنسانية، وطلب شفاعتهم عند الله ونيل البركة بواسطتهم . . .، ونحن في الوقت الذي لا ننكر فيه هذه الأهداف، نعتقد أنّ الهدف الذي كان يتطلع إليه أئمّة أهل البيت كان من نسقٍ آخر مغاير، هذا ما يوضحه العلامة شمس الدين حين يعرض زارات أهل البيت والمغزى منها، يقول:



«لقد وجّه أئمة أهل البيت شيعتهم نحو الزيارة للتبّي والأئمة السّابقين عليهم لخدمة هدف كبير، هو إبقاء الصلة حيّة ونابضة بين الإسلام الحي وبين الإنسان المسلم لئلاً يتحول الإسلام في ذهنه إلى مجرد ممارسات طقسية وفقه ميت، ولئلا تكون التّماذج التطبيقيّة (الرسمية) للإسلام التي يعايشها المسلم في حياته اليوميّة على صعيد الحكم وعلى صعيد المجتمع هي التّماذج المحتداة والمُعترف بها من قبله، وإنما تبقى حيّة في ذهنه التّماذج السليمة الصافية للإسلام، وتبقى حيّة في ذهنه الممارسات الأمينة الصادقة للإسلام».

إنَّ أئمة أهل البيت حين جعلوا من الزيارة مؤسسة فكرية سياسية اجتماعية أرادوا أن يجعلوا الإنسان على صلة حيّة و مباشرة بمنابع إسلامه في الفكر والنظرية، في التطبيق والممارسة. فالتصوّص التي يزار بها رسول الله ﷺ تسلط الأضواء على جهود رسول الله ﷺ في الدّعوة إلى الإسلام ونشره وتبثّيته، إلى جانب ما تشتمل عليه من عبارات الثناء والمدح لشخص الرسول ﷺ، وتعظيمه وتكريمه...».

وكذلك التصوّص التي يزار بها أئمة أهل البيت...»<sup>(١)</sup>.

ويدرس زيارة الحسين وصحابه كمثال على ذلك، ويتابع مستدلاً بالروايات التي تشرط المعرفة بحقّ الحسين وأصحابه

(١) واقعة كربلاء في الوجдан الشعبي: ٥٨.

ودورهم مع الزيارة للحصول على الأجر والمثوبة فيقول:

«وثمة تأكيد مطلق على أنَّ الزيارة لتأثير أثرها، لا بدَّ وأن تكون عن وعيٍ لدور المزور في حركة الإسلام، وموقعه من الجهاد في سبيله. إنَّ حالة الوعي هذه هي المعنية في النصوص الكثيرة التي وردت في شأن من زار الحسين «عارفاً بحُقْه».

إنَّ هذه المعرفة تعني الوعي لدوره الذي أنجزه في حياته ولمركزه في قيادة حركة الإسلام في مجال التشريع والتطبيق، وحينما تمارس الزيارة في ضوء هذا الوعي تعزز في قلب الزائر وفي عقله صلة بالإسلام المتحرك الفعال، لأنَّها تصله بالثماذج المتحركة الفعالة في تاريخ الإسلام»<sup>(١)</sup>.

ولأهمية زيارة الحسين وأل الحسين في إذكاء روح الإسلام في الزائرين دأب الظالمون على تدمير قبور الحسين والعباس وشهداء الطف في كل حين . . .

ونحن نستعين شيئاً من ذلك، في الرواية التي يذكرها أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين عن هدم المتوكّل العباسي لأضرحة الحسين والعباس والشهداء:

«بعث المتوكّل برجلٍ من أصحابه يقال له: الديزج، وكان يهودياً فأسلم، إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراجه كل ما حوله، فمضى لذلك وخرّب ما حوله، وهدم

(١) المصدر: ٦١.



البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مصالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه.

وحدث محمد بن الحسين الأشناوي، قال:

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بمنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفى علينا، فجعلنا نشمئ ونتحرى جهته حتى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجرى الماء عليه فانكسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكبنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معـي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع.

فلما قتل المتوكـل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيـن والـشـيعة حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامـات وأعدناه إلى ما كان عليه<sup>(١)</sup>.

(١) مقاتلـ الطـالـبـيـن: ٤٧٩.

أما الطبرى فيلخص هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٣٦ هـ.

ويقول:

«فيها . أى في سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي و هدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبدل ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فذكر أنَّ عامل الشرطة نادى في الناحية: من وجدها عند قبره بعد ثلاث بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس وامتنعوا عن المصير إليه، وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه».

الزيارة:

نذكر زيارة العباس بن علي عليهما السلام المروية عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام وقد استقيناها من كتاب مفتاح الجنات للسيد محسن الأمين ، أما التعليقات المذكورة معها فهي للعلامة شمس الدين ، وقد اقتبسناها من كتابه: واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي :

روى أبو حمزة الثمالي<sup>(١)</sup> عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام

(١) أحد أصحاب الأئمة عليهما السلام ومن أجلاء الرواية عنهم، وينسب إليه أحد أهم أدعية شهر رمضان، يسمى دعاء أبي حمزة الثمالي، وهو للإمام زين العابدين، ورواه أبو حمزة، وقد وردت كلمات للأئمة عليهما السلام في الثناء عليه. توفي عام: ١٥٠ هـ. (مجمع البحرين: ٥/٣٣٣).

أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةً قَبْرَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلَىٰ ، وَهُوَ عَلَىٰ شَاطِئِ الْفَرَاتِ بِحَذَاءِ الْحَائِرِ فَقَفَ عَلَىٰ بَابَ السَّقِيفَةِ وَقَالَ :

«سَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامٌ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَئْبِيَّهِ الْمُزَسَّلِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ ، وَالرَّاكِبَاتِ الْطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَغْتَدِي وَتَرُوْخُ عَلَيْكَ يَابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَشْهَدُ لَكَ بِالثَّسْلِيمِ وَالْتَّضْدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحةِ لِخَلْفِ النَّبِيِّ الْمَرْسَلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالسُّبْطِ الْمُتَّبَعِ وَالدَّلِيلِ الْعَالِمِ وَالوَصِيِّ الْمُبَلَّغِ وَالْمَظْلُومِ الْمُهَتَضَمِ ، فَبِجزَاكَ اللَّهُ عَنِ رَسُولِهِ وَعَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ فَاطِمَةَ وَعَنِ الْحَسَنِ وَعَنِ الْحُسَيْنِ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الْجُزَاءِ ، بِمَا صَبَرْتَ وَأَخْتَبَرْتَ وَأَعْنَتَ فَنِعْمَ عَقْبَيِ الدَّارِ . لَعْنَ اللَّهِ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعْنَ اللَّهِ مَنْ ظَلَمَكَ وَجَهَلَ حَقَّكَ وَأَسْتَخَفَ بِحُرْمَتِكَ وَلَعْنَ اللَّهِ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الْفَرَاتِ ».»

من خلال السلام بهذه الصيغة، تُظهر الزيارة الفئة التي ينتمي إليها العباس، فهو ينتمي إلى فئة الملائكة والأئمة والشهداء والصديقين.

وتأتي الشهادة التالية لمقطع السلام لتبيّن العبرات لانتهاء العباس إلى هذه الفئات من عباد الله الصالحين: فهو مسلم، مصدق، وفي، ناصح للإمام الحسين، أي أنه وفي بالتزامه الإيماني النابع من كونه مسلماً مخلصاً، لأن الحسين هنا ليس أخاً، إنه قائد الإسلام.

وينتهي هذا المقطع من الزيارة بالدعاء للعباس بأن يحسن الله جزاءه على موقفه العظيم. ثم البراءة باللعن، من أعدائه، أعداء الشرعية، ويبرز في هذا المقطع دور العباس المميز في كربلاء الذي لازم ذكراه في الوجдан الشعبي، وهو كونه أبرز المعنيين بتزويد معسكر الحسين الظاميء بالماء.

«أَشَهَدُ أَنِّي قُتِلْتَ مَظْلومًا، وَأَنَّ اللَّهَ مُتَجَزِّ لَكُمْ مَا وَعَدْتُمْ، جِئْتُكُمْ يَا أَبْنَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَافْدَأُ إِلَيْكُمْ، وَقُلْتُمْ مُسْلِمٌ لَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ تَابِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيمَانِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبِمَنْ خَالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ قَتَلَ اللَّهُ أَمَّةً قَاتَلْتُكُمْ بِالْأَبْدِيِّ وَالْأَلْسُنِ».

في هذا المقطع يشهد الزائر بعدلة القضية التي من أجلها استشهد العباس لأنّه قتل مظلوماً ولذا فإن قاتليه ظالمون. ولكن الزائر غير يائس بسبب النتيجة التي انتهى إليها نضال العباس، إنه واثق بنصر الله وبقيام دولة الحق والعدل. ويعلن الزائر للتزامه بنفس الخط النضالي الذي سار عليه العباس وعليه مات، كما يعلن براءته من الخط المقابل، خط الظالمين الذي سار عليه الأمويون.

ثم ادخل وانكب على القبر وقل وأنت مستقبل القبلة والقبر أمامك: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ، الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ،

ولأمير المؤمنين، والحسن والحسين صَلَى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرة ورضوانه، وعلى روحك وبذنك، أشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون والمُجاهِدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه المبالغون في نصرة أوليائه، الذابون عن أحبابه، فجزاك الله أفضَّلَ الجزاء وأكثَرَ الجزاء، وأوفِي جزاءً أحد ممَّن وفَيَ بِيَتِيهِ، وأستَجاب لَه دعوَتَه، وأطاعَ ولَاه أَمْرِهِ، أشهدُ أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبِعَنْكَ اللهُ فِي الشهداء، وجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ أزواجِ السُّعداءِ، وأعطاكَ مِنْ جَنَانِهِ أَسَحَّها مَثْلاً وَأَفْضَلَها غُرْفَةً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلَيَّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، أشهدُ أنك لم تنهِ ولم تتكلُّ، وأنك مضيت على بصيرةٍ من أمرك، مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين، فجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَأُولَائِهِ فِي مَنَازِلِ الْمُخْتَيَّنِ فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

في هذا المقطع يستهل الزائر خطابه بالسلام والدعاء الذي يظهر فيه عنصر الطاعة الإيمانية التي تنبع من إدراك الواجب الشرعي والإلتزام به.

ويتلن السلام والدعاء الشهادة من الزائر بأن هذه الطاعة لم تكن شكلية، وإنما عبرت عن نفسها بالإلتزام العملي. وهنا تظهر فئة أكثر تحديداً ينتمي إليها العباس، وهي ذات أثر حاسم في مسيرة الإسلام وهي «البدريون»، وهؤلاء يحتلون أعلى مرتبة في

قوافل الشهداء الكرام الذين رزقوا الشهادة بين يدي رسول الله ﷺ.

ثم الشهادة بأن العباس في جهاده قد تجاوز المستويات المفروضة عليه بحكم كونه مسلماً مطيناً إلى مستوى أعلى من ذلك هو كونه قد «بلغ في النصيحة وأعطى غاية المجهود».

ثم الشهادة له بأنه مارس دوره العظيم في كربلاء، مصمماً على المضي فيه إلى النهاية، عن وعي مبدئي، فإيمانه إيمان واع وليس إيماناً أعمى لأنه ليس في الإسلام إيمان أعمى: «.. إنك مضيت على بصيرة من أمرك» ولذا فإنـه في موقفه الأخلاقي العالـي الذي حـقـقـ بـهـ أـعـلـىـ مـسـتـوـيـاتـ الـأـخـلـاقـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ تـجـاـزـوـ زـالـذـاتـ إـنـهـ فـيـ هـذـاـ المـوـقـفـ (لمـ يـهـنـ وـلـمـ يـنـكـلـ)ـ وـهـذـاـ الثـبـاتـ فـيـ الـمـوـاقـفـ هـوـ نـتـيـجـةـ الـوـعـيـ (الـبـصـيرـةـ)ـ.

ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ثم صلّى بعدهما ما بدا لك وادع الله كثيراً. وعن الشيخ المفید ثم توجه إلى عند الرأس وصلّى ركعتين وادع بعدهما بما شئت وأكثر من الدعاء وقل: اللهم صلّى على محمدٍ وآل محمدٍ، ولا تدع لي في هذا المكان المكرم والممشيد المعمظم ذنباً إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا مرض إلا شفيته، ولا عيباً إلا سترته، ولا رزقاً إلا بسطته، ولا خوفاً إلا آمنته ولا شملاً إلا جمعته، ولا غائباً إلا حفظته وأذنيته، ولا حاجة من حوايج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولبي فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين.



ثُمَّ ارْجَعَ إِلَى الْضَّرِيحِ وَقَفَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ  
 يَا أَبَا الْفَضْلِ الْعَبَاسَ أَبْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَنَ سَيِّدِ  
 الْوَصِيَّيْنَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَنَ أَوَّلِ الْقَوْمِ إِسْلَامًا وَأَقْدَمِهِمْ إِيمَانًا  
 وَأَقْوَمِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ وَأَخْوَطِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ، أَشْهَدُ لَقَدْ تَصَحَّثَ لِلَّهِ  
 وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ ، فَنِعْمَ الْأَخْرَى الْمُوَاصِي فَلَعْنَ اللَّهِ أُمَّةُ قَاتَلَتْكَ وَلَعْنَ  
 اللَّهِ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ وَلَعْنَ اللَّهِ أُمَّةً أَسْتَحْلَثَ مِنْكَ الْمُحَارِمَ وَأَنْتَهَكَتْ  
 بِكَ حُزْمَةُ الْإِسْلَامِ فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمُجَاهِدُ الْمُحَاجِمُ الْنَّاصِرُ وَالْأَخْرَى  
 الْدَّافِعُ عَنْ أَخِيهِ ، الْمُجِيبُ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ الرَّاغِبُ فِيمَا زَهَدَ فِيهِ  
 غَيْرُهُ مِنَ الشُّوَابِ الْجَزِيلِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ ، فَالْحَقَّكَ اللَّهُ بِدَرَجَةِ  
 أَبَائِكَ فِي جَنَّاتِ الْئَعِيمِ . اللَّهُمَّ إِنِّي تَعَرَّضْتُ لِزِيَارَةِ أُولَيَّ أَبَائِكَ رَغْبَةً  
 فِي ثَوَابِكَ وَرَجَاءِ لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزِيلِ إِحْسَانِكَ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصْلِيَ  
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْطَّاهِرِيْنَ ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقِيَّ بِهِمْ دَارًّا وَعَيْشِيَّ بِهِمْ  
 قَارًّا ، وَزِيَارَتِيَّ بِهِمْ مَقْبُولَةً وَحَيَاتِيَّ بِهِمْ طَيِّبَةً ، وَأَذْرِخْنِيِّ إِذْرَاجَ  
 الْمُكَرَّمِيْنَ وَأَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيَارَةِ مَشَاهِدِ أَجِبَائِكَ مُفْلِحًا  
 مُبْحِحًا قَدْ أَسْتَوْجَبَ غُفرانَ الذُّنُوبِ وَسَرَّ الْغُيُوبِ وَكَشَفَ الْكُرُوبِ  
 إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ .

وَإِذَا أَرَدْتَ وَدَاعَهُ فَقُلْ مَا رَوَاهُ الشَّمَالِيُّ فِي تَتمَّةِ الْرَوَايَةِ  
 السَّابِقَةِ : «أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْتَرْعِيَكَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، آمَّا بِاللَّهِ  
 وَرِسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأَكْتُبُهَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَ .  
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي قَبْرَ أَبْنَ أَخِي رَسُولِكَ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَرْزُقْنِي زِيَارَتَهُ أَبْدًا مَا أَبْقَيْتَنِي وَأَخْسِرْنِي مَعَهُ وَمَعَ آبَائِهِ فِي الْجَنَانِ، وَعَرَفْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِكَ وَأَوْلَيَائِكَ. اللَّهُمَّ صَلُّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَوَفِّنِي عَلَى الْإِيمَانِ بِكَ وَالْتَّضْدِيقِ بِرَسُولِكَ وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وَلْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْبَرَاءَةُ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَإِنِّي قَدْ رَضِيْتُ يَا رَبِّي بِذَلِكَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

صيغة الوداع هذه تكشف عن عمق الصلة العاطفية والمبدئية بين الزائر وبين العباس، فهو مرتبط بالعباس برباط الحب الناشيء عن كونهما ملتزمين مبدأً واحداً يمثل العباس فيه دور النموذج المحتذى.

ثم يعلن الزائر إيمانه، ويوجه دعاءه إلى الله تعالى بأن يجعله على صلة دائمة بالعباس في الدنيا والآخرة. ويدعو الله بأن يثبته على الإيمان ويتوفاه على الإسلام والولاية لأئمة أهل البيت<sup>(١)</sup>.

(١) مفتاح الجنات: ٩٦/٢، وواقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ١١٠.

## المصادر والمراجع

**\*المصادر:**

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥.
- ٣ - أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، منشورات الشريف الرضي - إيران ١٩٦٠.
- ٤ - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥.
- ٥ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي - بيروت (لا. ت).
- ٦ - أبو هفان المهزمي، شعر أبي طالب وأخباره، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، دار الثقافة إيران - ١٤١٤ هـ.
- ٧ - ابن طيفور، بلاغات النساء، تحقيق د. يوسف البقاعي، دار الأضواء - بيروت ١٩٩٩.
- ٨ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٨٩.
- ٩ - ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٨٨.
- ١٠ - ابن طاوس، اللهو في قتل الطفوف، دار القارئ، بيروت ١٩٩٢.
- ١١ - أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت ١٩٩٨.

- الخوارزمي :
- ١٢ - المناقب، مؤسسة النشر الإسلامي ، ايران ١٤٢١ هـ.
  - ١٣ - مقتل الحسين ، تحقيق الشيخ محمد الشماوي ، أنوار الهدى - ايران ، ١٤١٨ هـ.
  - ١٤ - الذهبي ، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الرشادين) ، تحقيق د. عمر تدمري ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٨.
  - ١٥ - الصناعي ، نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، دار المؤرخ العربي - بيروت ٢٠٠٢.
  - ١٦ - الطبرى ، تاريخ الأمم والملوک ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت ١٩٩٨.
  - ١٧ - الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
  - ١٨ - الطبرسي ، أبو منصور ، الاحتجاج ، دار الأسوة ، ایران ١٤٢٢ هـ.
  - ١٩ - الطريحي ، مجمع البحرين ، تحقيق أحمد الحسيني ، مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٣ .
  - ٢٠ - المجلسي ، بحار الأنوار ، مؤسسة الوفاء - بيروت .
  - ٢١ - المفید ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، دار المفید ، ١٩٩٣ .
  - ٢٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت ٢٠٠٠ .

\* المراجع :

الأمين السيد محسن :

- ٢٣ - أعيان الشيعة ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت .
- ٢٤ - كشف الإرتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب ، ایران .
- ٢٥ - مفتاح الجنات ، دار التعارف للمطبوعات بيروت ٢٠٠١ .

- ٢٦- الأميني، الشيخ عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية - إيران ١٩٩٥.
- الأمين، حسن:
- ٢٧- الإسماعيليون والمغول، مركز الغدير للنشر - بيروت ١٩٩٧.
- ٢٨- إطلاالت على التاريخ، دار المحجة البيضاء - بيروت ٢٠٠٠.
- ٢٩- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٩٧.
- ٣٠- اسماعيل، عادل، المردائيون (المردة)، دار النشر للسياسة والتاريخ - بيروت ٢٠١٠.
- ٣١- ابن عقيل، النصائح الكافية، تحقيق غالب الشابندر، مؤسسة الفجر - بيروت ١٩٩١.
- ٣٢- آل جمیع، حبیب، العباس بن علی، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت ٢٠٠٢.
- ٣٣- الحکیم، السید محمد تقی، مالک الأشتر حياته وجهاده، المؤسسة الدویة - بيروت ٢٠٠١.
- ٣٤- رضا، محمد، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، المكتبة العصرية صيدا ٢٠٠١.
- ٣٥- حسین، طه، علی وبنوه، دار المعارف - مصر (لات).
- دخیل، علی محمد علی:
- ٣٦- أبطال الهاشمیین، دار الہادی - بيروت ٢٠٠١.
- ٣٧- شرح نهج البلاغة، دار المرتضى - بيروت ٢٠٠٣.
- ٣٨- شعراء الهاشمیین، دار الہادی - بيروت ٢٠٠٣.
- ٣٩- السُّماوی، الشيخ محمد، إیصار العین في أنصار الحسين عليهم السلام، تحقيق علی جهاد الحسّانی، دار البلاغ - بيروت ٢٠٠٣.

- ٤٠ - السُّماوي، محمد نعمة، وتنفس صبح الحسين ، دار المرتضى - بيروت . ١٩٩٨.
- ٤١ - سلامة، بولس، ملحمة الغدير، ايران .
- ٤٢ - شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجдан الشعبي، المؤسسة الدولية - بيروت ٢٠٠٠<sup>(١)</sup>.
- ٤٣ - شبر، السيد جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين عليهم السلام ، دار المرتضى - بيروت ١٩٨٨.
- ٤٤ - طعمة، سلمان، تاريخ مرقدي الحسين والعباس عليهم السلام ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ١٩٩٨.
- ٤٥ - العلaili، الشيخ عبد الله، الإمام الحسين ، دار مكتبة التربية - بيروت . ١٩٨٦.
- ٤٦ - العقاد، عباس، أبو الشهداء، انتشارات الشريف الرضي - ايران ١٤١٣ هـ .  
- عبد الحميد، صائب :
- ٤٧ - ابن تيمية، حياته عقائده، مركز الغدير للنشر - ايران ١٩٩٧ .
- ٤٨ - تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي ، الغدير للنشر بيروت ٢٠٠٢ .  
- المقرئ السيد عبد الرزاق :
- ٤٩ - العباس بن علي عليهم السلام ، دار الأضواء - بيروت ٢٠٠١ .
- ٥٠ - مقتل الحسين عليهم السلام ، دار الأضواء - بيروت ٢٠٠٣ .
- ٥١ - مسعود، جبران، المحيط في أدب البكالوريا ، دار المكتشوف ١٩٧٠ .
- ٥٢ - الوردي، د. علي، وعاظ المسلمين ، كوفان للنشر - بيروت ١٩٩٥ .

(١) طبع هذا الكتاب عدة مرات تحت عنوان: ثورة الحسين عليهم السلام في الوجدان الشعبي ، غير أن طبعة المؤسسة الدولية التي اعتمدناها كانت تحت عنوان: واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي .

## محتويات الكتاب

إهداء ..... ٢	
..... بين يدي الكتاب ٥	
المبحث الأول: ظلال على المهد ١٧	
- نسب غير الأنساب ١٩	
- الولادة المباركة ٢٦	
- الصبا الواعد ٢٨	
المبحث الثاني: حديث الخلافة ٣١	
- عليٰ في عهد الرسول ﷺ ٣٣	
- السقيفة والخلافة ٤٢	
- ثورة الشعب ومصرع الخليفة ٦٤	
المبحث الثالث في عهد الإمام علي عليه السلام ٧٩	
- حرب الأطماع ٨١	
- مع القاسطين ٩٠	
- معركة النهروان ١١٢	
- رحيل ..... ١٢٣	
المبحث الرابع: ثلر العاصفة ١٣١	
- الخذلان والصلح ١٣٣	
- اغتيال الحسن عليه السلام ١٤٦	
- عهد معاوية ١٥١	
- ولادة العهد ١٦٣	
- يزيد ملكاً ١٧٣	

١٧٧.....	البحث الخامس : بطل المعلقعي
١٧٩.....	- نحو البيت الحرام
١٨٨.....	- دليل الرزب
١٩٧.....	- نحو وادي كربلاء
٢٢٢.....	- يوم الطف
٢٤٠.....	- على شاطئ الفرات
٢٤٥.....	<b>المبحث السادس : ما بعد كربلاء</b>
٢٤٧.....	- سبايا آل محمد
٢٦٠.....	- الوالدة الثكلى
٢٦٣.....	- الضريح المقدس
٢٦٩.....	<b>الملاحم</b>
٢٧١.....	العباس في ديوان العرب
٢٧٤.....	- أخي يهنيك التعيم
٢٨٤.....	- يا أبا الفضل
٢٧٨.....	- اليوم بان عن اليمين حسامها
٢٩١.....	- سافي العطاشى
٢٩٥.....	زيارة العباس بن علي
٢٩٥.....	- تمهيد
٣٠٠.....	- الزيارة
٣٠٦.....	المصادر والمراجع
٣١١.....	الفهرس



ضريحك مفرز عنا الأمان



به كل نازلة تدفع

وابك لخلق باب النجاة



تاذب بعروته المروع

أبا الفضل والفضل ينمى إليك



فأنت لأطفافه مني

وابطل الطف هذا لواك



على كل شاهقة يبردك

ضريحك كعبه وفد الولاء



إليه قوافلنا تسرع

ذ المرضى

لبنان - بيروت، ص. ب: ٢٥٥ الغبيري

هاتف وفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢

E-mail: mortada14@hotmail.com